

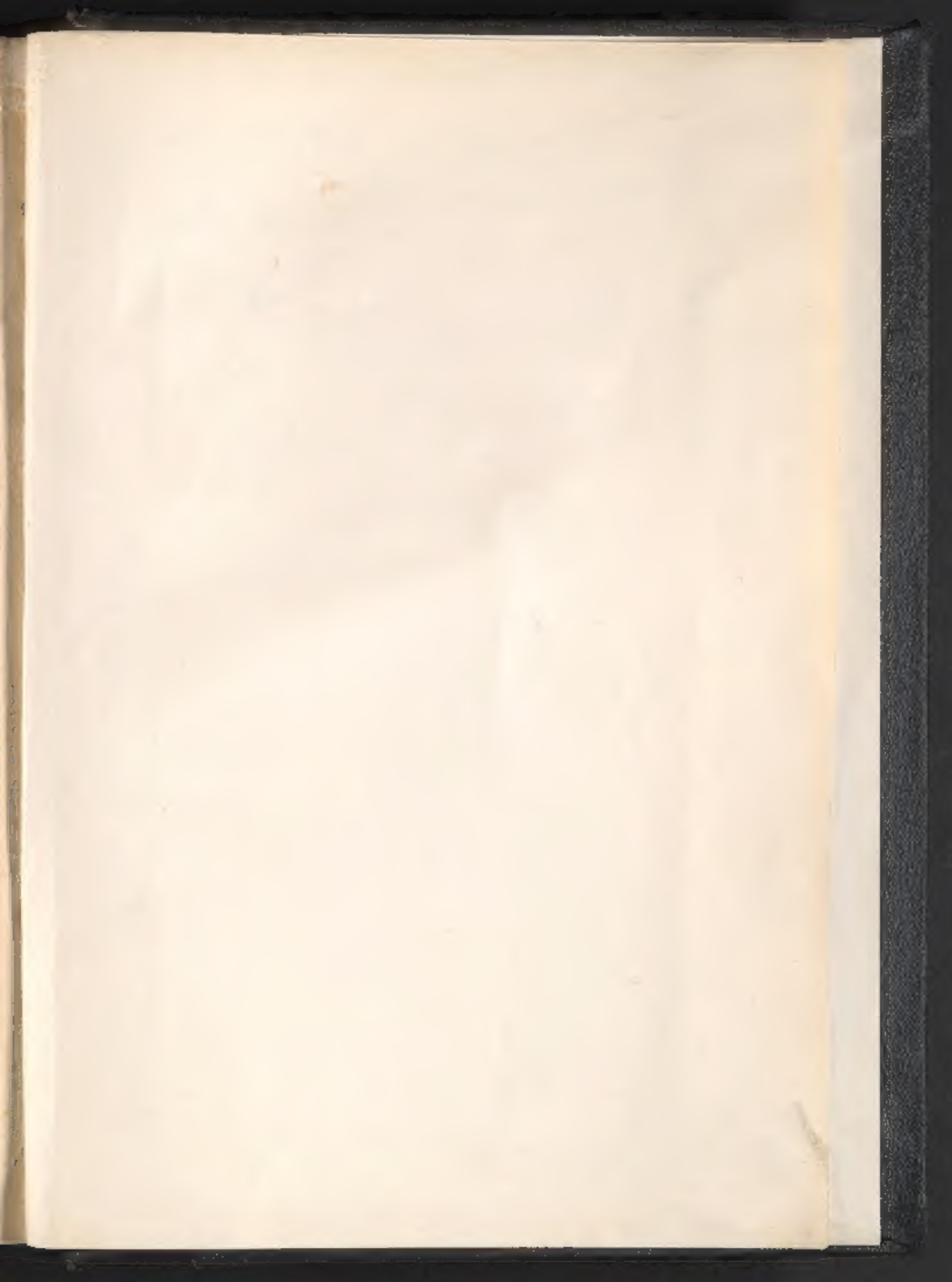
AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 01070 3761

00-87863

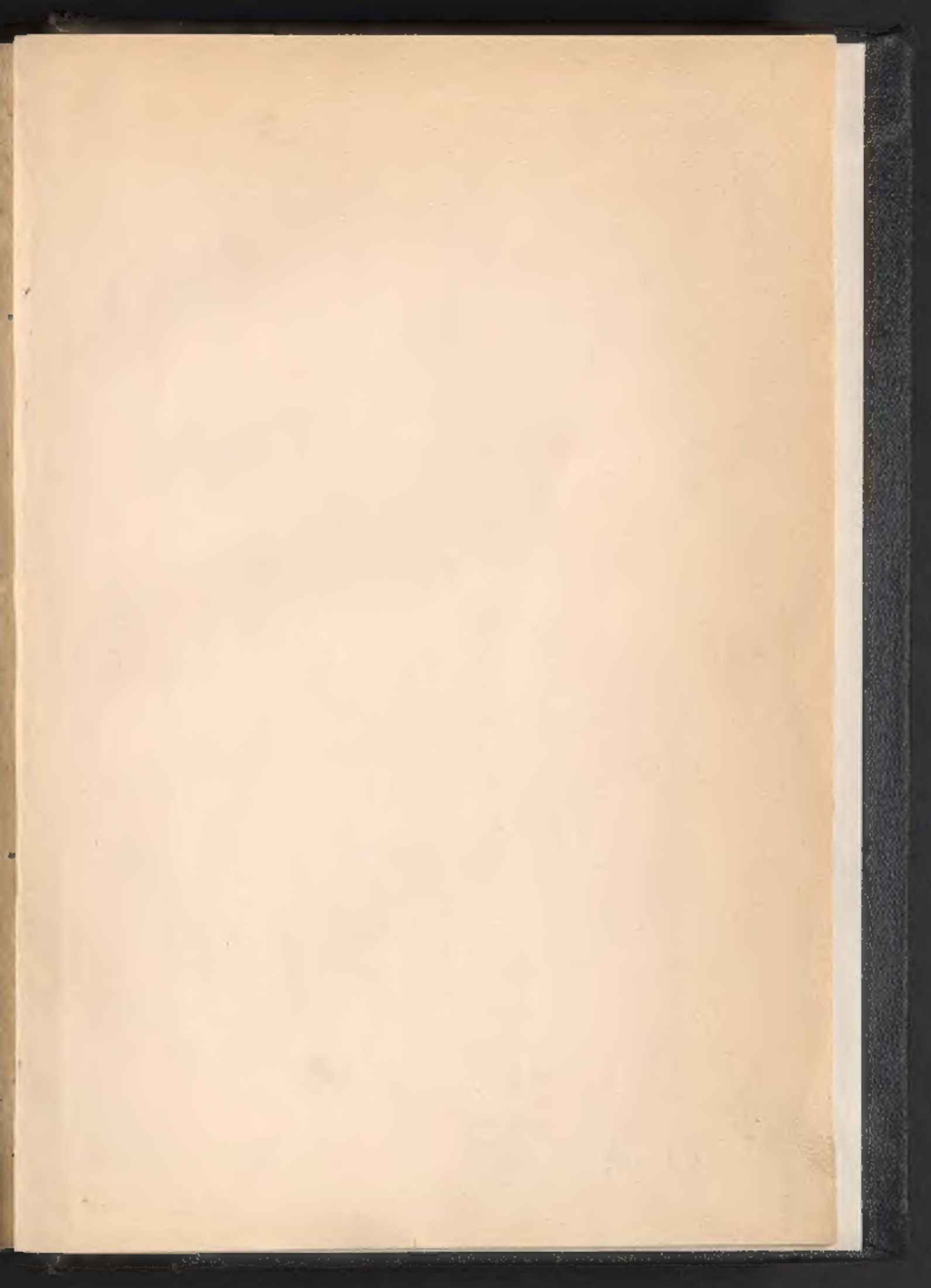
put Nov. 14th

~~14~~ 15





الأصمعي - حياته وآثاره



الدكتور عبد الحبيب راجو مرد

PJ
7741
A 7
Z 75
1955

الجمعية

صيانة وآثاره

١٢٢٣ هـ - ١٣١٧ هـ

OCLC
60506519

B12568557
1398021X

٨١,٩

٩. ٢٢



٢٦٤٦٩

« لا حُسنَ لدنيا لا يكون فيها مثلك ، يا أصمعي »

هارون الرشيد

« الأصمعي أحد الأئمة الثلاثة الذين أخذ الناس عنهم كل ما في أيديهم من
اللفة والأدب والشعر »

أبو الطيب النحوي

« ما رأيت بذلك المعسكر اصدق من الأصمعي »

الامام الشافعي

« الأصمعي ثقة »

الامام احمد بن حنبل

« الأصمعي اعذب من تحدث وحكى »

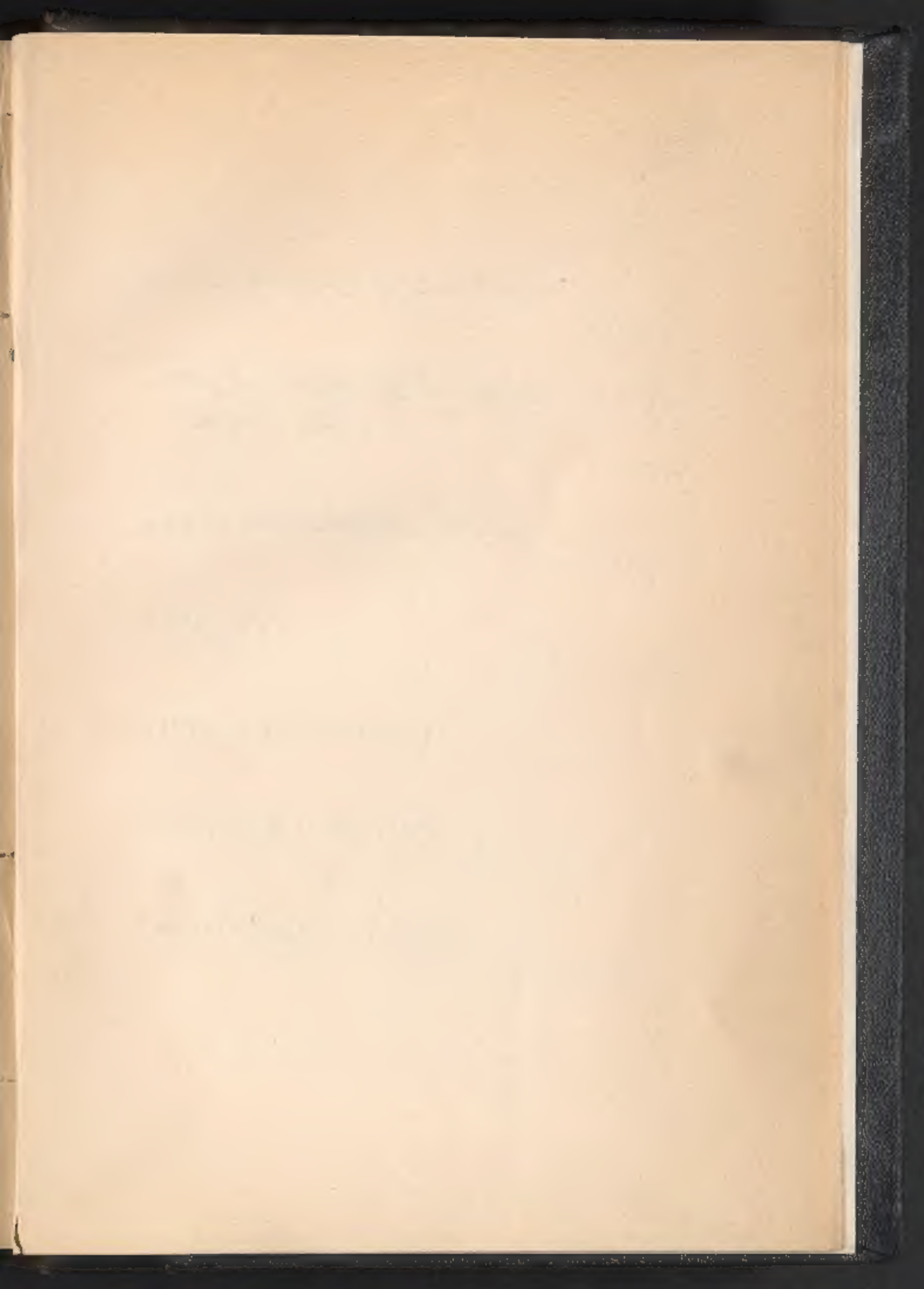
الجاحظ

« الأصمعي بلبل يطرب الناس بنغماته »

أبو نواس

« عجائب الدنيا معروفة ، منها الأصمعي »

اسحاق الموصلي



كلمة

لم يكن الأصمعي ككرة ولا محبولا لدى قراء العربية ، ولكن القليل من الناس من عرف الحقيقة في سيرة هذا النامع الذي تمت شخصته العنيفة في امرجه الأولى للحضرة الاسلاميه ، وتعمل اللغويين وأرباب الأدب آثاره العريضة القيمة ، وما راى شعبه حتى اليوم . ذلك لأن ما سر عنه في نسيان كتب التاريخ وسر الأعلام لم تتجاوز صفحات معدودة باقلها مؤمنون مصنفون عن عصر مع قليل من النعم والتجوير : كما سعت القصر الأعظم من احبار في الطرف والوادئ التي رواها عنه معارفه ومعاصروه : وصنع الذي من تاريخ حياه مع ما صنع من تراث القدماء . وما كان الاصمعي - في حياه - محمداً ولا منطوقاً على نفسه وعلمه وأدبه ، ولكنه كان عصو فتلاً في مجتمعه ، عرير الحيوة ، مندفع النشاط ، واسع مجال الحركة والعمل ، نوا الشعوب ، وقد معسكر القوميه العربيه صدهم في صراع عصري فكري عميق . ودخل لاط هارون الرشيد فتألق بحمه فيه ، وقاد مع من قاده الخبيثه الفارسيه التي اترعها البرامكة ، وكان له أثر في مصرعهم . واصل عن عقده ومذهبه تحذير البرع والاهواء الذهبيه الشبهه - يومئذ - في مدسة البصرة . فكثرت حصومه وحاسدوه وشائروه ، وقادوا عنه ما ليس فيه ، وحموا عليه ما لم يكن له ، وسبوا اليه - بعد موته - ما هو راء منه : فشوهوا الحقيقة في شخصه ، وشوا التناقض والفوضى في جواب سيرة .

وقد اردنا ، في مؤلفنا هذا ، ان نقدمه الى القراء في اصل صورته ،
من غير دحييل ولا تشويه للواقع . فوحدا الطريق وعراً شاقاً يحتاج الى
البحث الطويل والتمحيص الدقيق . . وراد في الشقة عدم وجود من عالج
هذا البحث قد معالحة علمية تدوية . اللهم الا بعض محاولات عارة .
ومهما تكن الأمر ، فمن لا يدعي الكمال في عمدها هذا ، ولا يستعد
ان يكون فيه نقص . آملين ان تأتي عددا من منه ، خدمة لهذا الرجل
الذي كان ولا يزال فضله كبيراً على العربية وادبها .

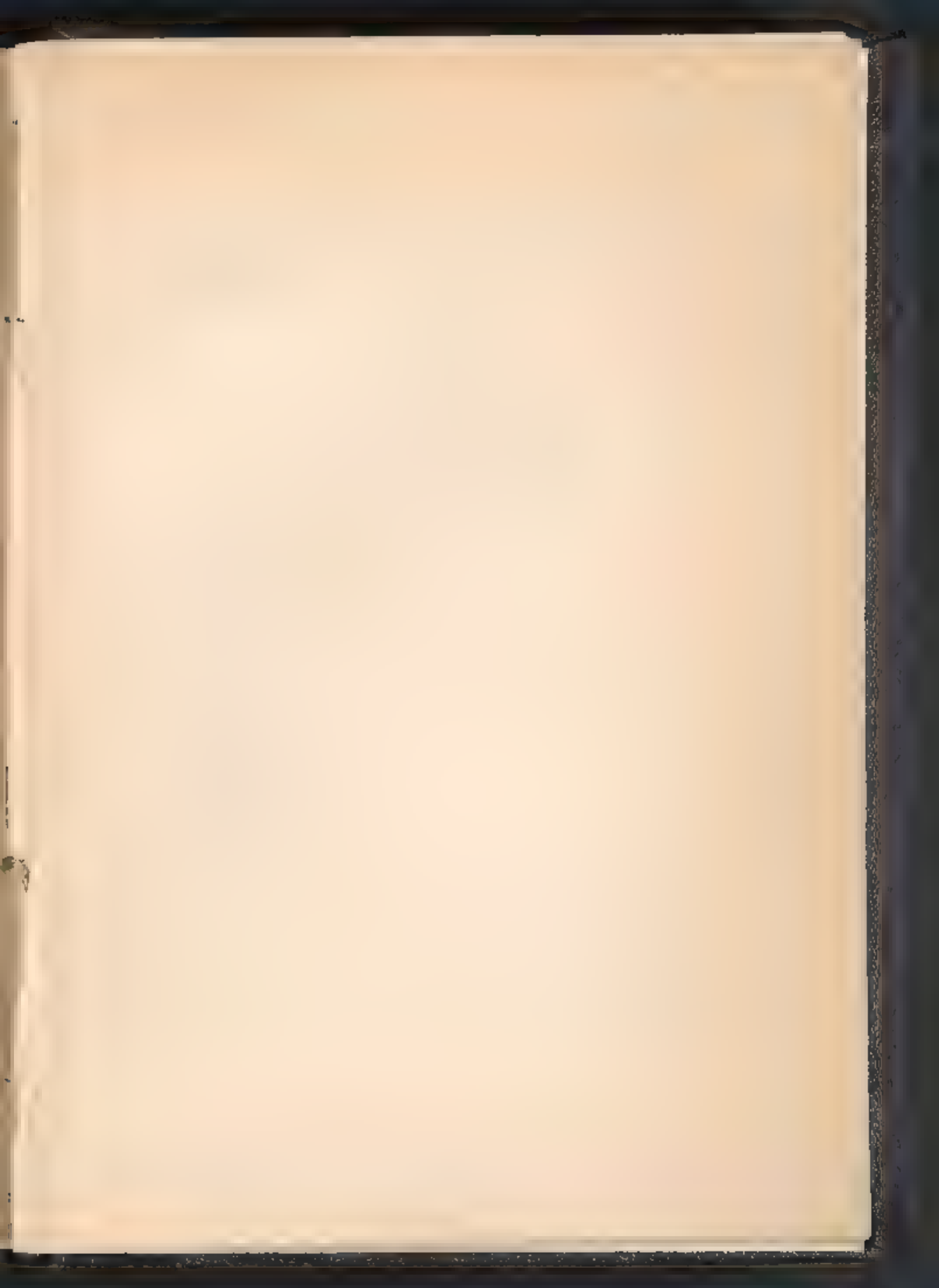
الركنور عبد الجبار الجومرد

المقدمة

نظرة في تاريخ البصرة

١٤ - ٢١٧ هـ

- ١ - بناء البصرة وعمرانها
- ٢ - النهضة الاقتصادية
- ٣ - الحركة الفكرية
- ٤ - الشعوية
- ٥ - الأدوار السياسية ، وقبيلة باهلة



بناء البصرة وعمرانها

على أثر الانتصارات التي احرقها جيوش المسلمين ضد قوى الفرس في العراق ، اوعز الخليفة عمر بن الخطاب ، ع . (١٤ هـ = ٦٣٦ -) ، الى احد قواده هناك « عتبة بن شرو » ان يبني حصن في اقصى حوض وادي الرافدين ، ويختار بقعة ارض تسمى بلاد فرس ، فيبني عليها معسكراً ثابتاً يكون نقطة انطلاق للجهاد والفتوح وامداد الجيوش العربية الاسلامية الزاحفة نحو الشرق . مشروطاً عليه ان تكون الارض المحاذية هذه صالحة للاقامة والعمران ، وان لا يفصل بينها وبين مقر الخلافة نهر او بحر .

فاختر عتبة قطعة صغيرة من الخيش وعمر من الأعراب لا يريد عددهم على نصف مئة الى مئة حوض العراق ، وحمل ارضاً تكثر فيها المياه والمراعي وتجاورها آبار واسعة ست فيب البردي والقصب اسعد للاختطاب والماء . وعينها ابيه قتيبة يسكن حرس للحدود من حدود فرس ، فحلاهم عنها ، وخططها الى مئة دسك ، واث في وسطها معسكراً ، وسيد حاكمه مسجداً وداراً للأمانة . ثم اوعز الى من معه من الناس ان يسوا بيوتهم على خطة رسمها لهم ، فبناها باطنين والقصب على شكل فرقة واسعة : وقسم اراضيها الى مقاطعات ورعى على السكان ، وشجعهم على زرعها واستثمارها وسموها « البصرة » لوجود حجارة صلبة بيضاء في تربتها (١) وقيل انها سميت كذلك لأسباب اخرى اخلف فيها المؤرخون (٢) .

وعلى أثر تأسيسها ، أمها عدد كبير من القبائل العربية المجاورة ، وبنوا

(١) معجم البلدان : كلمة البصرة .

(٢) وقيل : سميت البصرة لأن ارضها سبخة لينة ..

حولها في منازل متفرقة سمي كل منها باسم قبيلته ؛ ونزع اليها جماعات من سكان القرى والأرياف القرية ؛ ثم هاجر اليها أسر وافراد من عناصر محمله وردت من فارس والهند والحشة ، وكل ما يمكن ان يحمله البحر الى العراق ، من سكان السواحل القصية والداية .. واصبر هذا المحيط من النازحين في الأثرية العربية ، فتكلم لغتها واعتق دينها الاسلام .

وهكذا لم تمض حقبة طويلة من الزمن عليها حتى اسع العمران فيها واستدت رقعتها الى عدة فواصح مربعة ، وصحح عدد قضيها خلال عصر واحد الى ما يقرب من مائتي الف سمة ، وتنور في حوصص طنقات اجتماعية تميزت عن بعضها بعودها ورائها ومعنى . وفي مقدمتها « الطنقة الخاصة » المتكونة من الأمر العريقة المنحدرة من الأمراء والقواد والولاة الذين حكموا المدينة ولعبوا ادواراً مهمة في تزيح الدولة الاسلامية في عهد ابي ابراهيم الراشدين واهل بيته ؛ وحقق من العرب من محقق القائل (١) .. كانت هذه الطنقة ذات ثراء واسع بفضل ما استولت عليه من مقاطعات وراعية كبيرة خلال تلك مدينة المصرة او بعد ذلك بقليل ؛ وودت قوة وشكيلة لانتماء معظم اسرها الى تلك القبائل التي استوطنت اطراف المدينة واحتفظت بأسسها وشخصياتها وعصبها القبلية .

ولم يلبث « الطبقات الواسعة » على اختلاف درجاتها واصنافها ؛ وفيها النجار والزرارع والصانع واداب النخب الحرة والعمال والكاسبون بكدهم

(١) ذكر المؤرخون عدداً كبيراً من هذه الأسر التي عاشت الى عهد الاصمعي وعرفت بمكانتها الاجتماعية وسعة ثرائها كأ أسرة « المهل » و « سو ناع » و « ابياء معقل » و « آل مينة » و « اساء عامر » و « اللالايون » وأسرة « ابي بكر » ، سفة الى كل من : المهل بن ابي صبرة ، واباس بن الحارث ، ومعقل بن يسار ، وقبيلة بن مسلم بن ابي وعداق بن عامر بن كزير ، وللال بن ابي بردة ، وصعق بن الحارث بن كلدة المعروف بأبي بكره وهو ابو رباح بن ابيه من امه .. ولكن من هؤلاء وغيرهم ما يرجع معروف .

اليومي . وتكون من خليط من تلك العاصر المختلطة : عربية وبطيّة
وبويّة وحراسيّة وهندة وغيرها .. على ان طلبة اخرى كانت نساكها
وتماز من غيرها بقرها ونؤسها . وجلها من المتولين الأعراب الذين املت
مواسمهم فجاءوا بدججوع العيش عن طريق الاستجداء والسؤال ، ومن قراء
القرى والأرباب المحورة الدس يسمعون بحيرات البصرة ويعيمها فيقصودونها
طلباً للعمل في سبيل الحياة .

والظاهر ان النور في الثراء بين محلف هذه الطبقات والأفراد كان
شاسعاً ، كما كان الفرق بينها من ناحية المعيشة والسكنى والمظهر بيناً واضحاً ؛
لذلك تمتد امدّة للرأي متناقصة في كل شيء حتى في جمال احيائها
وظرار انشاء بيوتها ومواد عمراسها . فن قصور فضة حميلة بنيت على طراز
درسي اتقن لها حدائق مرهرة مثمرة عناء ، الى بيوت وجهية المظهر
والرخوف اقيمت بالآخر والخص ، الى اكواح سورت باطمين وانقصاء
واعصاب الشجر ، وحياء سجت من الشجر واحيطت بالخطب والشوك
وسعف الحيل .

وكان المسجد الجامع ودار الأمانة قد بنا - في اول الامر - بالانقصاء
والطيب ؛ ثم جدد ساءها بالآجر « ابو موسى الأشعري » في عهد عمر
ابن الخطاب . فلما بولى « زياد بن ابيه » شؤون البصرة ايام « معاوية
ابن ابي سفيان » هدمها واقامها ثابة بالحص ؛ وعني بالأسجد كل العناية ،
فستقه بحشب الساج المطرز ، وزكره على اعمدة دقيقه الصنع جميلة الزخرف ،
ونقل منبره من وسط المنصلى الى صدره ، وفرش ارضه بالخصى الناعم بعد
ان كانت تربة تتعر بها ثياب المصلين ؛ وفتح بينه وبين دار الأمانة باباً
يدخله الوالي فيصعد الى السردون ان ينخطى رقاب الناس .

وفي اسجد جامع موضع عنابه الحناء والولادة المتعاقبين : وصار سجد
لتوسع شيئاً فشيئاً ، ودخل بعض البيوت المتجاوزة ، حتى كان عهد هرون
رشيد عام (١٧٠ هـ) وأمر بضم دار الامارة كلها اليه ، وأخذت من مقدمه
من مساهمة ، وتربيته ، آيات قرآنة كتبت على سقفه وحجراته عظم جميل
وإذن لطيفة راحة .

وعلى أثر تساع العمران في مدنة مصر ، وصحبه عدد سكانها ،
و دهر حركتها الاقتصادية ، أثر حوفاً كبير من الصواحي الجميلة من
الحقول حصراء وسدين النحل والقواصص . على سفوف شط العرب
يكثر ، وحول الحدائق والقنوات أشجاره منه : وست فهد القصور
والدوت ، وأقيمت لها أسواق حارة وعية . تقصده المصريون للذهاب أو
ساحره والصيد وقمص . . . ويعبر من حوائط مدنة الى هذه الصواحي
مدنة طريق أو سكتة سمي كل منها بمساحة التي يصل اليه ،
كساحة (البرد) و « سبور » و « الأنة » وسيرها

النهضة الاقتصادية :

ورغم سوء مباح مصره في بعض نواحيه . وارضها السجدة ، فقد
دهرت فيها اربعة اودهر عظماء ، والمعشيت - فصل موقعها على جانب
البحر الذي ترتفع مياهه وتحتضن مساعده الله والحرر الذين يحصلون روم
في هذه الحايح المدرسي واسع - سها وأورفت . وثققت فيها الترع
ولأهل لصعده ، ورمت بها انواع المواكح وأجار سبي فلتت اليها من
بلاد نسيه لها تساج والترمة ، فكثرت حاصلاتها من كل عرس واشهرت
خودة المعر وكثرة أصفاه التي غني به المصريون عدية وثقة .

وللمؤرخين آراء مختلفة في أول من عرس النخل بالبصرة . فدعى البعض : بأنه كان موجوداً فيها قبل مجيء العرب إليها وتأسيسها على أيديهم ، مستدلين على ذلك بأن حش عتة بن عروان الذي بناها كان يأكل التمر ويتم به غذاءه عند نزوله أرضها . وقال الآخرون : بأن النخل كان موجوداً في قاع منفردة من أراضي العراق الحوية قبل الفتح الإسلامي لها ؛ فلما سبت البصرة ، وورعت انقطاعات فيها بين سبها . تقوا فأنزل النخل إليها من القاع الحوية وعموا عرسها . . . وقيل إن أول من بدأ عرسها هو أبو بكره « صيغ بن حارث بن كلفة » أخو ريد بن أبيه من أمه . وهو الذي علم الناس أصول زرعها ، وكيف العناية بها ، وكيفية الأهر حوتها . فكثر زرعها وحصلت أنواعها ، وورعت حودة ثمرها حتى قال فيه هارون الرشيد : « بطراً . هذا كل ذهب وفضة على وجه الأرض لا يسع ثمن نخل البصرة (١) »

وعرفت البصرة بزروعها خيوايه أصنافاً ، وفي مقدمتها الأسر على أنواعها ، من بهري عيش في شط العرب الواسع الحش ، وبحري بوي إلى الخسح الفارسي من عرض المحيطات وقد عنت طبقة كسره من المصريين بصيده ، فجمعوا له مناطق خاصة تقصدها الصيادون في المواسم ؛ وفرضت الحكومة على صيده ضريبة معينة تتقصد على الحصا ، وعنت له المراقبين والجاة (٢) .

وكانت الحيوانات البرية كثيرة فيها وفي أطرافها ؛ ومنها الأهلي الأليف الذي عني العرب بتربيته كالحيول والجمال والبعال والحير البيض النادرة والأعنام ، ومنها الوحشي الذي كان يذبحه والأرانب والذئاب ؛ وحتى الذئاب

(١) معجم سدان : كلمة بصرة .

(٢) ابن حنبل : ج ٢ ص ٣٤٥ .

والأسود المنشرة في أودية معروفة غير بعيدة عن النصرة . وقل كذلك عن
العام والطيور على أنواعها ، الداجنة منها والنافرة . . وقد وصف خالد بن
صفوان خيرات هذه المدينة للحليمة الأموي عبد الملك بن مروان ، فقال :
« . . يفتدو صيادونا ، فيجيء هذا بالشبوط والشم ، ويجيء ذاك بالطي
والطليم ، ونحن أكثر الناس عاجاً وساحاً وحزاً ودباحاً ، وبرفواً هملحاً ،
وحرمة مفداحاً . . يوسا الذهب ، ويهرنا العجب ، أوله الرطب ، وأوسطه
السب ، وآخره القصب (١) » .

وكانت النصرة قد أصبحت مرفأً مهماً من مرفأء الدولة الإسلامية ،
تمر بها قوافل التجارة من البحر إلى البحر ، وكان طبيعياً أن نشط
فيها حركة التجارة ، فيمر سوقها ، وتبدل فيها الحاجات وترخص الأسعار .
وراد في شاطئ هذا أسفل عاصمة الخلافة من الشام في العهد الأموي إلى
العراق في أيام دولة بني العباس . وكان للنصرة نصيب في حل ما يرد إلى
عاصمة الدولة الجديدة وغيرها من مدن أرض السواد ، من بضائع الهند
وتنجها وعاجها وساحها ، ومن منسوجات الصين وأقمشتها وحريرها ، ومن
حاصلات حزر الهند الشرقية وبوانها وعطورها ومواد رمتها وحيرواها ؛
كما كان لها نصيب فيما يصدره العراق من حاصلاته إلى البلاد الأخرى
عن طريق البحر .

وقد عرف البصريون في ذلك الزمن نشاطهم في الملاحة وركوب
البحر ، فصعدوا السفن الشراعية الثقيلة ، وامتلكوا الكثير منها ، وعبروا في
أعماق المحيطات ، ووصلوا سواحل البلاد البعيدة في سبيل التجارة ، وبنوا
بضائعها إلى مدينتهم حيث كانت تنزع منها إلى داخل البلاد والأقاليم

(١) معجم البلدان : البصرة .

الاسلامية المحورة . لذلك امتلأت موانئ النصرة بسفن اي قن واما
الشاعر « ابن ابي عينة المهلي » :

رحمة وقت الحرب ف يعطى دمه ولا تمن
الدمع و تحسب وطناً ان فوادي شهاباً وطناً
من سمن كاسماء مقسمة ومن دم كالحب سمن (١)

بحسب هذا السهم الزراعي والاقتصادي تعدد النصارى من حركة صاعية
موقفة سكتة من زرع اليها فسكر من الترس والشمود والصيفيين وغيرهم من
القدميين من بلاد عريقة بالصناعة المستحصرة . فصنعوا انواع السلاح من
المعادن المستوردة من حراسين وغيرها : وتقسوا في صن السيف وترصيحها
وترين المدرع وعبيد : وثقفوا ارمح والسهم الي صموده من شرايا
اشسي ، وصنعوا الذهب الوارد من الشرق وعموا منه شتى الخي وطوبوها
بالخواهر والأحجار الكريمة الي كل شئ سم البحر من سواحل المحيط :
وظلموا الآلات الساحرة المستخرجة من قعر ابدج المدرسي : وطعموا ارسوم
والقوش على كلوس الرجح ناواش شعرة راهية كما وصفها الأديب البصري
ابو نواس بقوله :

تدار عليا اراج في عسجدة حسبا انواع الصووير فرس
قوارسها كسرى وفي حسب مهي تدريسها تقسى القوارس

وعزلوا الصوف وسحوا القطن والحرير ، ومرو بعصر السواكه وطرق
حفظها ، وقطير احمور من الأعشاب والتمر : واستعملوا الطواحين المائية
والهوائية : وعموا قنف والصران وتغيرت من القصب والبردي وسعف

(١) معجم البلدان : النصره .

الحل الموجود عندهم مبرارة .. ولم تختلف الصاعقة في الصرة عنها في
اسم واعداد شطاً وحوده وآهات .

بعد ان هدد اخبرات الطسبة والأرباح التجارية والصناعية الوافرة لم
تكن موزعة باسطة على سائر طبقات السكان ؛ ولكنها كانت تقيص على
العص السير منها . ويصل في سواد الشعب حيث يكون الوسط ثم
العقر والنسول . ومع ذلك ، فقد كانت الصرة حراماً من غيرها من المنس
الأخرى لسهولة العبث ورحص الحاجت فيها . وقد وصفها احد الزائرين
لم في بيت الاء فقال : « هي خير بلاد الله للمناع والعرب
والمنس : ام الخانع في كل حدر الأرة والصحة فلا يفتق في الشهر
اكثر من درهمين ، وام العرب فيمكن ان يروج جزء من الدرهم ؛
وام الخانع فلا عنه شئ ما بقيت له معدة كل (١) . . . »

فكان من سعة سوء توزيع الثروة هذا ان وحد في المجتمع المصري
طبقت اسرمت في الدفق والترف ، فست في قصورها اجتمع متعددة
حاصل بعضها حراماً للأسرة ، وحصل البعض الآخر للصيوف والمنس ؛
واسوا سئت هذه يدور وينسق حدائقها ، وركبوا في المواكب الصحة
من الحديد والبرادين البيض والسلاح المجل بالذهب والقصة وانواع الرمة
والأسنة المخرة .

وكل الشعر السند في المنس ارجل - ومند - العمة العربية المذكورة ،
او القنسوة المصرية الصحة ، والحب المونة ، والثيب المصنوعة في مصر
او اليمن المصنوعة من الكتان والنض المخر او الصوف الدسم والمطرزة
احياءً بخيوط دقيقة من القصة او الذهب ، والعلل العربية او « السيرة »

(١) معجم البلدان : الصرة .

الفرسية ، والحوارب القصص او الحرية او الصوفية المعنة من اطرافها
بالخلد الرقيق .. واما النساء من هذه الأسر اموسرة فكانن نخلن الدمشقيات
ثم العدايات ريشهن ، من علايا حرية رفيقه ، وثياب من الدمقس ،
وعصبات في الرأس مرركة بالؤلؤ والخوهر ، واحدة حصة تسج احباً
بحيوط معدية لامة .

وكان في البصرة ، كما في غيرها من اميات المدن ، اسواق عامرة
لبيع الرقيق الأبيض والأسود والأصفر : وفيهن الحواري الحسان اللاتي يؤتى
هن من البلاد المفتوحة حراً ، او من المولدات في بعض الأقطار الاسلامية
للتجارة والبيع . وكاد لا نحو اسرة غنية في البصرة من جارية او عدة
حواري على احلاف احسنهن من تركية او رومية يضاء او صينية صفراء او
حشية سوداء ، يشترين لأجل الخدمة او التسري كمادة ذلك العصر .
واسواق اخرى لبيع العبيد من الرجال المجلوين من بلاد السودان والتوبة والحبشة
لأجل العمل والخدمة في الحقول والمزارع . وقد كثر عدد هؤلاء في البصرة
في العصرين الأول والثاني العباسيين الى حد كبير وكان لهم فيما بعد شأن
تاريخي خطير (١) .

الحركة الفكرية

بحسب ذلك التقدم العمراني والاجتماعي والانتعاش الاقتصادي ، نشطت
في البصرة حركة فكرية ، اتسعت على مدى الأيام وصعمت فكانت
احدى القواعد الرئيسية لمرح الخصرة العلمية والأدبية الاسلامية التي
نعيش اليوم على تراثها الخالد .. ولم يفس البصرة في هذا المنحى - ومثله -

(١) انظر ثورة الربيع في تاريخ عسري وعده في القرن ثلث فجري .

غير مدسه الكوفة التي شيدت بعدها سنة اشتهر على وجه التقريب .
يقول المؤرخون : عندما اتسعت رقعة الدولة الاسلامية ، واضوى
تحت لوائها ممالك شتى متهومة شعوب غير عربية اعتنقت الاسلام ، بدأ
الناس يندحسون في فراءهم القرآن ، فحيف عسيهم من الانحراف عن اصول
الدين بسبب ذلك اللحن الذي قد يغير في معاني كتب الله : فظهر جماعة
من المفكرين ، وضعوا قواعد رئيسية مبرمة في القراءة ، سميت « علم النحو » .
ثم طل هذا العلم يتسع وتركز وسطه حتى اكتمل في نهاية القرن الثاني
لهجرة .

ثم اصبحت اسمعول بعد ذلك الى فهم بعض المعاني القرآنية الصعبة
انفعه والادراك على غير العرب ، وحتى على العرب الذين ولدوا وعاشوا بين
الشعوب العربية ، فبدأ « علم المصدر » . ولما كانت التفسير يحتاج الى
معرفة اللغة الصحيحة ، رجعوا الى اقوال العرب الاقدمين ، وقارنوا معانيها
بمعانيهم ، والمعاظم بالفاظه ، وكلماتها بكلماته ، فظهر من ذلك « علم فقه اللغة »
الذي اصبحت فيما بعد اسماً لتأليف المعجم المعنوي .

وما كانت اقوال العرب الاقدمين من خطب واشعار وامثال وحكم
وغيرها ، غير مدونة في ذلك العهد ، ولا مجموعة عند احد من الناس ، ظهرت
جماعات من العلماء اشبعوا بحفظها وتسجيلها وصحيفتها بعد ان كانت مبعثرة
في صدور الرواة واحتفاظ من الاعراب الفصحى اسقيين مع قرائنهم في وادي
قبلى الجزيرة العربية واطرافها . فاحتضن بعضهم رواية اللغة ، واحتضن
الآخرون رواية الأدب ، وان كل من الصعب التفرق بين الاختصاصين
لا يتماطها اثنين بعضهم .

وكان هناك نوع آخر من الرواية في قراءة القرآن حسب لهجات

القائل التي تختلف في تلفظ بعض الكلمات اختلافاً بسيطاً سطحياً لا يتعلق
بجوهر معاني الآيات ؛ ففي عدد من العلماء تدوين هذه اللهجات في قراءة
الكتاب المنزل ، فث من ذلك علم « القراءات السبع » سنة الى اثنتك
العلماء السبعة الذين جمعوا هذا العلم عن الصحابة والتابعين (١) .

واستعانوا ايضاً - لأجل تفسير معاني القرآن وأحكامه - بالرجوع الى
أحاديث النبي عليه السلام . وكانت الأحاديث مدونة الرسول قد سمعت
في صدور الحفاظ من صحابه ، فعملوا على جمعها وتدوينها ودراسها ،
فكان « علم الحديث » الذي تشعب فيما بعد الى فروع تتعلق بشرحه
وأصوله وعرضه وصحيحه ومسحوله ودراسة أحوال رواه ، الى آخر ذلك .
ثم فكروا في إيجاد شريع يستعملون به للحكم في قضايا الناس وما
يتعلق بأحوالهم الشخصية ومعاملاتهم المدنية ، وكان اعتمادهم في ذلك قبل
كل شيء على القرآن والحديث ، فاستنبطوا منها الشريعة وأحكامها
وتوسعوا في ذلك حتى شاع علم « الفقه الاسلامي » بمروعه المعروفة كعلم
المنطق والمنطقية ، والجدل ، والعرائض ، والشروط ، والقصص ، والقضايا ، ونحوها .
وكان من أثر انتشار العلوم القرآنية هذه وتوسع المسلمين في مواضعها ،
أن كثرت النقاش والجدل حول المعتقدات الدينية وأهدافها وفلسفتها ، فظهر

(١) القراء السبعة الأوائل هم :

عبدالله بن عامر اليحصي	—	المتوفى عام ١١٨ هـ .
عبدالله بن كثير	—	١٢٠ هـ .
عاصم بن أبي نوح	—	١٢٨ هـ .
يونس بن قنطاع	—	١٣٢ هـ .
أبو عمرو بن العلاء	—	١٥٤ هـ .
حرث بن حبيب	—	١٥٦ هـ .
نافع بن عبد الرحمن	—	١٦٩ هـ .

علم الكلام وسمي اصحبه « الشكوك » ، ومهم « المعركة » . ثم
نزع الاعتراض الى طوائف مختلفة في القرن الذي لهجرة .

وكان غير القرآن وحدث واستخرج الأحكام منها يستخرج معرفة
الأسباب التي رأت من احب الآيات وقيلت الأحداث السوية ، عمدوا
الى جمع السيرة المحمدية ودونها بتفصيل . ثم اضطروا لأجل التحقيق في
مسائل حدث في البحث في اسيدهم والفرق بين صميمها ومساعدتها ،
فجرهم ذلك الى النظر في ترجمة رواية الأحداث ومعرفة احوالهم وسيرهم
وتقسيمهم في طبقات . فكان هذا من أهم ابواب في اسماء « علم
الأسباب » . وغير السيرة وانصب . ثم جمعوا احاديث العرب في الجاهلية
والاسلام ودونها في حوزتهم وأيامهم وشروائهم وفصولهم فظهر « علم التاريخ » .
وأخذوا بحججه بعد ذلك في دراسة احوال البلاد وأراضيها وطبقتها ،
ومعرفة كسبة القديس في تربيته مسمين - حراً - كان ثم صمد - سكي
فصنوا على عهد الحكماء احدثه واحراج وغيرهم ، فساهم ذلك الى النقل
في علم سلكه الاسلاميه ومعرفة موقعا وحده وودعه وسببها وحالها
ومسببها . فكان علمهم « علم التاريخ » . وكانه بدأ في اوان الأمر
شكل في سبط ثم صور بعد القرن اربع وخمسين في علم أم وأدق ،
وخطير سدد من رحمة من « ما هذه البلاد ودرسوا احوالها وكسوا عنها ،
وسموا حرائص بقدر ما استخرجوا . ثم بدأ غير ما ذكر ، عبوة اخرى
كثيره صيغ هذا البحث انتصب عن حصرها وتعدده .

كانت مدته قصيرة - كما في . في مقدمة البلاد الاسلاميه التي
نأت في هذه لفظة العامة . وقد احبب الباحثون في اسباب ذلك
ومسبب آراؤهم . ولأصح مما هو ان جماعه من اصحابه الحافظين

للقرآن والأحاديث نزلوا فيها وسكوها في أوائل أسسها ، وسعهم عدد
آخر من علماء التابعين من العرب وأماوي . كما سكها معهم جمهور كبير
من المفكرين وطلاب العلم من شعوب غير عربية ذوي حضرة عريقة . علم
والأدب والفن ، وسعت من ذلك حوزة ديني علمي . برعنت فيه بيت
النهضة ثم تفتت على مر الأيام ، وادهرت بفصل وجود المحدث الجامع
الذي أصبح مركزاً للدرس والعلم : وفصل محوره « سوق » « مرد »
الذي استحلال بعد قرب أي مركز أدبي سياسي واجتماعي : وقرب
الخبرة العربية موطن النهضة المعاصرة ومسودح الأساطير العسكرية المعاصرة
التي سبغ وأجدد .

بدأ الدرس والعلم في المسجد المذكور على شكل دائري بسيط ، ثم
توسع وأوسع حين أخذ شواحه وأسده في التوسع والاحت
والدقيق شتاً فشت حتى أصبح شتاً كعبة علمية رائعة ، عقد فيه الخطب
من الطلاب على شكل دوائر ، يحيط كل منها أسوار ترفع أمامهم على
منصة مكشوفة إحدى أسطوانات المسجد ، ولهمي عليهم محصراته مما جمع في
أواحه أو حفظ في ذاكرته من العلوم النقية والتطبيقية على حلالها . وقد
لا يكون الدرس في فرع علمي واحد ، وإنما سبغ في نفس وقت أي
فروع مختلفة من غير للقرآن ، ورواه حديث . وفائدة نحوه ، وفقه
عوي ، مع شيء من الأدب والأحاديث والأساطير وغير ذلك .

كانت أبواب المسجد أجمع مفتوحة بلا ستر لكل راعب في الخدمة
العلمية ما دامت هالك حلقة معقودة لأسد من الأسادة . وللطائف حرسه
الكاملة بدون قيد أو شرط في احتبار الخفة التي يراد ملامتها والأسناد
الذي يرغب الجلوس إليه ولإفادة منه : كما له حق النفس بين احتفت ممي

٢٤ - وليس عليه امتحان مفروض يؤده : وبست ههناك شهادات تعطى
او درجات تقدر .

وقد لازم الطالب حصة اساء من هؤلاء الاسادة الكثر أعواماً طويلة
واسين اقصر ، فمش بين العلم وانعم صلة ودية وصداقة وحرمة تعود على
الطالب بفائدة من عيب ووجه وإرشاد .. وقد تنقل طالب العلم بين
الحق في وقت محضه ويعرف ان اسادة شديدين فيحد عن كل منهم
العلم الذي تنبزه ويختص فيه .. وحتى الاسادة معهم . يحضر بعضهم
حقاً رمالهم لسمعوا منهم مسألة من امثال او تحدوا قراءة من
القراءات او فروع من فروع العلم التي لم يخصصوا بها . ولا يحدون نساء في
ان حسوا مع طلابهم امد زميل لهم ، ما دام ذلك في سبيل الحصول
على الفائدة . ورنه حرت اساقشات وانصارت حول مسألة من امثال
الدفعة بين هؤلاء الاسادة . فبشي كل منهم بحججه وبياناته ومستنداته
وأشبهه حتى محي حقيقة ذلك اسائه وتنصح الصواب ونعم الفائدة
على الجميع .

ولما كان السجد هذا مقصوراً على الاسادة والطلاب ، بل كل يحضر
حققه حليط من سائر طنقت المجمع النصري من عشق العلم والأدب
والشعر ، وفيهم النحر والصانع والأمير والفقير ، وحتى الأعراب المصحاء
أو الأدباء ممن يمدون الى البصرة في شؤونهم الخاصة ، فيدعون السجد
ويحسون في حققه ، ومافئون شيوخها عارضين ماعدهم من أدب يحفظونه
او شعر يروونه او مدرة سمعوا بها ، او شيء من اناحيم الشخصي في
الشعر او النحر او الكلام العتيق المشهور .. وهكذا يصح السجد اشبه
بسوق ادبي رائج ، يهتته السؤال والحوار والاشاء والأحد واراد واماشة

والقد والتحليل .

وهالك جهرة من الظرفاء يعرفون بـ « المسجدين » ، يتخذون المسجد
بدوة لهم ، فيطعمون مكوثهم فيه ، وعشايهم له . ولم يكونوا - في الواقع -
من صف واحد . وانصرتهم خيبة من الناس ، منهم الراوية والأديب
والشاعر والعالم ومنقطع الحكمة . فتراهم يستطعمون من هذه المقادير التي
يزخر بها جو المسجد ، ويختصرون حلقات الأستاذة المعروفين بالأدب
والطرف وحنف الروح ، ليمسحوا بها في محاسنهم من بدرة طريفة أو
شعر رقيق أو رواية فكاهية ، أو مسحة عذبة أو قصة سر جويها كانت
لاذعة . وبعض هؤلاء المسجدين لا يعرف في غيرهم من العلوم ، وانصرتهم
يصيبون من هذا وذاك ، ثم حسن بعضهم إلى بعض ، يحدثون في شتى
الأحداث ويحدثون اصناف المسائل والموارد . . . على ان فيهم من كان
يلتزم الحقائق عند لأحسن الحصول والاعتراق في القناعة والعمق ، فلا يكاد
ينتهي من حلقة حتى يبدأ بالأخرى ، ثم يعود في رعت قرائه للاجتماع
بصحبته من هؤلاء المسجدين الظرفاء .

ولم تكن الأستاذة المسجدة من شيوخ الحقائق هؤلاء روائف مقاصدها
من حاسب حكومي أو شيد حكومي لقاء اصدقة او دية في اعطاء الدروس (١) ؛
واما كانوا يترعون بذلك في سبل الخير والجمع العلم ، ويرون في عملهم
هذا شيئاً من التقوى والتقرب إلى الله . فكان بعضهم شغل سنين الحرة
كالتجارة والصناعة ليد حاحه ، وكسب ما يعيش به . ان لم يكن عيياً واسع
الحال ؛ وام القليل الضعيف منهم فقل فرصاً من امير مؤسر او ثري

(١) كان بعض هؤلاء العلماء يشغل بالتجارة ، وبعضهم يفتل قمرس ، وآخرون يعيشون في
كفاف .

يعطف على النعم والعبراء ..

وهو يدفع طائر النعم ثم نحفهم ودراسهم ، إلا ما كان على
من الخدمة ولا كرم سعة الأعيان ، منهم لأسانهم في المسسات ؛ على
الشم الأكر من أوت الأمانه كانوا يرهدون حتى بهذا النوع من
الغناء ، حذوا شوايه المدي وثا عسويه من احترام واحلال في مجتمعهم .
واقبال من أوت اشوح من نفس ائمه واسعد من طلاله (١) .

كانت هذه المجموعة الصعبة من العز ، وسفهم واستمعين - في
صحن مسعد - في حركته مسيرة وحيد موان في سلال المذات
واحصون على مر من نموات المكرمة في عثرون عدها عند بعضهم ،
أو في عثرون شب في حرج المسعد فصد من مائر الأعراب المخورة
منه عصرة . وفي سوت البرد ، له شدة من المطرة في في الحرية
الغربة . كما حث حرة المكاء ، شدة في موضع الحنسة .

وكل قرب مصادر في هؤلاء المذنين عن لغة ولأدب ، هي مال
لأرب من سوضو في أطراف مله العسرة ، وعددهم كثير ، وفيهم
حج وعمه ورو : وكانوا لا يحجون على شمس المسعد وطلاله ، عطاشهم
من سوط من سوط العز ، في يحسون ، وواروهم من أسلافهم ،
لأجل موسم وحسن ولا يبع .

وهو « سوت برمد » وقع على عدد ثلاثة ميسر من البصرة ، نحو
صحراء وكل هذا سوت ، في أول امره . أرضاً خللاء بنزلها الأعراب
لندموت من حرة ينصبوا من بعض ميسر من بحر البصرة ،
فيبعوهم ح موانهم ، وشترين منهم ما خدحون اليه في وادهم البائية

(١) انظر كتاب معاني المعاني .

من الناس وطعام وأشياء أخرى . وكأنا يسمونه « سوق الأبل » ثم
 أطلق عليه اسم « المرند » ، وسيت فيه البيوت كما نرى في الصواحي .
 عرف هذا السوق من يوم تأسس القصرة . ولم يزل عليه ارمين حتى
 عرف وشهر ، وصار مركزاً اجتماعياً وسياسياً وأدياً على طرار اسواق العرب
 في خهنية ؛ ففيه الخطب ، ونشد فيه القصائد والاراحير ، ومكل
 فيه جمهير المنية ، سياسة عند المناسبات .. وقد لعب في العهد الأموي
 ادوار حثيثة في سياسة الدولة ، إذ كان يرد اليه الشعراء الكدر مثل
 ابن جرير وراعي الال والفرج وغيرهم ، وتؤمه الخطباء المنوّهون
 امثال الحسن وابن وحيد بن صفوان وغيرهم . فبدحي كل مية زاوية
 حصده . وسب حوطة الناس سمعوا فتناهم العراء ، وخطبهم
 القاصه في سياسة الدولة او معارضة ، وفي هذه بعضه مثل النعمان
 الآخر ، او في ريبه مذهب دول غيره ، الى آخر ما هنالك من العرب
 انصهرة في ذلك العهد ، فمن سائر موي الهوى . الى آخر شعبي مذهب ،
 او حرجي الرعة ، او عسبي الدولة ، او زبري الكره ، او غير ذلك ..
 وكان هذا الاسح الفكري يخصصه الزمان وحقوه الى مجلس امين والخواص
 ومسدي ، فسحدث به الرأي العام .

في الحقوى عهد بن امه ، واتسرت رائه بني النعمان ، وركرت
 دونه في العراق . حمت حذوة السياسة في سوق المرند ، وضعف شأن
 الحصة فيه ، وتقصص من الشعر السياسي عنه ، وتبدل حو ذلك المصراع
 الفكري حو آخر يعني بحوث الأدبية والمعور . فملأت حوالب السوى
 بالبحث عن ابعده الفصيحة ، وأشعر العرب واقتد به ، والأخبار والأسب
 والادرة والحكمة . ونغيت المرند موحت من طلاب العلم في مسجد القصرة

يسحبون عن الأعراب المصحح ورواة الأدب ولأحدر منهم ، لينعرفوا اليهم
وأنحدوا ما عندهم ، أو مدعوهم أي صيدهم في البصرة ، ويعفون لهم
محاسن ، ويثرون معهم ثلثات واجدل لأجل الحصول على الفائدة .
وهذا ما كان شجع بعض فصحاء الأعراب وروايتهم على المنجى إلى المرند
لأنه ما عندهم هؤلاء أراسين في جمع اللغة والأدب والأخبار ، عنه بعض
رواة البصرة التي هم في أسد خاجة - أحياء - اليها . وهكذا نفى
المرند رما طولاً كقصير عن لعدة حركة المسجد في البصرة التي
حسب عليها .

في شعر بعض رجال العلم وقوة الذمة في مسجد البصرة أن حدث
أكثر من فصحاء الأعراب ورواة الأدب القديس يكون أسوادي البعيدة
من بلادهم ، وهم مدعوهم الخاجة إلى قصده والمنجى اليه ، فشدوا روادهم
اليه ، ووجدوا في فجاج الخريزة العربية يقطعون بواديها سرقاً وعراً
وسلا وجواً لمبحث عنهم والافتاء بهم واحد ما عندهم من ذلك التراث
التي قبل أن يفتقر ويقلص فيصير .

وقد ظهر في العصر الأول العباسي عدد من هؤلاء الرواد الذين بذلوا
شظفاً من حياتهم في الأسفار واجتياز الصحارى اليابسة لأجل الاتصال
بمقابل في مسارب النائية ، لهذه الغاية ، أمثال خلف الأحمر وأبي عمرو بن
العلاء والأصمعي وغيرهم . وإلى هؤلاء وأمثالهم يعود الفصل الأكبر في
جمع اللغة العربية الصحيحة والشعر والأدب ، ونعدة بك البعثة التي آتت
مراها في بعد .

وذا كان لكل حركة دعت ومشجع ، فإن مدي كان يشجع أولئك
العلماء والأدباء على بذل ذلك الجهد الحسرة انصية في جمع ذلك الأسج

لعمري المكري من عم وأدب ، ووسيع طاقته ، وسطيمه وإذكاء شعته ،
هو - في الحقيقة - ذلك القدر الاجتماعي ، واقبل الناس على العلم
والأدب ، وتشجيع رجال الدولة لكل حركة فكرية في ذلك العهد إلا ما
كان محرقة عن سنن دين .

كان الخلفاء الأول في صدر الإسلام يصنعون قراء القرآن ومن يخطه
على من لا يخطه ، في العطء ، وجرع الأسهم على الخاضعين من شأنه
أخروب والمواحات . ولم يقصر حقه في إمية في ذلك ، بل فتحوا بواسطهم
للقب ، والعباء ، وقرنوا إليهم الكتاب ، وبدلوا في خرائطهم لأشعراء
ورواة الأدب . وراذ هذا في عهد بني العباس الأول : فقد كان أبو جعفر
امصور معه أحد قضاة عصره وعلمهم : وكان ابنه المهدي أقل علماً منه
ولكنه أدى به في أكرام العلماء واعطاء الشعراء : ووقع في ذلك كل من
ولده موسى المهدي وعمر بن الرشيد ومن جاء بعدهم من الخلفاء . . . وقد
جاء في الأحبار أن بعض خلفاء المسلمين - خلال هذه الفترة - كان يرسل
إلى عامه ، في أي قطر بعيد ، ليوفد إليه أحد رواة الأدب كي يروي له
نحلة قصيدة سمع أولها أو أحد أبياتها . ومنهم من كان سمع شيئاً من
الشعر فطرب له ، فسأل عن قائله ، وبحث له بعطاء من عنده وهو في
بيته . ومنهم من كان يرسل المسائل الفقهية الصعبة إلى محمد عام في مد
قصي ليحييه عليها ، ويكرمه من أجل ذلك .

كان هذا الاهتمام والتشجيع من أكثر الخلفاء بحمل ولاية الدولة وعمدا
على الأقاليم ينحون هذا المنحى تقليداً للوكرهم ، فيحاسبون العباء وقرنوا
الأدباء الموحدين في مسقطهم ، ويحرصون على مضادقهم والاسترشاد في بعض
الأمور بأرائهم ، ويحثون الناس على احترامهم ، ويمسكون في أكرامهم ، وبصحبهم

في انوارك معهم . ويسعون عن كل نافعاً مشهوراً منهم ، وينزلونهم
عندهم حسب طبقتهم : فالفقهاء والمحدثون ، ثم علماء اللغة والنحو ، ثم
رواة الأدب والأخبار . وكثيراً ما كانوا يحقدون لهم المجالس للمسطرة
والجدل والمساجلات الادبية ، ثم يندمون هم انفسهم وانسحب بعد ذلك .
وربما ابحاروا بعضهم من النواع السبعين شمل مصنف في الدولة ، او
يقرب الى الحقيقة فيكون في حاشيته و من بعده وحلأله ، او من
مؤدني اولاده .

وما كان هذه النهضة الفكرية في عصره ، منسوبة على دراسة العلوم
الشرعية واللغوية ، وجمع الانتاج الفكري ، وسوين اخبار العرب
من عرب الحاهلية وصدر الاسلام فحسب ، بل كانت مشحونة ايضاً
بالاسح الذي احدث لكثرة من سمع في هذا العهد من الشعراء والأدباء
والكاتب والناشئين .. ولا عادي إذا ما كان فترة التي عسى وها صاحب
الأصمعي بين عامي " ١٢٣ - ٢١٧ هجري " كانت فترة اسح ادبي
عربى سمع به مدة الفترة قمة مجدها كما سمع في علوم الخمسة التي
محدث عنهم . وكان هذا الاسح الحشد يجمع في حاشية وأسلوبه ودسجه
عن ذلك الاسح العربي التقدم ، ولا سيما في الشعر .

والسبب في ذلك اختلاف وسائل العيش ووسائل الحياة بين العهدين .
فقد كان كل من الأدب ادهي ولأموى عربياً صديقاً صلب عليه طابع البداوة
وحشوة الصحراء . في تحصر العرب وسكنوا المدن . واحتلصوا بالعناصر
الأخرى من الفرس والروم وغيرهم ، وعملوا الترف وبعمومة الحضارة في
صنوفهم وموضع إقامتهم ، وقسموا الثروات الضائلة ، ونسروا الجوازي الحسن
والثقت قصورهم ، خدائق امورة واجلس بزهرة ، وانعموا بامانة والعيه

بعد التشف والندوة ، وكثر من تعلم العربية من علماء الموالي وأدبائهم ،
واحتسكوا بالعرب فكراً واجتماعاً ، عبرت الأحياء والندسة في الأدب
العربي كل التعبير ، فحدثت وعيها مسحة من هذه الحصة ورواق من
ذلك الترف .

وأكثر ما يسم به الشعر في العصر العباسي الأول عه في العهد الحفلي
والأموي العربي الحدة ، وامتدة في اوصاف وارفة في اللفظ والاسراف
في وصف النساء وذكر الحرة والرياض والأزهار ، مع كثير من المحو
والخلعة في وصف العرب والعرب ، وغير ذلك مما لم يكن موحوداً
في اليهود الأولى .

أما الخطاة فقد ضعفت ديباجتها في العصر العباسي ، وصاءات روعة
الاسلوب الدوى اسين فيها ، ولكنها تعدت بأسلوب وافكار وآاء مسيسة
حديثة . . ولم يكن « الكنية والاشاء » عند العرب إلا قدراً ، كان
عندهم من الرسائل القصيرة وما يكتب بين الخدم والعرب . وكتب شطط
في اواخر العهد الأموي واواسط العصر العباسي الأول حيث بدأ الف
في الشؤون الاجتماعية والادبية ، ومع كتب مشهورون كل منهم أسلوبه
الخاص ، أمثال « عبد الحميد الكاتب » و « عبد الله بن المقفع »
و « عمرو بن حر الحط » وغيرهم من ادباء العصر .

وكان التأليف وتصنيف الكتب يزداد باطراد كلما زهت النهضة العلمية
واتسعت حواسها ، فتكوت طبقة من الناس ، اصق عليهم اسم « اوراقين »
يشغلون نسخ هذه التأليف الجديدة وبيعها على الناس . ثم مسيسة .
وكان لهم في العصر دكاكين في الاسواق تعرف بهذا الاسم . ولم يكن
عليهم مقنصراً على نسخ المؤلفات العربية فحسب ، بل كانوا أيضاً ينسخون

الكتب المترجمة من الكتب الاحسية الى العربية ، حيث كانت الترجمة قد
شقت في اوائل العصر العباسي وسأ العرب قراؤا الكثير مما اسجه
وامنه يونس وارمن وحكمة الخرس وامبود والسرر وغيرهم . وقد
مع في هذه الفترة من اثر من عدد كبير من المترجمين تقوا الى العربية كنية
لا تس . من مع هذه الشعوب العربية باعل واحصرة .

ومن بعد هذا من سبعة المصرة العلمية كانت - كما رأينا - تستند
في الأكثر على العلوم الشرعية ، وتستمد معظم مواردها من القرآن والحديث
والفقه ، وكان الطبع الذي ظهر في هذه الحقول في دروس
الاسان اذنية واستقصاء النعي البعيدة من بعض القرآن ، واخفف
المتحمسون في آرائهم السقيمة ، وتوسع البعض في اتخايم الفلسفية وفتح
الدرس والحدس في مسائل الدفينة القديمة لآويل والقياس ، ووفرت الكتب
الاحسية المترجمة اسماء المتأخرين ، ككوب رمية من المفكرين من صغاف
الابن مدين ، وحشرت دراهم الخدمة لعاليم الاسلام وظهرت بالاحاد
معرفت حسنة « لردقة » ؛ ولكن كانت عرصة لمطردة والتسكيل من
احياء وعملهم على البلاد .

هذا ما كان من امر الميعة العلمية والادسية ، واما من ناحية فني
الموسيقى والعناء فلم يصل النمرة فيهم الى ما وصلت اليه كل من المدينة
المسورة في العهد الأموي ، ومع اد في أيام هارون الرشيد . ولكننا لا نقول
بأنها حرمت كلياً من هذين المين الجميلين ، فقد ورد في اخبار البصرة اسماء
بعض المغنين والموسيقين غير انهم لم يكونوا في مقدمة زملائهم الآخرين
سوغاً فيهم .

الشعوبية

وكان من نتائج تلك الحركة الفكرية اواسع ولمحة في اردهرت في العصر الأول العباسي ان كشفت « الشعوبية » عن وجه تدفع ، وظهرت بوجه سافر بعد ان بقيت في اواخر العهد الأموي كامة مستتره . ولعبت دورها الحزير في الصورة بوجه حص ، وفي احدى العريضة الاخرى بوجه آخر .

ويتنقص الأمر في ذلك ، بل العرب في صدر الاسلام ، ولا سيما في العهد الأموي ، كانوا يسمون غير العربي بمن ينتهي اليهم بالولاء « مولى » . وكان بعض اعصمين لقومية العربية منهم لا يرون هؤلاء اكفاء لهم وإن كانوا مسلمين مثلهم . فلا تكسبهم « كسبى » ولا « دوية » إلا « دسائهم » او « دسائهم » في النكسة من بوجد واحترام . ولا سمحوا بهم . الحير في الصف معهم إلا وراهم في النواكب : ولا تستخدمهم « دوية » في الشص الكيرة التي كانت مقصورة على العرب وحدهم . واذا اقيمت مائدة عربية حضرها عدد من العرب ، « دسائهم » في خدمتهم : وإن أضفوا احد معهم من الموالي لعلهم وفصله اجلسوه في طريق الخدر لكي يحرم من يراه اسمه ليس من العرب في الضمير . ولا يجوز لأحد من الموالي ان يصلي إماماً على حجارة احد من العرب إذا كان هناك بين المصلين عربي واحد ولم كان عربياً . ونا اراد احد من الناس ان يخطب يفت احد الموالي خطبها قتل كل احد من (« موالي ») ، اي الى العربي الذي سمي ابو الست اليه ، فإن وافق كل لمحط بعد ذلك ان يخطب من امها ، وإلا فلا يجوز له بعد رفض ان يخطب : وإذا وافق الأب او الأخ ولم يوافق (« الموي ») العربي فصح عند السكاح إذا كان قد عقد .

وعلى بعض هؤلاء العرب في استقراطيهم ، فصاروا يطلقون على
 أسائهم من أميت غير عربيات اسم « المولدين » . واصطلحوا على العربي
 من ام غير عربية كلمة « هجين » ، واهتجة في الشيء هو النقص او
 العيب .. وحرى العرف عند امراء بني امية ان لا يتابعوا امويًا بخلافه
 إذا كان من ام غير عربية مهي كانت ميراثه وكهده : وهذا ما احر
 بعض امراءهم عن الوصول الى هذا المصعب وهم أحق من غيرهم به . فقد
 كان لتند المشهور « مسمة بن عبد الملك » - مثلاً - من حيرة
 رحمة وأقرب قريظة وله تاريخ مجيد في العروات والنبوح ولكمهم لم
 يسموه حين شعر كرس الخلافة بعد ابيه لأن مه كانت رومية .. وفي
 رواية ان الخليفة « عبد الملك بن مروان » خطب يوماً من احمد اشراف
 العرب ابيه يبروحيد احد اسائه ، فحده وثلاً : « كذا ما ترمي به امير
 المؤمنين ولكن حبي هجاء ولذك » .

وكان هذه البرعة الأرسفراضية محصورة في رؤساء العرب من النبوة ،
 وفي اصنفه العرب من رحل الدولة وغيرهم من ذوي مكانة . ورتما كان
 السعث قد هو النعمور من كل شيء ، يتصل سفيرهم العربي على غيرهم من
 العصر الأخرى ، لأهمهم هم الذين فتحوا البلاد سوفيهم ، وأحضروا هذه
 العصر النبوة ، وهم الذين شرروا الاسلام . وهدوا الشعوب الى طرق
 الحق بعد ان كانوا من الكفر .

والسهر ان احدهم الأمويين كانوا عدوا هذه البرعة في نفوس العرب
 لا كرهًا بنواي او ترفعًا عنيه فحب ، ولكنهم كانوا اصلاً يروا
 عددهم قد انكسر وصعب في البلاد العربية ، وصاروا يشعرون بالخوف من
 عبيهم على الأمور .. قبل ان معونة بن في سبعين دغ « احدهم بن

قيس (١) « وقال له : « اني رأيت هذه الخراف - هي اسوالي - قد
كثرت ، واراها قد قطعت على السلف ، وكأني انظر الى وثبة منهم على
العرب والسلطان ، فقد رأيت ان اول شطراً وادع سخرأ لاقمه اسوق
وعماره الطريق ، فما ترى ؟ » فلم يوافق احف على هذا الرأي وثبته
بالعدول عنه (٢) . . وردت فكر معذوبه حدث بعد ان ذكر مقبل الخبيثه
عمر بن الخطاب على يد رجل فرسي . ورأى ما كان للموالي من اليد
الطولى في إثارة النسة على عثمان بن عفان وبنه .

ومهم سكن العدل والأسباب . فقد نعت هذه الأرستقراطية العربية
رد فعل في نفوس المفكرين من سائر العرب ، فترسب في صدور بعضهم
الحقد والمغص ضد العصر العربي الذي يحكمهم ولا يرى مساواة والأخوة
معهم ، كما امر حدث من الاسلامي . وكان اول من أحس بهذا وفكر به
هم أبناء الطبقة النخبة من اولى الفرس الذين كانوا يدعون حصرهم
واستقلالهم وسيادتهم في العهد الساساني قبل الفتح الاسلامي . ولكن
هؤلاء لم يستطيعوا في العهد الأموي المظهر بهذا السوء حشيشة لنش
وإيران العتبات : فقد قيل : ان الشاعر « اسعدي بن سار » الساساني
الأصل ، دخل على ابي جعفر « هشام بن عبد الله » وأشده فصيده في
مدحه ، اسهب في مدح محمد بن عبد الله ، فعصب هشام من ذلك ، وأمر
بصره وإخراجه من البلاط . ثم ساء حرج بلاد الشام (٣) .

ثم زال حكم بني امية وأُسست دولة اعرابية تعبر عن الفرس .

(١) احف بن قيس احمد رعيه بن عيم وأحد لرجال المعروفين في العراق في ذلك العهد .

(٢) المقعد الفريد : ج ٢ ص ٢٧٠ .

(٣) الأعالي : ج ٤ ص ١٢٠ .

استورد من العسل رجلاً من العجم النواحي ، فحمت حدة ذك العصب
العربي . وراى الصمط عن الآخرين . حتى إذا اتسعت الحرية في ابداء
الرأي والقول على اثر اذهاب الحصار الفكرية في كل من البصرة
والكوفة و بغداد ، وقوي احكام العاصر انعمية بعضها . تظاهر
الحفدون من النواحي بعضهم للعصر العربي ، وقتوا وكنموا في ذلك ما
شؤوا . فسميت حركتهم هذه « الشعوية » ، وأطلقوا كلمة « شعوبي »
على كل من يكره العصر العربي ولا يفصله على غيره .

وكان اول من ظهر من شعوبيين ، في اواخر العهد الأموي ، اناس
سواهم ان الله خلق لاسان من طين ، وأمرهم من صب رجل واحد ،
وجعلهم شعوباً وقتل يعرفوا ؛ وأن الدين الاسلامي سوي بين المسلمين
وجعلهم في ميراث واحد . وحي بين المؤمنين ، ولم يفصل عريباً على
شعبي إلا « تنقوى » . ولكن المعص من العرب كانوا لا يرون في هذا
رأي ونسوا ان صدق لمصرهم للأسباب التي ذكرها .

في طور الأمر الى اسوأ من ذلك في العهد العباسي ، فظهر من
الشعراء الشعوبيين من هجا العرب وأنذع في هجائهم .

في لمة لم يصل « عكر » ب طس ولا خباء ولا « عك وهدان »
ولا « حرم » ولا « بهد » بها وطن لكه اني الأحرار أوطان
ارض مني يا كسرى مسكه فما بها من بني اللحناء إسان
وسمع من بين هؤلاء الشعوبيين ايضاً علماء ورواة ادب ، فأنقوا كتباً
في « مثالب العرب » وجمعوا اشعار الهجاء التي قالها شعراء القبائل
بعضهم ، فلم تنق قبيلة إلا اصداها بصب من ذلك الهجاء ، حتى قرش .
وحرفوا الأحرار والتاريخ والأشعار وسوها الى غير قائلها ، وزادوا فيها من

عندهم لعبة في نوسهم : وه كعيم ذلك ، بل وضعوا الاحاديث
اخلاقاً على لسان النبي صلى الله عليه وسلم ، فسووا للأدب والتاريخ والدين
اساءة كبيرة

وكان لدى بعضهم حياء من صائبة العقاب ، وجمعهم على ذلك ،
نقود الموالى شرس من العرب ، امش : عقوب من دود ، و : بي
رمك « ان ساهو في حكم دولة ، وسووا على امة لأمر في عهد
الرشد ، ومسخ : امراء موي : ما يتدح ثمة حنقه .

وما تقف سر : لعب وسعروهم موقف : ح : مة هذه المعوجة
الاشدانة على عتدهم ، ان صديو لها وفرة : الحجة : الحجة ودفعوا :
يسطيعون ، فبعث من حراء دت حرب كذا : : : : :
النس رماء فو : . وكنت مدسة اميرة اكثر مدس : : : : :
العصري . ودت لخدمة الفتنة السعنة فيهم من العرب والموي معا . وه
نكر الكوفة مش : في هذا الأمر ، لعلها عن حواء ورس وفئة لأمر
الكبيرة من نهر العرب فيهم . وه كن هذا الصراع على : : : في عداد
- اول الأمر - لنحرها في اشاء بهجتها المكبرة : سر ان التعويصة
تمت فيها بعد ذلك وترعرت ، وأحدث لها صفة سياسية ووعلت في
صفوف الحاكمين ورجال البلاط مص وحود الامانة وانعواهم من الفرس ،
فتمحست عن سائح وحمة اشعة .

الادوار السياسية ، وقبيلة باهلة

والنصرة وان لم تكن في يوم من الأيام عصمة خلافة كما كانت
المدبة والشام والكوفة مثلاً ، ولكنها من أمهات المدن التي تحت ادواراً

سياسة خطيرة في ربح العرب واسميين ، سواء أكان ذلك في أيام
احياء ارشدين ، أم في العهد الأموي ، والعدي الأول .
فهم حرج « حكيم بن حنف » العدي مع جماعة من قومه ، والتحقوا
بشاريين لمين رحفوا من بعض الأقصر الأخرى إلى احجاز ، وحاصروا
دار الحيفة عن بن عن في امة قصوة ، ودعوا علي بن ابي طالب
وصدروا في حنة .

وفي حدث معركة احم - على مد ثلاثة أميال منها ، في المرند -
بين حسن علي بن ابي طالب وحش ضجة والزير ومعه « عائشة بنت
ابي بكر تصدق روعة الي » . وانقسم البصريون سه ، قتل في ذلك
اموقعه آلاف كثيرة من اسميين ، حتى اصبر علي ، ودخل البصرة وخطب
سلس في مسجده مؤثراً من اشترك من اهدى صده في القتال .

وفي أطراف حرت معرك الطاحنه بين الخوارج وحيوش بني
أمية عياده منذ اشتهر « امهت بن ابي صفره » المصري الذي حارب
هولاً . انور عواماً طولة في الاهواز ودرس وحراسن وغيرها . وفي
سهد الحجاج بن يوسف الثقفي ، عمل في أمية على العراق ، أصاب البصرة
حصب كبير من بنت الحروب والقتل التي أضره عليه حصومه في اسست ..
وعنده حودب حوادث أخرى تاريجة لم سلم من عوائل السعب المصري . (١)

فلكل حدة ، بني أمية ممن كثيراً تدمر البصرة ، وسهمون بأمرها
وعدون حواء سكرة القيسات المخطه دت الشكيمة والقوة وشدة
المراس . فمقيت البصرة موااة لهم حتى اواخر عهدهم . في شطت الدعوة

(١) تاريخ بصرة حافل بالحوادث السياسية والعسكرية خلال هذه الفترة ، ليس في الصراع
الداخلي بين المسلمين محب بل في اشتراك قبائلها وابائها في الغزوات والفتوح أيضاً .

العباسية ، واندلعت ثورتها في خراسان . ورحلت حوشها نسيح العراق ،
قتلت البصرة مبيعة ولم تسلم إلا بعد حرب دموية دارت في أزقتها
وأحيائها وفي أطرافها . . . ولما ثار العروص في الحجار بقيادة محمد بن عبد الله
العوي « النفس الزكية » سار أجود الزاهي إلى البصرة وما حولها ونصب
عبيها وجمع منها جموعاً كثيرة ، ورحل نبال حش إلى حفر البصرة
العسبي ، ولكنه لم يوفق ، فدخل في يدين بعد فرار أصحابه .

تبين من هذا حينئذ أن الرأي العام في البصرة كان واعياً حاسماً ،
وكان له قيمته ووزنه في الحصول على الساس والسياسات التي أسست دولة
الاسمين منذ قامت هذه المدينة حتى أواخر العصر العسبي الأول ، وما
بعده أيضاً . وإذا تتبعنا الخواص التاريخية في البصرة رأينا أن الرأي العام
السياسي فيها كان في أول أمره عثمانياً ، ثم صار أموياً ، ثم أصبح عسبياً ،
ثم تحزباً بعد ذلك إلى شعب وطرائق فدادا .

وللإيضاح أكثر من هذا نقول : أن الحدث عن شاط البصرة في
الميدانين العسكري والسياسي لا يبيد ذلك الشعب المحيط من عرب وغيرهم
في حوض المدينة وبين حدائقها ، بل هي تلك المجموعة الكبيرة من
القبائل الميمنية في أطرافها وصواحيبها ، والتي قست محتفظة بيداوتها وتقاليدها
ورعيتها إلى الفروسية والقتل ، ولا يربطها بالبصرة غير عدد يسير من أسائها
ومجموعة من رعاياها الذين هجروا حياه البداوة إلى ترف القصور ولكنهم لم
تقطعوا صلاتهم بعشائريهم ودامت هي قوتهم في الأزمات وسببهم في
السياسة والحروب إذا اقتضى الأمر . .

وما كان الحدث عن كل قسم من هذه القبائل وتاريخها في البصرة
يطول شرحه ، يكفي البحث عن صلة « ماهلة » التي ينتسب إليها « الأصمعي » .

الآخرين (١) . وراى الطين به هو ان هذه المسألة - كما جاء في إحدى الروايات - خصعت رمزاً طويلاً حريباً تسمى « فرارة » و « ذيب » . فاستخدمتها وأدناها ، وأصبح الأتية الى شاة لا يدعو الى الاعتراض وسحر ، وصار بعض الدهيين ان سئل من سئل قيس : ان من قيس بن علال ، او من سعد بن قيس وحبس كاهة هبة (٢) .

وقد وجد في سائر كتب الأدب من كثير من شعراء بني هبالة هذه القصة في سيرة سعد بن قيس . كقوله :
أهمل في كذا وكذا
وإذا كنت في كذا وكذا
وقولهم : من سئل في كذا وكذا
ق : نعم . سئل في كذا وكذا

تذكر أن الذي سئل في كذا وكذا في كذا وكذا من سعد بن قيس
يحدث على معصم فاجله في كذا وكذا في كذا وكذا . وقد يذكر على قول قديم في ذلك . ثم كثر في عهد العرب من كذا وكذا . معصم البعض : ان سئل على كذا وكذا . هبة قد كثر من هبة . وفيه في اواخر العهد الأموي . ومصر الأول احدث ، لأسب : هبة . ذلك الصراع الدامي بين سري . الذين معروفين . هبة من أبي صفره الأردني « و « هبة من سعد الهبي » واسم هبة على هبة مصرة : وأحارها في ذلك معروف (٣) . وفي ذلك خلاف شديد بين

(١) كان العرب في الجاهلية يتزوجون من آلهتهم ، وقد حدث ذلك كثيراً ، ولكنهم كانوا لا يستيقنون هذه له عذمة .
(٢) أماني لقي : ج ١ ص ١١٧ . كان لاصمعي قصة د سئل عن سعد في عادية قال .
انا من بني سعد بن قيس ، او احد بني اعصر بن سعد ، ولم يقل باهلياً . ولكنه لم يتصل من باهلة عند معارفة .

(٣) السكامل : ج ٦ ص ١١١ .

الشعوبية والعربية ، والحلة القاسية التي شب الشعوبيون من عباء العرس
على المناصرين لعصر العربي من شعراء هذيلة وادبائها الذين كثر
عددهم في البصرة في العهد الأول العباسي ، وعلى رأسهم صاحب الأصمعي ،
كما سرى في النصول القديمة .

مع ، لا سكر في قبيلة دهلة لست في مقدمة القاس العريضة
الأخرى ان . كس في مؤخرهم اذا شر تاريج الطولات والاحاد
والكرم وقراء الصنف وغيره . ولكن لا بعد ثم كانت بين العرب ،
فيم ، على همد الصورة المريرة التي أراد حصومها ، في واحة العهد
الأموي ووائل العهد العباسي ، ان يصرفه . وقد ذكر في التاريخ
شخصيات كثيرة صيرت في التجمع خفاهي ، وأخرى عنت ادوارا في
" تاريخ الاسلام " منهم " أبو أمية " صدي بن عجلان " الصحابي
المجاهد وأحد اسس ، هو النبي (ص) في السحرة ، ومهم " سلم
ابن ربيعة الدهلي " أحد ولادة في حكر الصدق ، ومن
الطوائف حرب القسمة ضد العرس ، وأحد رؤساء المجاهدين في فوج
أرملة وائر سجن وسفره في شهدي احسن عمر بن الخطاب وعثمان بن
تق ، ومهم " أبو هودة بن سوس " أحد حبس معوية والذي هدد
حين اس ، كلامه لهذه (١) . و " سجن وائل " خطيب العرب المحلي ،
وإحدى كانت ضرب مثل ملائكة وحسن خطه . ومهم القائد العظيم

(١) كتاب الادب ، لاحظ : ج ٣ ص ٤٢٨ - و . من له معاوية أراد يوماً ان يدافع
أبو هودة بن شماس ، فقال : هممت ان اخل جماعاً من دهلة في سبية ثم اعرفهم ، فقال
أبو هودة : لا ترضى دهلة نفسها من بي أمية . قال معاوية : اسكت ايها العرب
الأفيع قال أبو هودة : ان العرب الأنعم رغاً درج ان الرحمة حتى يقر دماغها ويقطع
عيسها . ففصب معاوية وأرسله ان جهاد ، فعاود حتى دل .

« فتنة بن مسلم الدهلي » امدى ستحدث عنه . وسر هؤلاء ممن « مات
احدهم في كسب الدرع .

كانت قسلة داهية بسكن اواسط (اليمامة) في سرقى شبه الجزيرة
العربية ، فلما بدى بإنشاء مدينة البصرة رحلت اليها مع من رحل من
القبائل الأخرى ، ونزلت على عدة اربعة اميال منها ، في طريق الحج ،
على اثر بدعى « الحفير » ، واستوطنت هناك مع مواشيها ، وقيمت محفظة
سدورها رغم روج عدد كبير من افرادها الى داخل امارة الخدمه
وسميرهم فيها ، فبيع من سهم رحل كان هم شئ لمذكر في تاريخ
النصرة ، يخص بالذكر منهم امرأة « مسلم بن عمرو بن حصين الدهلي »
التي كان لها صلة ود وصداقة بأسرة صاحبنا « الأصمعي » .

كان « مسلم بن عمرو بن الحصين » هذا ، رجلاً حاد الفكر ، وفرداً
معروفاً من فرس اميدين : وهو صاحب « الخرون » احد الجياد العتاق
التي نصل بها اسباب عقد حيول العرب . وكان مقرباً عند الخليفة
معاوية بن ابى سفيان واسمه يزد . فمما ثار « مصعب بن ازيير » في
العراق ، وشب أمره على البصرة والكوفة التحق به مسلم وقال معه ضد
الخليفة عبد الملك بن مروان ، ولكنه خرج وأسر ، فحضر به الى
عبد الملك فاعتذر له عما حدث منه ثم مات من جرحه . وشب ابنه
« فتنة بن مسلم » على سيرة ابيه مولعاً بالفروسية والطراد ، جمع في فرس
القس ، وقرب من الخليفة الوليد بن عبد الملك ومن عمه على مرق
الحجاج بن يوسف ، فولد على اثرى وحراس مكان امه بن ابى صبرة ،
وعمره - - - - - خمسة وثلاثون سنة ، مضى في ولائه عشرة اعوام
قصده كلها ، الجهد والتموج دون انقطاع ، ومع من الشهرة والحد

وسوفيق حد في سعة قائد عربي من قبل .. فتح بلاد حواريه وسمرقند
والسد كهم في عام واحد . واكتسح عري وقرتنة وتركستان ، فصعدت
به ميوك . ثم حلت « كاشغر » ووقف على حدود بلاد الصين ، فجدده
مكها . وارسل به أموالا جارية ، وصبيحة من مشب عبيب نرات من
ارض الصين ضد قنة عديمه . ومندح من دشت كبير للولاء .

وكان الأثر في بعده في امرة ، ومات حجاج ، ومات اخيصة
في سنة . وروى لأمر من من عند است « وكان به وس في سنة
سنة وعبر ، ومن مرته على بولاية على - اد الثاني ، وبعد . فجي .
في . بعد في سنة من من خدمة هذا ، في في سنة . منه انه على
بعد . من من من اي صفة الاردي ، كان هذا احد من
بعد . في من وس في بلاد في وجر . من ان حمة
من حمة . وجر من منه « لأد » ثروا سيه دجرح من من اخيه
ومن ير من . من لأدي . في حمود في مقرة وهو على واث اليرص
فقره عام ٩٧ هـ) ومن معه من شه ودد من القيس ، وعده
في واربعون سنة ١٠٠ . ومن هذا بدأ المصنف الذي بين لأد
وهد من في مدته المصرة بحسب .

وكان ممن مني من أولاد سيد من في سنة واحد كبير الله .
فعيه وب العاق د عمر من حيرة عملا على المصرة في عهد الخليفة

(١) صري : ج ٣ ص ٢١٧ - كان ثقل دة صدي سناء عصم عبد المدين . ومن ل

الخليفة فقه ندم وحزن على قتله . وسلك قول اشاعر حبيب حدي :

ندمه على قتل لأمر من حاتم	وهم	لا يبع الله اندم
لقد كنتم من عروه في عسفة	واسم من لافس	لنوم ندم
على به اقصى في حور حنة	وهمي	سوى عليكم حرم

- 10 -



الْقِسْمُ الْأَوَّلُ

الْأَصْمَعِيُّ

١٢٢ - ١١٣ م

١ - بنو اصمع في البصرة

٢ - مولد الأصمعي ونشأته

٣ - أمانته

٤ - خصومه في مجتمعه



بنو أصمع في البصرة

كان من أوائل الباهليين الذين تركوا قبيلتهم ومات على « نهر الخفير » ودخلوا مدينة البصرة أيام تأسيسها وثاني ، رجل رقيق الحال قليل المال ، ولكنه بعيد الهمة متين العزيمة متوقد الذكاء ، يدعى « أصمع من مصهر » . بنى بيته بالفصاء والصين . : سعة قرب من الصكة المؤدية إلى « سوق برند » ، وتوفي نفسه في جمع الصري الجسد ، سجع لأهله ودوه اسباب العيش . والأكثر أنه كان كعبره من صفوف الأعراب يدرس - في طاق صيق - بيع النواشي وقب من قبيله إلى اسواق المدينة . غير أن لا يدري هل كانت كلمة « أصمع » هذه اسماً له صريحاً أم لقد غلب عليه ، فقد جاء في قاموس اللغة معنى غيره : « السيف القاطع » و « اريش خنيس » و « انقب اديكي » و « انبت الذي لم يتفق نهره أو ثمره عد » ؛ ومهما « الرجل إذا كان صغير الأذنين ملصقين برأس » . وعقب على ابنه كان كدث . وقب هذه القصة ، وسب الهمم عليه ، فصاح به حنفي كما يحدث عند الكثير من أبناء التماثل العربية

وكان له أولاد ، طويت حذرهم مع ارمي ، وصعدت ارمي وهم ، ولم يعرف منهم غير « عبي بن أصمع » الذي هم القراءة والكلمة في صغره . واصل بدواوين ادميه ، وشغل بعض الأعمال الصغيرة تحت أممي ولاء البصرة ، كقراءة كتب الحسنة على من ، وحادة المراسم في شؤون معينة ، إلى آخر ذلك .

وفي التاريخ (١) ، حيفة عبي بن عبيد بن عبيد أما موسى

(١) اصري : اصرسة ٣٥ .

الأشعري عن الصرة عام (٥٢٩) وولاه ابن حنبل « عبد الله بن عامر »
وهو ابن خمس وعشرين سنة . فقي فيها بضعة أعوام ، حتى قتل عثمان
عام (٥٣٥) . كان حلالاً في حركة وشك ، وكتب حوله بعض أهل
المصرة وفي مقدمتهم حمزة بن حنبل ، فعرضوا به بلاد القرس وفتح
حراسين ومدة أخرى . وكانت لعدة المدة - يومئذ - عند الولاية ،
اذ قدم على أحدهم كتاب من الخليفة يعنى بحقوق العامة وواجباتهم ،
أمروا من قراء ذلك كتاب على من بعد الصلاة بحيث لا يمس عملاً
تدبره . وكان في المصرة رجل خراساني الأصل قرأ هذه الكتب
الواردة في عهد ولاد سامع ، ولكن عبد الله بن عامر ، جعل « عبد
ابن أصمغ » في مكانه خراساني ، ونسب له حراً بقتله على ذلك .
وفي هذا قول الشاعر :

وأنت رسول الله فخر كتابك كتب بلادهم بن أصمغ (١)

وقال عثمان بن عفان . وصفت لأمر في خلافته علي بن أبي طالب ،
وحدثت معركة الجمل في يرد . استحق بعض الذهبين حش « عائشة
زوجه التي » وهو في صفوف : فصر علي بن أبي طالب ودخل
المصرة . ومكث فيها يوماً ، فوجد به جماعة من الناس مهملون « عبد
ابن أصمغ » سرقه حصة من رجل أحد بغير في موضع يدعى
« مشول » . فقال له جماعة : هل عندك من شاهد أنه سرق من
رجله : قوا : نعم . وحاووا من شهد على ذلك ، فمروا بقتل أساحه .

(١) أسيراني . ٦٩ - يقول « سور » : سألت أبا عبيدة القوي عن معنى هذا البيت ،
فقال : كان علي بن أصمغ يقرأ كتاب علي بن عمر كما يقرأها الخراساني . ثم سألت
الأصمغي عن ذلك فعرف نومه وقال : وزد كتاباً من خدمة عثمان بن عفان ابن أبي
الصرة عبد الله بن عامر ، فلم يجد من يقرأه ، فقرأه جدي علي بن أصمغ .

ف قيل له : يا أمير المؤمنين ، ألا قطعته من زنده ؟ قال : سبح الله ،
كيف يتوكأ ؟ كيف يصلي ؟ كيف يأكل ؟؟ (١)

ومكث علي بن ابي طالب على ما حال به من قطع أشجته ، راعياً
بأن النهمة كانت مسنة عليه ، وأنه لم يبق شيء . وقد قدم ولي العراق
« الحجاج بن يوسف » إلى البصرة في عهد الخليفة الأموي عبد الملك
ابن مروان ، أنه ابن ابي طالب . وقال له : « أيها الأمير ، إن أبوي
عقدي فسمي بي عبد . فسمي ابن » فقال له الحجاج : « ما أحسن
ما نوسلت به ! فقد واثقت بك (الدرحد) وأحرست لك في كل يوم
داقين فوساً ، ووالله إن مني لافضل ما أنه علي من يدك » (٢) .
فقى في عمه الموضع هذا حتى توفي بعد عمر طويل شهد في أواخره
أحفاده من بنيهِ .

وقد عرفنا من أولاده « عبد الملك بن علي » الذي الحق بصحة
« مسلم بن عمرو بن الحسين النخعي » الذي حدث عنه ، ودال معه في
ثورة مصعب بن الزبير ، ثم الحق بعد ذلك بعكر به فسمي من مسلم
أثناء فوجده مشهورة في بلاد الترك وكشعر . ولا عيب سناً من أحده
ولا كيف أميت حسنه . ولكنه ترك عدة أولاد شيوخاً في البصرة (٣) :
مسلم « عاصم بن عبد الله » المعروف بقبه « قريش » ، ومسلم « حصه »
« أبو سريان » وقيل هو « سريان » حصه وكسبه هو العيس وكان من
رواة اللغة والأدب (٤) .

(١) ابن خلكان : ج ٢ ص ٣٤٧ .

(٢) ابن خلكان : ج ٢ ص ٣٤٧ .

(٣) أمالي القاضي : ج ١ ص ١٦٩ .

(٤) أمالي القاضي : ج ٣ ص ١٢٦ .

وحتفت الأحبار في سيرة « حرب » . وسفقت الآراء في شخصه
تقصصاً حرباً : فمن قائل أنه كان واسع الخُل يملك المال واحيل والجياد ،
وسير في موكب الأمير « سلم بن قتيبة » زعيم الباهليين بالبصرة ،
ويؤازره في دفعه ومعركه ويصاحبه في أسفاره : وله موال ينتمون إليه
ببلاء (١) ؛ وأنه كان به الدهن كثير الصلة برواة الأخبار ، يحب العلم
ويحسن أهل الفكر ، ويحضر حنقة « الحسن بن يسار الصعري » إمام
فقهاء العراق (٢) . . ومن قائل ، عكس ذلك ، أنه كان تافهاً من
الرجل ، ثمياً جاهلاً ما تحدث منسأة علمية فظ ولا روى حراً في الأدب
أو الشعر ، فقيراً معدماً لا يملك غير ثوبه الذي كان يلبس به على قرعة
الطريق تحت أشعة الشمس حين يقسو عليه رد الشاة (٣) .

ولهذا التناقض استأثرت سيرتها فيما بعد (٤) . وانحصر سير الحوادث
واروايت متعددة تدل على أنه كان وسطاً في الناس أو دون الوسط ؛
فقيراً ، لكنه ان سراً أهل البصرة واعتباطاً ، ولكنه لا إلى درجة العدم ،
يتمس بخبرة المواشي في نطاق صيق ميراً على حطة أسلافه ورجال أسرته ،
ويحضر مجلس الأمير « سلم بن قتيبة الباهلي » لحكم الصلة القديمة والصحة
القديمة ، فيقاسم مما يدور في ذلك المجلس العبر بين العداوة والأداء من
أحبار علمية ومواد أدبية ، ويستوعب معاني بعض قدر استيعابه ؛ وربما
رواها لأولاده أو تحدث بها مع أصحابه في أماكن أخرى . . ولا يستبعد

(١) السيرة الحميرية : ج ١ ص ١٦٩ .

(٢) كتاب المعارف : ص ١٨٤ .

(٣) ابن خلكان : ج ٢ ص ٣٤٦ .

(٤) سبب هذا التناقض في سيرة حرب هو أن ابنه الأصمعي كان يروي بعض الأخبار والتلف
الأدبية عنه ليظهره بما يرى في المجتمع ؛ بينما كان خصوم الأصمعي يقولون في ذم أبيه
ليظهروه بما يشبهه .

ان يكون - كما نقول صاحب كتب التعرف - محمداً للعلم ، يحسن العلماء
في المسجد الجامع احياءاً ، ويحصر حقة الحسن المصري كما يحصره كل من
يريد من المسلمين ان تعرف الى امور دينه ليبارس شعائره على الوجه
الصحيح . وفي بعض الأخبار أن جماعة من غير العرب كتبوا سموا اليه
بالولاء ، عرف منهم رجلاً فارسياً يدعى « ابن الأحميد » (١) .

ومما تكن شخصية قريب هذا ، فقد علمت من له عدة اولاد من
السين والبيت ، منهم « عبد الله » الذي اشتهر فيما بعد باسم الأصمعي ،
ومهم « عبد الله » الذي عرفه بفصل ابنه « عبد الرحمن » احد طلاب
عمه ورواة احبار وصاحب كتب « معاني الشعر » ومن باب « أم أحمد »
واسمها « أحمد بن حاتم الذهبي » المشهور بكلمته « اي ص » . هو احد
طلاب حاتم ورواة علمه وادبه اصلاً (٢) . وكان قريب كني « اي كرم »
ولا علم ان كان له ولد بهذا الاسم ، وربما كان له اولاد آخرون ، غير
الذين ذكرهم ، ولم نصن اسماءهم لمجول شخصياتهم وعدم ورود ذكرهم
في الأخبار .

وليس في سير افراد هذه الأسرة ما دلنا على نسب أم الأصمعي ،
زوجة قريب ، ولا على اسمها . والظاهر انها هندية اصلاً ، اذ كانت
العادة العامة عند العرب التراوح بين افراد القبيلة نفسها ؛ وفيما تحدث
امصاهرات بين القبائل المختلفة ما يشترط في ذلك من شروط تكون في
العالم باهنة لا يستطيع الروح تعيذه إلا إذا كان داوياً من النسل ؛
وقريب - كما نعلم - فقير من هذيلة ، والعرب لا يرتضون في مصاهرة الدهليين

(١)

(٢) معجم الأدباء : ج ٢ ص ٢٨٤ .

الأسماء التي ذكرها آتياً .. ثم ان أحمر صاحب « الأصمعي » - كما
سنرى - تبييناً بأنه كان لا يترك أمراً من اسباب فخره ورفع مكانه عند
الناس إلا حدثنا به ؛ فهو كانت امه من غير هلة - دأداً - ذكر اخواله
وتحدث عنهم وهي حصومه بهم ؛ ولكنه لم يشر الى شيء من ذلك .
من هذا ، صرح القول بان اسرة قريب كانت ههية لحماً ودماً ،
وأن كانت ذات امر عظيم ، وفي حالة أقرب الى الفقر منها الى
الغنى .. ومن لأحمر على - حتى اصمغ بضخم عددهم خلال هذه الفترة
التي دلت على اسة عدم فشعوا الى اسر عدده ، ويوت كثيرة ،
جمعت كلها في حي واحد سمى فيما بعد : « حتى سى اصمغ » (١) .
ولكن اسواد الأعظم منهم كل كادحاً معموراً بين عمه الدس ، ولم
يتبع احد منهم في شأن من شؤون الحياة ، حتى ظهر « عبد الملك بن
قريب الأصمعي » فبهض هذا الدس ورفع اسمه الى مصاف الخلد في
سجل الحضرة الإسلامية .

مولد الأصمعي ونشأته

الأصمعي : هو « عبد الله ، بن عمرو - انتب تقرب - ، بن
عبد الملك ، بن علي ، بن ضمع ، بن مُصَنَّب ، بن رباح ، بن عمرو ، بن عبد
شمس ، بن اعيان ، بن سعد ، بن عبد ، بن عمرو ، بن قسبة ، بن معن
ابن مالك ، بن اعصر ، بن سعد ، بن قيس ، بن عيلان ، بن مصر
ابن زرار ، بن معد ، بن عدنان » (٢) .

(١) كتاب « حاربي وس » لابي منصور : ج ١ ص ١٥ .

(٢) وحده في بعض المصادر حلاً في اسمه هذا النسب : « مطهر او مطهر » و « عبد
شمس او عبد الله » و « علم و عم » و « رباح او رباح » .. ولكن اكثر المصادر
تؤيد ما ذكرناه .

ولد عام (١٢٣ هـ) الموافق عام (٧٤١ م) في بيت مواضع وسط
حي سي اصمع في البصرة ، فجب ، كما سنذكر ، حسن الصحة ، واضح
السمات وإنه يكن جميلاً ؛ فاحتضنته أمه وأرضعته بها ، ورثه كما
يترى أمثاله من أطفال العمة ، في حرق رحيصة وثياب سبعة وفراش
معناد ، وطعم مما يباعه سواد الناس مع شيء من الاقتصاد والديار .

ثم دب على الأرض في صحن سه حتى التمس إلا في أيام الشتاء
البردة ، سخط بين أفراد الأسرة وسقط على كف ساء الست ، فلا
يعنى به إلا تقدير . حتى إذا تسببت عودته خرج إلى بيت أمه ، ثم
ارتقى في رفق الحبي مع أتائه من صغار الخرب وأطعم سي اصمع
الآخرين ، وصار يمشي معهم بالليل ، ثم صار يمشي بالليل ويؤي
النمر ، وسافهم عدواً ووباً . وإذا تمت كلمة ، جعل يؤف معهم
العصاة الحبيسة ، وغدق بالحجارة ، وعكس لونه ، وبهاتر اصعد
الأعصاب الذبذبة السدلة التي ينقلب من سورة لس : وسيم بالأعصاب
الشعبية مما يتغنى به صبايا الحبي وخدام النيوب . في آخر ما حدث من
حدثنا به أخيراً هو عن نفسه (١) .

والذي ستشبه من أحاده وأوصافه في عهد ، به كان في مراحل
طفولته شيط الحركة مدفق الحيوية خفيف الروح فصيح لهجه طلق
اللسان ، عذب الصوت سريع التعميد لمحدثه : تدفق القصص وصفي لها
ولم يقطب بسهولة . وهو مع ذلك من في استرخاء دونه وكسب مودعهم ،
طموح لا يرضى أن يكون في مؤجرة غيره من صغار الأسرة ، طمع لا
يقع بالتقبل إذا وجد محلاً للريذة ، حرص على ما يملك فلا يخرج العطاء

(١) في بعض الأحبار التي رواها الأصمعي عن حياته عهد هذه الأوصاف والأعمال .

من يده إلا قليلاً (١) .

ففى اية فتوحه في حبي سبي صمم ، ولم يخرج منه إلا مقدار
ما كان ابواه يصحانه معه في زيارتهم الصغيرة لذويهم في حواش امدية ،
او على اثر الحفير حيث مدرج الأعراب من ههنا . وفي اكتمت صوته
وأقل نحو عسة اشاب ، رأته يهرأ الى المجتمع المصري خطوة فخطوة
مصحوباً . أفراده من نفس . ثم وجدته يحسب ابيه قرب يساءلده
ومعه في بعض شؤبه . معه يصحب العيش . ويركب الحمير والأبل
واخيال معه . و تقطع مسافات لفصيرة والعدة خو سوق اثر سدوما جاوره .
وحتى المدي القريفة من البصرة .

والأصمعي واسطه احوه ان لم يكن اصغرهم ، واخوه عبد الله اكبر
معه سنناً . وما كان مودته قرب منه (٨٣ هـ) يكون الأصمعي قد
ولد حين بلغ أبوه سن الأربعين . ثم تحوّل اذوار مراهقته وجدته في العقد
السادس من العمر . وقد رأى سبع الشيوخه دت في مقاصده ، ولكنه
وجد ان احد عندته قد سبقه الى معاونة ابيه هذا في اعماله ، فانضم هو
اليهم دون ان يتصرف بكنه الى السوق لما كان عنده من رغبة ملحة في
طلب العلم وتحصيله . . . وحين لا يعبر تاريخ وفاة « قرب » وان كان
الأحبار يدل انه عشت حتى رأى انه الأصمعي دماً تحدث في العلم
والأدب والشعر . وروى انه بعض ما كان قد سمع من الأحبار وما رأى من
الحوادث خلال حياته الطويلة (٢) .

سنتج من هذا انه شأ وفي حبه ث و ح - و احوه - كموه

(١) اخذنا هذه الأوصاف فساء على اخلافه وصباغه مدان شب وسهر في عتمته .
(٢) كثيراً ما يروي الأصمعي من الاحبار عن ابيه ويقول : « حدثني ابي » او « قال لي ابي » .

مؤنة العيش ؛ فشب طليق الحاح صدى السكر ، في وجهه يحمل اندكاه
والقطعة ، وفيه حب الاستطلاع والميل الى معرفة كل ما يحيل وسترعى
اهتمامه . فلم يترك مجتمعاً علمياً الا ولحه وتمهم احوائه ، ولا مؤتمر بين الناس
الا حضره او ساهم فيه ، ولا مهرجاناً في الأعياد والمناسبات الا عرج عليه او
اشترك فيه جهد استطاعته ، ولا سمع ضجة الا قصدتها ليعرف غداً ودواعيها . . .
فهو ابن المجتمع بحق ، وتلميذ نشيط من بلاسة الزمن (١) .
وكانت المجالات الاجتماعية امامه واسعة الكثرة الأسرار الهدنة لكفة
في مدينة البصرة وفي المربد وعلى بئر الخبير ، وفيه الأمير والبري والعلم
والشاعر والراوية ؛ وحل هذه الأسرار من معارف اسره ، او قرأها من عنا
الصلة القلبية ؛ لذلك لم يعدم في كل حاسب من حواسب انسية ومواجيب
من صديق حميم او مدافع يلتجئ اليه اذا احس يوماً ما بخطر او ضرر يلاحقه .
وكان من اعز هذه البيوت واقربها الى نفسه بيت الأمير د س من
قبيلة الناهلي « الذي كان يرتاده بصحة أبيه منذ الصغر . وفي ترعرع في
صونه المرحية ، وتخلت فيه معالم القطة وسرعة الدية ، احب الأمير
« سلم » لدمائه حقه ، وبهجه سبيل التقوى والأدب والعلم ، فسمح له
ابواب قصره ، وسمح له ان يحل في معاشرته المائه والاحلاط به . ووحد
الأصمعي في هذا البيت كل ما يستهويه ، من ترف بديع شصف العيش
في منزله الفقير ، ومن حركة دائمة في انواكك والسلاح والحد والصيد
والغزو ، ومن مجلس يغص بالأدباء والعلماء والشعراء ورواة الأخبار واسوادر ،
وكثر من ارتياده ، وصادق أساءه صداقة مشقة الحبيب والوفاء والاحترام
وكرامة النفس . وكان من أكثر من أحبه منهم « سعيد بن سلم » الذي

دامت صنعه به حتى النهاية .

هذه ناحية من نواحي حياة الأصمعي في صوته وأوائل شدة ، وهي صورة تكشف الكثير من العموض ، لأنه انصرف في النواحي الأخرى إلى مدارس وتحصيل مدى استعداده في صغره وشده وكهولته وحتى في شيوخه .

دراسته وتعليمه

دخل « الكعب » في السادسة من عمره على وجه التعريب كما هي العادة سنة عند سواد الناس في عصر أولادهم .. والكعب - يومئذ - كثيرة في جوامع البصرة التي كان لا يخرج من الأحياء . وهي مدارس ودية دائمة للأطفال ، يدير كل واحد من « شيخ واحد » بشرط أنه يكون له من ذوي الأحمال ، يعيد القراءة والكتابة وحسن الخط ، ولم يراعى الدين وسنه وإن لم يشرط أنه أن يكون صديقاً سائر أعمامه .

وكان معظم ما يمد الصغير من هذا الكعب مهم قراءة القرآن والكتابة وحسن الخط وأمور الدين الرئيسية ، وشدة من مدى اللغة ونحوه ، وغالباً من الشعر والأدب . ولم يكن هناك كتب تروها هؤلاء الأطفال ستر سحر من أجزاء القرآن مكتوبة بخط واضح ، وأنواع تشبه أوراق في يوم هذا مستخدمون للكتابة بواسطة أفلام من القصب وحر يصنع من لحم الأرماش الفحم . ولم يبق الدروس منقوشة شفاهاً من الشح ويحفظ منه على ظهر قلب .

ولم يكن الطفل عند استئصاله من قريب ، لم يبق عرف فيما بعد بالأصمعي .

من صلاح اوجوه بين انراه ين لم يكن من اكثرهم دمة وأسطمهم نية
ومطهرأ . ولكنه كل في مقدمهم دكة . وخصاً بدرس وقتاً لها ، فقد
كانت الطبيعة وهنه حافظة لاقعة لا تسي . ورعمة شديدة في المرسنة
والتحصيل . فبراً افراه في لقراءة والكسة . وحتم لمرآ فدهم في سن
مبكرة وحفظ جبرأ مه ، ثم مال الى قراءة الأدب السبسط وحفظ
الأشعار المسهلة والقصص الدريئة والدية التي كانت تعطى صغار
الأطفال (١) .

حتى اذا استعد ما يتمكن تخصبه في الكتاب على يد شيخه ، وبعث
ذهه ، وشطت ذاكره بعد احبارة الربعة عشرة من عمره ، حمل اوراقه
وقلامه ودخل المسجد الخمع حيث سحر معين العلم الذي لا يصب .
ولكنه وقف امام هذا الخضم الفكري الواسع العميق حائراً ، وقمه من
لا يحس الساحة امام البحر ؛ فراح يتحط في ساحه رماً حتى بدأ شعر
بالقدرة على العم / وهك صار ينقل بين حداث العدم فيه ويردد الى
هذا وذاك من كدر استدة اللغة والأدب ، مدوياً في تواحه ما يعقبه من
كلمات في اللغة ، ومن قاعدة نحوة سيطرة ، او قطعة من الشعر الخرب
ارقيق ، او مسير لبعض آيات القرآن او الحدث ، الى آخر ذك ، ثم
يعود بما جمع في نهاره الى بيته فيرده ويستظهره .

وكانت رعمته الشددة في الدرس والتحصيل تدفعه الى المواظبة
والاستمرار على اريد انسجد دون اقتصاع ، فبعصي معظم ساعات يومه
فيه ، كما انبت حنقة وصدا بالأخرى .. وما زال على هذا السوال -

(١) يقول لأصمعي : حطت اثني عشر لف ارجورة فل ان الملح الخلم . ويقول ايضاً : ما
قرأت كتاباً واحتجت ان اعود فيه ، ولا دخل قلبي شيء وخرج منه .

سمع ويجمع ويردد ويحفظ ، حتى تمت ملكه العتبة ، واتسعت ثروته
 المعونة والأدوية ، ووعث في البحر ، وحفظ الشعر الكثير ، فراح ساقش
 زملاءه في مسائل اني علمها وانتمها ، وصر يلقى على اساتذته الأسئلة
 في الأسئلة ، ثم يدور الأخوة ويطلب المرشد من الشرح ، ويعرض
 على هذا الشيخ ما سمع من ذمت في حلقه بأسلوب طريف ، وناقشة
 مدرة ، ولهجة عذبة تعجب سامعها ولا تستر في شيء (١) . ففرقه
 الصغير والكبير من رواد السجد ، واعجبوا بكأله وقطبه وحسن التفاته ؛
 واحبه اسداه فحفوه . وأوسعوا صدورهم لأسئلته وملاحظاته ، ولم
 يترفعوا عن مناقشة رعم صغر سنه ، ، ثم رده ديث رشة واسترسالاً في
 المدرس وضبط السادة ، حتى اصبح « مسجداً » بكل معاني الكلمة ،
 فلم يسه له بحث كل قد سمع اوله ، ولم يسهل مفاشة في فصيحة حتى
 يسي منها ، ولا رويت رده او نكته في جو السجد الا وصله خبرها
 فيرواها أو شق عدها .

وكان من فوائد ملازمه السجد على هذه الصورة ، ان عرف اي
 اسداه احدثت أعلى حسناً وتعرر عملاً وأفضل رأياً من غيره ، وعرف
 اختصاص كل واحد منهم ومدامه في العلم والأدب والعقيدة فاحترس من
 بينهم عدداً ، ولزمهم بحسبهم اعواماً طويلاً عبر القطع ، امثال « اي عمرو
 ابن العلاء » و « الحبل بن احمد التراهيدي » و « يوسف بن حبيب
 الجوالي » وغيرهم ، وأخذ عن كل منهم ما احصاه من حجة او نحو
 او أدب ، ومنت منه وبسببه على مدى الأيام صحة وصداقة كانت احسن

(١) ابن حنبل : ج ٢ ص ١٦ . قول الحبل بن احمد : لا يعرف الانسان خيراً من نفسه
 حتى يحاسب غيره .

الأكثر في تقييده ونوجييه .

وما طالت صحفنه للمسجد الجامع واتسعت ثروته العلمية والأدبية ،
وحس برشة في ورود ماضى اللغة والأدب عند الأعراب منهم ، فجمع
ألماحه مرة أخرى ومشى في أوقوت فرائه يستقل في مدار الفائل المتأورة
لبصرة ، ويكتب ما عندهم من الفاظ عرصة ونوادير محبوة وشعره يعرف
بعد ولم تبذل روائته ، ويدون أخبارهم وقصص بطولات أسلافهم من
الهدية والإسلام ، وحش عن أسسهم وأفكارهم ، ويحفظ لمحبهم ..
فعرهه وعرفوه .

ثم صر يحنف الى سوق « المرند » بدفاره وألواح ، فيقف عند
حنفة هذ الشاعر الفصيح من الأعراب الوافدين الى السوق فيدون قصائده
وارجيره ، ويمر بتحس ذلك الزاوية ويكتب ما يرويه من أحسن نوادر
وأمن وحكم ، ويعمد الوقوف في رواق الخطباء واشكهم يلقط منهم
الكلمات اللعوبة الصعبة .. وكان ماهراً في صيد هذه الأعراب وقصصهم ؛
فيسنوفهم ويحدثهم وأخذ ما عندهم ، ورغا صادقهم وصاحبهم وحدهم الى
البصرة ليرحلهم صيفاً عند بعض النوسرين من معارفه ، ثم يجمعهم زملائه من
طائفة العلم ، فيعقدون المجالس ويثرون معهم المناقشات ليسدروا ما عندهم
من لغة وشعر وطرائف ونوادير ومنح صريح للمحاسبة والسدمة .

واحق ، ان الأصمعي كان من اكثر طلاب العلم تردداً على المرند
وأشدهم شغفاً واتصالاً بالأعراب الوافدين اليه . ومن يتسع روايته التي
حصل عيها في هذا السوق الأدبي ، يخدها كثيرة تدل على طول عيشه
له ؛ وبذلك عرفه المرندون واحداً واحداً ، واستمعوا طله ، فدا عب
سألوا عنه ، وإذا حصر حاديوه اطراف الحديث وقدموه الى الوافدين الجدد

من فصح، الأعراب وحطائهم وشعرائهم .

حتى إذا سر عور هذا المجتمع العنفي والأدلي ، واقطف معظم ثمراته
الفكرية ، وقلّ ثمره عدد ، سد رحله ووصل في اسوادي التسعة
محت فيها عن شيء حدد . ثم ترك أرضاً في قلب الحرية العربية إلا
وشرها براحيه ، ولا قدمه بكن الوصول اليها ، إلا برك ومكث فيها ، فجمع
ووعى ما سده . ثم تمكن اسره عدد من سر ومكث ومراض
واشرب ، حيث هو عن عصب قدر : ثم رت في ود من اودة بي
العه ، واذا فنة يردون القمرد ، أحدث صحنه ، وثقت ثمن بيت
شبه واني لمصب محوم ، في قوموا يرحبوا قمتوني فوحوني سدلاً
لا سطم ان سمعت على راحتي ، فحموني ، وركب احدهم ورائي
يتسكي . حتى ان معوا في امير : دوا : الا في يحدوس و
بده : فترى من سبه حد سده في خوف بال صوت بد حزين
وقوم :

عمرت اي يوم صوا فم امت حد ، على هـ لفسور
(وهي مصلده فمالة) . في اتها سكنت على عني ، وما احسن هـ ،
فقط ردي : ثم اي رحمت في معق متهلك ، حراث الله وحسن
الصحة خير (١) .

وقل احد : « كنت بازلاً عند رجل من بني السبياء ، وكنت
واسع أرجل كره الحمل . فوضعت وقد عرمت على رجوع الى العرف ،
فلبت ا. مثوي ، فقت له : اي قد هبت من العريسة ، واشتقت
اشي ، وما اميد من قدمي هذه ايكم كبير عيم : وان كنت احمل وحشة

(١) لأبي : ج ٢ ص ٢٦٢

العربة وحده الددة للناسدة .. فطهر الرجل سوخوفاً ، وركب ناقه وأردفي ،
 فاسرها كمر مسير حتى ثقب شبع على حمار ، له بجة قد نعمها كورس ،
 فكثها فسطة ، وهو ترم ، ولم عليه صاحبي ، وسنه عن سسه ،
 فاعترف اسداً من بي نعمة ، فقل له : أشد ام نفوس ؟ : كلاً .
 وربما على ماء قريب ، وقال صاحبي له : تصدق على هذا الغريب بأبيات
 بعين عك وذكرك بين . قال : اي ، ه الله ان . ثم رجع سدى
 مما عنده حتى اكسبت : فقم والله وقد ست اشبي وهن على ضوء
 الاعتراش وشصف اعش (١) .

ولأصمى روايت كثيرة من هذا اللون ، حدثتني عن اسفاره
 وتحواله في الصحارى الددة حث من اللغة والأدب ، وهي بكثرة من على
 انه عشق حبة الددة وأعف تشبه ، وعرف مسنن ، حول ما اراد
 سهوط وحروب ووهدها قصد القتال في مارب ومراعي ومصر ، حتى
 اتقر لمعها وعرف الى عاداتها ومشاكلها ، وصار صديقاً لكثير من
 ابيائها . فكان اذا قصد مصم رحوا له وأصموه ، وعرفوا به من
 محبته اليهم ، وفي ديوانه مقسم ما شدمهم من ادب وعه وشعر ومن
 يقدموا له الطعام والشراب .. وكان يقول : « اعش في الددة عشق
 الأذهان ، ويقوم اللسان ويصقل ديباجة البيان » .

كل هذه الأسطر في حواسب الخريفة العربية ، والتردد السمر او
 سوق المربد والزيارات المتعاقبة لمنازل الاعراب في صواحي مصر ، ما تغلغ
 صلته كثيراً بالمسجد الجامع ، لأنه كان يوزع اوقته بين هذا وذاك .
 مسطماً . فيحضر حنفت الدرس في اوقافها شمس اسفاره المحرس ، له

يضيق في أيام العطش وسعدت الفراغ إلى حيث يرد من هذه الموارد
العنه سائدة . وقد عذمتها وفي ألواحها شيء مما جمع ، دخل المسعد
وعرض ما في به على شيوخه الكبار ياتقشيم به . . . قول : جئت إلى
« في غمرو من العلاء » فقال لي : من اس أقست ؟ قلت : من المرند ،
قل : هب ، معك : فقرأت عليه ما كتبت في ألواحي ، فمرت به ستة
حرف - اي قص - ما يعرف ، فخرج عدو في المرحلة ونقول :
« لقد شعرت في العرس » ي شسي (١) .

لما شئت ان عزم بهمه ورواة الأدب ولأحبار قبل الأصمعي قد سبقوه
في ملوك هذه السهيج في سدل السائدة . ووردوا السهيج الي ووردها .
وسرقوا من نفس السعي الذي عرف هو منه ، ولكنه اسر عنهم في أمور
كبيرة ما يسفه اليه أحد منهم ، وطرق أبواباً جديدة ما بطرقها غيره قبله .
وهو ما لا كيف . بحث عن السديب المعروف التي يجتمع فيها العظام
والسمرات . ولكنه لم يوقف ارائيح والعددي من الأعراب بلباقة ساحرة
وأسيوب شيء . ووجد عنده ما غيظه عصره بأسئلته المتتالية حتى ينزح
ما في صدره كله كما تعسر المرة لطيفة . . . قول : رأيي اعرابي وأنا
اكتب كل ما قول ، فقال : « كل شيء ؟ » ما أنت إلا الحفظة تكتب
عطف لمعة . . . وقول اصدا . سألت اعرابي واكثر من إلقاء الأسئلة
عنه فقال « ما مدع شيئاً إلا تحصد » ي تنفته . . . وفي رواية عنه
قل : مرتت مجموعة من الأعراب وصرت أسئلتهم فقال احدهم : « أنت
حترف الكلمة الشروء (٢) . . . » وقول اصدا : رأيت في الدبة صبية يتراجزون .

(١) ابن خلكان : ج ٢ ص ٣٤٦ - الأمازي : ج ٣ ص ١٨٢ .

(٢) السهر : ج ٢ ص ٢٦٦ - السيرافي : ٦٦

فوقفت اسمعيل ، شعوبي ، فتحدثت حياءً وصرت ادون افواضم ، ثم ربي
شيخ من ديك الحي ، ورأى ما أصعب ، قال : « اكذب قول هؤلاء
لاورم الأدوع ؟ » ففرحت بكلمة « ادوع » وسمعتها اسمها فسمعتها (١) .

والأصمعي هو الوحيد الذي جعل مجمع البصرة كله مدرسة له ، وآلى
على نفسه ان لا يلتقى ألواحته من يده الا وقت الحاجة ، وراح سفل في
حوائب المدينة وفي كل مكان يدون ويسجل النسخ من اي مصدر
جاءت ما دامت هي ذاتها فكرة ومعنى . فتراه يدخل السوق ويحس في
ذلك قل لسمع ما يتحدث به الدعة والمشترون : ويخدر الأرقعة فيحدث
هم مع كمان سمعه عني ناست من الشعر : ويقت هذا عجب حسن
شتم تاجراً بعبارات ذات معنى طريف ، فيدوي : ويصدقه متسول فيمد
به يده طالباً منه حاجة ، فيقول له : ماذا تقول لو اعطيتك هذا المهرمة ،
وتقول المتسول شيئاً محله فسخ كلامه ويخطفه : ويترحم حدة فيسمع من
المسكين من الامور بين فاسر وراء قبر او حائط وسجل الشعر الذي
يدين به اموي : حتى الاطفال الصغار يمشوا معه ، ورتب وقف اليهم
بأنهم عن العابهم واصطلاحاتهم فيها ، من واحد عندهم ما يستحق الواحد
دونه ، وعدة ذلك فائدة (٢) .

ومن اضرب ما روى عن عسه في هذا المصنف ، قال : « مبرت
زار اريير بالبصرة ، وذا شيخ قدس من أهل المدينة من ولد اريير لكي
« اب ريحية » حسن ، مات عليه شملة تستقره ، فسمت عليه وحسنت
اليه ، فبينما ان كذلك ان ضعت عيب سوداء تحمل قرنة ، فم نظر اليها

(١) انلي نفي : ج ١ ص ٥٥ .

(٢) للأصمعي روایات كثيرة من هذا النوع سجود كرها في مكان آخر .

لم يتأثّر ان قام اليها فقال . بالله عبي صوّاً ، فقالت : ان موالي اعجلوني ؛
فقال : لا بد من ذلك ، فقالت : اما والقربة على كسبي فلا : قال :
فأنا احملها عنك ، فأخذ القربة منها ، فامدفت تقني :

فؤادي اسير لا عنك ومهيجني عيصر واحرائي عبيث بطون
ولي مقلة قرحي طول اشيقق اليك واحطاني عبيث همول
فدنتك ، اعدائي كثير وشفتي بعيد واشيعي اليك فيسـ
فطرب الشيخ وصرح صرخة وضرب بالقربة الى الارض فشق ، فدمت
الحربة تنكي ، وفنت . ما هذا نحرائي منك ، اسففت حاحتك فعرصني
ما اكره من موالي : قال : لا عبي وقت المصيبة عبي حصت : ورج
شمسه ، ووضع لها من حنف وبدا من قدام . وبيع الشملة وبيع لها
قربة جديدة : وقعد سبت الحار عريته ، فاحذر به رجل عرقه . وراى
حاله فقل به : « . » ربحه ، احسبت من الدين قل الله تعالى فيهم ، « . »
رحت تحاربهم وما كانوا مهدين « . » قال : لا والله ، وكسي من الذين قال
الله على فيهم : « . » فسر عبي الذي يستمعون القول فيسمعون احسه «
فصحك وأعطاه مالا « (١) .

كان الأصمعي يعمل دنت عندما ينزع من دروسه في السجدة اجمع ، وفي
لأوقات التي يقيمها في مدينة البصرة أثناء مسه من المريد ومدرّس الأعراب
واركوب إلى الصحراء . وكان يساعد في دنت تساء وشطه وظرفه وسرعه
بديته وحسن تخلصه من المارق ، واشتهر بين الناس بخوصه واقده على
الهند ، وعرفه اصغار والكدر ، والساء وانرجال ، والمذو والمصر من سكان
البصرة . وصار يصعب يجمع له هذه الفوائد ويحدثه في حين يصادفه في

(١) زهر الآداب : ج ١ ص ١٥٩

الطريق وفي أي مكان كان ، ويده على أمكن المنجى من الأعراب
الذين يفدون البصرة في المسببات . يقول : « كنت اعتنى بيوت
الأعراب في البصرة اكسب عنهم حتى التوي وعرفوا مرادي ، و ، يوماً
أمر بمداري البصرة ، قت لي امرأة : يا أبا سعيد أنت ذلك الشيخ من عنده
حديثاً حسناً فاكسبه ان شئت ؛ قلت : احسن الله إرشادك : فبنت
شيخاً هماً ، فسلمت عليه ، فقل : من أنت ؛ قلت : ا ، عبد الله
الأصمعي ، قل : أنت ذو ينفع الأعراب فيكتب السطيم . : قلت : لي ،
وقد بلغني ان عندك حديثاً حسناً معجاً رائعاً ، وحديثي سمعت منك ؛
قل : نعم ، انا حذيفة بن سوار المعالي . : لي آخر قصه » (١) .

كان يجمع كل هذه القضا في ألواح حتى يكسب بين يديه ،
فيخصص لها شيئاً من وقته ثم يعمل على نسخها : وان كانت مدة احد
النسخ اصحح منها وشطب على الذي ولو كان اصح ما حذ : وان
كان شعراً بحث عن قائله واسم من الذي قيل فيه ، وان كان خبراً حقق
في صحته وتوثق من حقيقته قبل ان يدونه في دواتره ، وهكذا يعمل
بالأمثال والحكم والكلام المشهور ، حتى جمع في نسبه ما جمع غيره
من المعسة الصحيحة والأدب الحرف ، وسعت دواتره عشرات الأسط
والصناديق (٢) .

والغريب ان الأصمعي كان يخصص حل ما يدونه في دواتره هذه تفصل
داكرته وحافظته الجذرة التي كانت لا تعجز عن حفظ القصيدة الطويلة
بمجرد سماعها مرة واحدة . : كان يقول : : ما قرأت كتاباً قط وأحس

(١) الزهر : ج ٢ ص ١٩٦

(٢) الاعاني : ج ٢ ص ٦٩

ي ان يعود فيه ، ولا دخل قبي شيء ، فخرج منه . « قد سئل عن صحة
دعواه هذه ، اثبت لهم صدق قوله بفعل ^(١) .. وكانت يقول ايضاً :
« حفظت ابي عشر الف ارجوزة ، قبل ان ابلغ الحلم » ^(٢) ... ويقول
احد معاصريه « سمعت الأصمعي يتحدث اصحابه عن محفوظته ، ويقول :
احفظ ستة عشر الف ارجوزة .. فقليل له . وفيه اليس والثلاثة ؟! قال :
وفي امته والمنس ^(٣) . هذا عدا القصائد الطوال والقطع الشعرية القصيرة ،
وعبر الخطب والحكم والأقوال الذنيرة واسوار واللغة والأحاديث .

هذا النشاط الذهني الذي لم يقف عند حد ، ولأدما والجهد في طلب
العلم والأدب ، وبذلك احدى الراقصة الدرة المنس ، وغير ذلك من
انواع ظهر سوح الأصمعي في شدة بين طلاب المسجد ، وبدأت الأنظار
ترمقه ، وراحت شهرته سر في التجمع المصري شيئاً فشيئاً ، وشعر
ابنده ومعارفه أنهم أمام شاب سيكون له عدد مستقبل عظيم الشأن في
أعمال الفكرى .

اساتذته

اساتذة الأصمعي كثيرون ، منهم من لازم حفتهم في مسجد البصرة
حلال تخصصه العلم فيه ؛ ومنهم من عرفهم فوجد عنهم أنام كهولته
ونساء تحوالة وأسفاره . ومتى علم أنه لم ينقطع عن الدراسة حتى ادرك
الشيخوخة ، وأنه كان للميد ميلاً شغل باحث من اساتذة ليحبها حيث
وحده وعلى يد أي شخص ، سواء أكان في العراف أم في بوادي الجزيرة

(١) ابن حنبل : ج ٢ ص ٣٤٦ - هذا - كلام قصة مسودة ، في مكان آخر .

(٢) بعد تعريف : ج ٢ ص ٣٤٤

(٣) ابن حنبل : ج ٢ ص ٣٤٦

أم في مدن احذر حين كل قصد احج : متى عما دك ادركك بش
من الصعب إحصاء جميع الذين افاد منهم بوجه عام .

وقد حدثنا هو عن بعض هؤلاء في أحذر مفرقة غير مجموعة من
رواياته : ووهت كسب السر والأدب عن بعض آخر منهم : وطل الدقي
في طلي الصبيح والسيال .. وبين هؤلاء الذين عرفهم من كل الأصمعي
قد لارم محسب أعواماً طويلة في صباه وشبابه فكان لهم الأثر الأكبر
في تعليمه وتوجيهه : وبسببهم من كل تقيهم في المناسبات فأخذ عنهم
حاشاً من اللغة ، أو درس عندهم ديوان قبية أو شعر من الشعراء ، أو قراءه
من القراءات انقرآية السبع : وآخرون مر بهم شعر وفود منهم الشيء
القليل .

كانت أكبرهم أثراً في حبيسه العسية ، وأقرهم في سبه أبو عمرو
« رمان بن العلاء بن عمر النعمي البصري » أحد مشيخة القراء السبعة ،
ووجيه من اشراف العرب الممدوحين ، واساد حيل كامل من عباء المصرة
وادبائها .. ألف كتباً ضخمة ملأت جانباً من بيته ؛ ثم سكت وترهد
فأحرقها كلها في اواخر ايامه خوف الخطأ والامم .

وكان شغوفاً باللغة والأدب والأخبار . اخذ عن اعراب ثقات ادرك
بعضهم الجاهلية والاسلام ، فجدت رويته صادقة ثامة ، واعتبر من أحسن
الرواة ، كما كان من اقدر من فسر الشعر ، وأظهر من عرف معانيه وادرك
حفاياه (١) .. قول الاصمعي : « جست اليه عشر حجج ، في وحدته احصح
بيت اسلامي واحد ، خلا الشعر الجاهلي » (٢)

(١) ابن خلكان : ج ١ ص ١٣٦ .

(٢) البيان والتبيين : ج ١ ص ٢٥٦ - ورواية انه قال ثنائي حجج .

والظاهر ان الاصمعي لآراء حقة اسدهه هذا منذ خرج من (الكتاب)
 ودخل المسجد ، فحبه وأعجب به الى حد الالف ، ولم يدركه حتى توفي
 عام (١٥٤ هـ) فسكى عنه واسع عقده ، وصار يذكره بكل اجلال
 واحترام ، ويعتبر اقواله وآراءه حجة ما بعدها حجة .. ومن حقه ان يكون
 وفيه لاسده الحبيب هذا ، وقد كان له في حبه موحياً ومعتباً وصديقاً .
 وعنه احد الكثير من اللغة الصحيحة ، والأدب الرفيع ، والدقة في نقد
 الشعر ومستدره وفيه دجائله وعنه ايضا احد قراء القرآن المعروفة بسمه . (١)

ومن اسده الذين لارمهم في اوائل شتته اصفاً « عيسى بن عمر
 النخعي » وكان امما في النحو واول من الف في هذا العلم ، وعنه احد
 « سبويه » كنه المعروف حتى اليوم بسمه ، لآراء الاصمعي حقه وضع
 سبعين حتى توفي عام (١٤٩ هـ) فخذ عنه الكثير من النحو واللغة . وكان
 عيسى هذا معمر في كلامه وسجعيل العرب من اللغة في حديثه حتى اشتهر
 بدت وروى عنه البوادير الكثيره ؛ وكان صديقا لابي عمرو بن العلاء
 يخاله ويأمن به ، ويتندر معه ، وهي مسطرات طريفة في اللغة والادب والنحو ،
 روى الاصمعي الكثير منها ، لانه كان - حكم احده بسنده اني عمرو -
 يحضر مجلسه . وسمع احدهم فيدونه ويعيد منه وهو في مجلس لعمر ، وقد
 « ور اعسر من . (٢) »

وكان « احييل بن احمد المراهيدي » سيد اهل الادب في صحيح
 الناس واستخراج مسائل النحو وحيد ، واول من استخرج علم العروض الى
 ابحود ، واستق العرب ان يكون لغة ويسبق النحاة على حروف المعجم

(١) الحيوان للدميري : ج ٢ ص ٢٨٨

(٢) ابن خلكان ج ٢ ص ١٥٣

في كذب سمه « العين » أحد الأصمعي عنه اللمعة والحو ، وحول - كما
تقول بعض المؤرخين - أن يدرس فيه العروض ، ولكنه احجم عن
ذلك لأن احبيل وحده يتعثر في ادراك حفايا هذا العلم وقياسه فقال له :
قطع لي هذا البيت :

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه الى ما تستطيع
فأدرك الأصمعي قصده وترك درس العروض (١) ؛ ولكنه بقي يتردد الى
حقه وبمع آراءه واجتهاداته .. والتخلييل من أجل اساتذة البصرة
ورؤسائهم ، وفي مع في عصره علم او ادب إلا احد عنه شئ مما يخص
ه : وقد دامت حلقته في مسجد البصرة حتى عام (١٨٠ هـ) وهو عم
وفيه ، ثم دل على انها عاصرت حلقه الأصمعي مدة اعوام طويلة (٢) .
ومن « نوس من حبيب الصبي » المعروف بنوس الحوي ، فكان
من أئمة نحة البصرة ، ومرجع الحويين في اشكالات ، وقد احد عنه
معظم اساتذة البصرة من معاصري الأصمعي ، ومنهم من لار بحسه
عشرات السنين ، وهو من العلماء الذين ينحصر حديثهم كثر اساتذة المسجد
عنه وقصده . وقد عاش طويلاً ، وعمر مائة سنة وروي عنه (١٨٢ هـ) ..
لارم الأصمعي حلقته طوال أيام دراسته وبعد ان اصبح اساتذ حلقته هو
ابصاراً في المسجد ، وأحد عنه النحو ولبنة والادب . وكان اكثر ما عجب
الأصمعي منه معرفته بالشعر ، وصواب نقده له ، وحسن المقارنة نحو معانيه
الدقيقة ؛ وقد حكى الكثير عنه في هذا المجال (٣) .

وكان « خلف بن حيان » المعروف بخلف الأحمر ، أو الراوية ،

(١) لنا رأي في هذه الرواية وستحدث عنها في مكان آخر .

(٢) شاد الأصمعي حلقته في مسجد البصرة حوالي عام ١٥٤ هجري .

(٣) معجم الأدباء : ج ٧ ص ٣١١ .

أشهر رواة الشعر على الإطلاق في عصره وفي العصور التي بعده ، وهو
دوسي الأصل ، ولد في مصر وعاش فيها ، وحفظ كلام العرب الجاهليين
وشعرهم حتى صار يقول الشعر ويخيده ، وسجله المتقدمين فلا يتميز من
سواه مشكلة كلامه كلامهم . وكانت له قوة على تمييز الأشعار ومعرفة
اصحابها ، لذلك كان إذا أراد أن يروي شعراً على لسان أحدهم نظم
مدح شعر ذلك الشاعر سواء أكان جاهلياً أم متحزباً . وقيل : إنه هو
الذي تصدده الخاتمة المشهورة « بالامية العرب » ومصعب :

قموا بني أمي صدور مطعمكم فني أي قوة سواكم لأميل
فلاها عرب الأمدط وسبها إلى الشاعر الجاهلي « اسمرى » . كما
صنع قصائد أخرى تبرزها في سائر الجرائد وسبها إلى شعراء آخرين ممن
عرفوا بحرفته في الشعر .

وكانت حنيفة حنف في مسجد البصرة من امهات الحلقات ، يرادها
حنق كثير من هواة الأدب والشعر ليسمعوا آراءه واشادته وروايته لشعر
العرب النادر . ويمنعوا صوته ودعائه التي كانت لازمة . إحد الأصمعي
كثيراً ، ولازم حنيفة باستمرار وبدون انقطاع منذ صغره ، ثم تمكنت
سبها على مدى الأيام صداقة دامت أكثر من ثلاثين عاماً حتى وفي
حنف سنة (١٨٢ هـ) . والظاهر أن حنف الأحمر في حبه للأدب
وروايته لشعر ومسير معاشه ودقة المفاصلة فيه وتقديره وتخليه ، كان نموذجاً
مثالياً للأصمعي الذي سار فيما بعد على الخطى مسير ثم وراه فيها وقتاً
اسمها معاً في هذا المجال الأدبي .

والحق أن صداقة الأصمعي هذه حنف كانت خير ما درت عليه
الصداقات مع الآخرين ، فقد أخذ عنه الكثير جداً من الفوائد الأدبية ،

واشترك معه في دعائه ومساحلاته مع الآخرين من أدبه عصرهم . وكان الأصمعي يحترم أسدده هذا ويكثر فيه مواضعه ؛ ولكنه لا يفت منه عادة انتحال الشعر ونسبته الى غيره والتصرف بأشعار الآخرين ، وبعد ذلك صعباً في الأمانة الأدبية ونقصاً في الرواية .. يقول : قرأت على حنف شعر جرير الخطني وفيه هذا البيت :

فيا لك يوم خيره قبل شره عجب وسية وانصر عده

فقال حنف : و . . . ومن سمعه حير مؤول الى شر . . . قلت : وكيف كان يحب ان تقول : و . . : الأجد له لم خون : و . . : لك يوم خيره دون شره « . . . قال لي : ارود هكذا بعد اليوم (١) .

ومن هؤلاء الأسادة الذين نثر بهم الأصمعي في شتى العصور « سمعة ابن الخجاج » وكان من عبء القصرة السنين وأحد شيوخ الحفص الكيرة في مسجددها . أحد عبه اللغة والأدب . وثبت يسهب صداقه وموده وأعجب متبادل . ولهم منطرات حوية وأدبية حدثنا عنها بعض الرواة . وفيها ما يدل على إعجاب سمعة بلميذه وإعترافه له بحسن الرقي وصوابه ، حتى قال له يوماً : « لو فرغت للزمتك » أي للدرست عليك العلم (٢) .

والأصمعي - غير من ذكره - أسده كثير من شيوخ القصرة وأصحاب الحلقات في مسجددها . وله مع كل منهم أخبار . ومن أشهر هؤلاء : « مؤرخ بن عمر السدوسي » (٣) المعروف بتصعبه في اللغة والأدب ، و « محمد بن المنصور المصري » المعروف باسم « قطرب » (٤) . ومنهم

(١) ديوان المعارف : ج ١ ص ٣٥٣ .

(٢) الزهر : ج ٢ ص ٢٣٢ .

(٣) تولى مؤرخ عام ١٩٥ هـ .

(٤) تولى قطرب عام ٢٠٦ هـ .

أيضاً « حمد بن سلمه » و « حمد بن دريد » و « الأحفش »
و « عبد الله بن عون البجلي » و « قرة بن حليم » (١) . وأحمد بن
« يعقوب بن محمد بن صفوان » و « مسعر بن كدام » و « سفيان بن
سعيرة » وكل هؤلاء من أصول عماء عصرهم ، وتدرج كل منهم معروف
في علم الأدب واللمعة والنحو .

وكان الأصمعي تردد إلى بلاد الحجاز بين مدة وأخرى لأداء فرصة
الحج وكان كلما ورد مكة مكث فيها مدة وعمل في مدبب الثلاث : مكة
والمدية والطنائف ، واستقى معرفته ومحدثيه واثباته وروايته ، فيحضر حديث
معهمة هناك ويأخذ شيه ما يمكن حسده ، ويحسن البعض الآخر
ويصادمهم ، ويبدل مع روايا الأشعار فيجمع ما عندهم مما يروونه ويقتلي
البعض منهم ما عنده ، ويأخذ من أكثر ما أراد هذه الأرض المقدسة
ضوايا حسده ، في فترات منقطعة طعاً ، يعرف سائر عرائف معقوده وأدبه
كما يرويه .

فكان من أحد علمه هناك ولارميه (دفع بن عبد الرحمن بن عمر »
أحد أمراء لسمعه وتمام أهل المدية وعلمهم أبي صبروا إلى قراءته ورحموا
في أحسنه ، لأنه من الطقة الشدة بعد النبي عليه السلام . وكان اصمعي
الأصمعي . أحد عنه لأصمعي قراءته القرآنية المعروفة بقراءة « فسم »
وحض (٢) .

ولارم أحد الأمه « مكث بن أس (٣) صاحب الذهب المكي .

(١) تاريخ بغداد : ج ١٠ ص ٤١١ .

(٢) ابن حنبل : ج ٥ ص ٥ .

(٣) توفي مالك عام ١٧٩ هـ .

وشت سبها مودة ، فخذ الأصمعي عنه بعض الأحاديث ، وسمع منه كتابه « الموطأ » ، وأعطاه من عنده شيئاً من اللغة (١) .

ودرس دون الشعر الجاهلي « اشعري » وشرح بي هذا في مكة على الامام « محمد بن ادريس » صاحب المذهب الشافعي (٢) . واصغر انه درس ذلك في اواخر أيامه وهو من ، في حين كان اسد الشافعي شاعراً أصغر منه حسب ترجيح المؤيد (٣) .

وكان من أقرب عهده اجتمع اليه واثبتهم صداقة معه « سفيان بن عيينة » (٤) اتخذت اشتهور . حاله الأصمعي كثيراً ، واحد عنه بعض الأحاديث . وكان يزوره كلما قدم مكة ، ويتقرب اليه . فلم يوفى حبه الأصمعي عليه ورثاه بقصيدة من الشعر سد كره في مكان آخر (٥) . وأما من تعرف بهم وأخذ عن بعضهم من عهده الكوفة فعديدون ، منهم « حماد بن مسرة » المعروف بـ « حماد الراوية » ، اصغر منه من الديلم ، وكان مشطراً ويصاحب الصائبات والصوص ، ثم ضل الشعر وأتم الدس ونفذ العرب ، واحصى نجمع الشعر ومقوى في عمله فص بسب اسدده الى غيره من الشعراء المتقدمين ، وامعن في ذلك حتى قيل : « انه اشد الأدب العربي في روايته التي احدها عنه اهل الكوفة » . قدم البصرة وتعرف به الأصمعي فلم يأخذ عنه شيئاً ، إذ كان قد ابدى كثرة افتراءه على الشعراء (٦) ، ولكنه اعجب بحسن الدس في معي

(١) كتاب (المنتقى من اخبار الأصمعي) : ٢٧

(٢) الترمذ : ج ١ ص ٩٧ .

(٣) كان مولد الشافعي عام ١٥٠ هـ .

(٤) توفي سفيان بن عيينة عام ١٩٨ هـ .

(٥) عيون الأخبار : ج ٢ ص ١٣٥ .

(٦) العقد الفريد : ج ٢ ص ١٤٤ .

الشعر ، وروى عنه شت من دت .

ومن استدة الكوفة درس قدموا البصرة وأخذوا النحو عن علمائها
« علي بن حمزة الكسائي » ، ولا ندري إذا كان الأصمعي قد اخذ عنه
شتاً ، ولكننا نعلم أنهم التقوا - فيما بعد - في بلاط هرون الرشيد وتناظروا
مرات كثيرة هناك أمام الخليفة .

وقد ذكر بعض مؤرخي الأدب عدداً من فصحاء الأعراب الذين
قدموا البصرة وأخذ عنهم الأصمعي بعض اللغة والأدب والأخبار (١) :
منهم « أبو اسداء الراسبي » الذي عاش في البصرة طوال حياته . كان
مقل طلائع العلم وروى لهم عرب الشعر وكلام الناصب . وكان
درس الحسن وعلمهم نادرة .

و « عمرو بن كركره » وكفى رثي مدح الميموني . كان علم في
الدين ، وورث في الحضر . وتردد على البصرة ، وعظمي ما يجمعه من
السنن إلى صلاب التوائد الأداة فقه آخر . وكان معيباً لا ينصب في
السود والأحمر ، ويحفظ اللغة كلها على مذهب أهل البصرة . وله زميل
آخر يدعى « أبو عرار العجلي » ، لا يقل عنه فصاحة وحفظاً للسواد .
والأصمعي حصة قوة مع (بني عي) يزورهم في الددة ويأخذ من
فصاحتهم . ومنهم « أبو سوار العموي » المعروف ببوارده وفصاحته ،
وكان يزور البصرة ويأخذ عنه معظم طلاب الأدب .

و « شبل بن عرفة الصعي » ، سكن البصرة طويلاً ومات فيها ،
وكان من أحوارج خطيباً فصيحاً عند أدباء ، ودرس عنده كثير من
أهل البصرة وأخذوا عنه .

(١) كتاب القهرست لابن النديم - المعارف لابن قتيبة ، من حكايات وسيرة .

و « حيم بن حنف امري » ، صدق حنف الأحر والأصمعي ،
وأحد الذين سبقون في الوادي بين التلال ، ويجمعون اللعة والشعر والأحجار ،
ثم يعطونها لطلاب في مدينة البصرة . وكانت له و من حنف الأحر
والأصمعي محسن ووادى خرسية .

و « ابو محم الشامي » ، أحد تلامذة الأعراب وسفر وتلمذة ، وكان
سيطا الطبع ، عجب أشيته ، محم أدخه إذا حدث ، وعرب في كلامه .
وكان الطلاب يـون به وتندرون معه دون ان مضونه . والأصمعي معه
مخاورات ومناقشات طريفة

و « ابو مهدي » ، وكان من أطرف لأعرب وأدعهم كنية ، عشره
الأصمعي رميا طوازا وصدفه ، واستعمل بواذره ضد الشعوبيين الذين
حاصموه . وكان يشهد أقواله ببحر هؤلاء الحاصموه . ولأبي مهدي
بواذر كثيرة روى عن حنف القند امرئ في فضل حاص ، وميها
صحتك وبسر

و « الفقمي » ، راوية بني اسد وصاحب مآثرهم واحاديثهم ، وعنه
حد ارواة ما أثر هذه القصة .

و « ابو الدقش » ، اخطيب المعروف بفضحه ومواقفه الخطيئة في
سوق امرئ ، حيث كان يجمع طلاب العلم ويدونون أقواله وألفاظه .
وعبر هؤلاء عدد كبير امثال : الشاعر الراجز المعروف بـ « البهلبي » ،
وأبي طيبله ، وأبي حيوة بن تقيط ، والخرمري ، وربيعة البصري ،
وآخرون امثالهم .

خصومه في مجتمعه

كان مولد الأصمعي - كما قلنا - في عام (١٢٣ هـ) أي في عهد

خلافة « هشام بن عبد الملك » ، يوم كانت دولة الأموية متماسكة
أقوى في الظاهر . فلما دالت بتلك السرعة أمام الثورة العباسية ، وسقطت
المصر في أيدي الثأرس ، كان الأصمعي قد خلع السنوات العشر الأولى
من سبي حياته . . . فهو إذاً عصر الدوليين ، ومن العرق بين عهديهما ،
وواكب التطورات العاجلة والتجديدات المتجذرة في شتى نواحي حياة مجتمع
في فترة الحكم العباسي الأول : وعاش في حو مصره المحموم - ومثله -
سيرته المستمرة في المدى الحزيب العباسي . والاعتقادات المذهبية ؛
وشهد مولد اختلافات العنصرية بين ممرس وعرب ؛ واشترك كعضو
احتسني عمل في ذلك العيون المضطرب . ولكنه لم يكن من حملة السيف ،
بل قابل بالدم والحدود ، بل كان من اصحاب رأي وثبات ، فساد
به صد حصومه ، ودافع نفوسهم عن آرائه ومعتقداته . . . وانزعاج
السكري اوسع ميداناً من انكسار المستعصره ، واكثر حملاً للأعوان ،
وحصوه أصلاً : وهو في الوقت نفسه احسب في الآراء ، والاحكام
في الرأي ولد المتغيرات ومعت على المدرس والمحب . وبعد طرفين علماء ،
ويردهما احكاماً وثقافة .

كان صاحب - تحكيم - منه ومنه - أموي أقوى ، سبي اسذهب ،
ثم مال مع جماعته الى جانب العباسيين بعد رواي الحكم الأموي نهائيًا ،
وبقي يحاربهم عند حنصهم مع ابناء عمهم العلويين ، وقد أشد شديد
المعصب قوميته العربية ولم يحبه رأى الشعوبيين في عصره . وراى في
معصه تنادي هؤلاء ، يهجمهم على العرب : ولا يستطيع الفاء على الجيد
وهو يرى كثرة اموالي بين العرب وخلاص الأدب من رملاته اندس اعمرها
في المكرة شعوية وحموا لواءها في المصرية ، فاعمر هو أصلاً في الصراع

العصري صدهم ، وحاربهم مثل السلاح الذي عدهم ، وقرعهم حجة
نحجة وديلاً دليل ؛ ولم يضعف امام المناوشات الجائبة التي كان يشنها
دعاة المذاهب الأخرى من المعتزلة والخوارج والشيعة ضد مذهب اهل السنة
واسمعة الذي كان يدن ه .

وكان ميدان هذا المعترك الفكري مدينة البصرة بأجمعها .. هناك ، في
المسجد الخدم حيث مستقى العرب والأدباء والشعراء والطلاب على اختلاف
عصرهم ووطنهم ومذاهبهم ، وفي سوق ابريد حيث يخطط اشدت الس
لأعراب الفصحى وحضرة الشعراء من سائر اقطان ، فشهدوا الاجتماعات
والتقى الأفكار وتحدث الآراء وتعارض المبادئ . وفي محاسن اربل وسواها
الموسم من حيث تاحر العرب العلم والأدب ، فتدور مواقفهم ووطنهم صراحة
على أسسهم ، في ثوب فكري قتيب .

وشدت الصفوف ان تحق في هذا الحواري نوح ثلاثة من جمع
الشباب ، يتقاربون في الأعمار ، ويدرسون في مسجد واحد ، - - -
- ثلاثتهم - باللغة والأدب والأخبار ، ويجمعون فوائد السكرك من
مصادر متشابهة ، ويدرسون في المجتمع البصري في عهد واحد ، وهم :
ابو زيد الأنصاري ، والأصمعي ، وأبو عبيدة . فسمعوا الس في عصرهم ،
وجمعوا اللغة العربية كتب ، ودوروا الأدب القديم الذي بين أسس اليوم
عاش كل من هؤلاء ما يتوفى على التسعين عاماً ، فافتقرت البصرة
بعضها ، وصار طلاب العلم وهواة الأدب في البصرة وشبهه اذا دكروا
احد هؤلاء الثلاثة ذكروا صاحبه معه ؛ وادا تحدثوا عن فصل احدهم
قارنوه بفصل رفيقه الآخر . وما رل حتى الآن قراء آثار اقوال العلماء
فيهم ، ومقارنتهم بينهم ، كتوفهم مثلاً : « الأصمعي احفظ الس ،

وأي زبد وتحم ، وأبو عبدة اجمعهم نعم « وقولهم : « أو زبد جمع
 عبدة اسس وحفظه ، والأصمعي نزل في قصص بطرب الس ، وأبو عبدة
 أدب طوي على غير « وقولهم : « أو زبد أعلم من الأصمعي ، نحو ،
 والأصمعي نزل من صحبه في العبدة ، وأبو عبدة معروفها بالأحبار
 والمأرب « وقولهم : « الأصمعي يروي نكت اللغة ، وأبو زبد يحسب في
 سب ، وأبو عبدة في كعب « (١) . في آخر ما حديث من آراء صدرت
 من اس تحسب أهواؤهم نحو هؤلاء ، والآراء المعاصرة .

وكن الخرافات إلا ان حقق سبهم حلاق في السدى ، والمذهب
 والآراء ، صيته ان نك اسفه الطبيعية سبهم على الفصل والكتابة عبدة
 من اس .. فكل أو زبد عرباً يرى رأي اقدرية في الاعتزال ؛
 وكان له عبدة ورثه بعض للشعوية وندس مذهب الخوارج ؛ س
 كان الأصمعي عرباً بعضاً تقوم به ، نندس على الشعوية ، ومذهب في
 عبده مذهب اهلس السنة واجمعة . فست هذه السنة الطولية السدى
 وحدثت ارجح من هؤلاء ، نزلوا ادوار مهمة في حو النصرة العلمي ،
 . الب آثاره مدوية حادثة في كتب لأدب العربي .

كن السفس والسدى من الأصمعي وأي زيد ضعفاً عكس ما كان
 من الأصمعي وأي عبدة نندس نندس طوان حياتهم في سجل مستمر لم
 نهد ثمره .. وذلك لأن كلا من اي ، ل والأصمعي عربي ، فلم
 يحدث نندس ما يحدث عبده من شعوي متطرف وعربي معصب ؛ ولأن كليهما
 مسلم مع من سبه ، صدق المبهجة في الحديث ، فلا يفتري على الغير اذا
 عصب ، ولا يمدى في القول اذا استنير ؛ على ان أريد كل أكثر

(١) اس حكايا : ج ٢ من ٢٤٧ .

تحقيقاً عن اخصومات وأقل شطاً وحيوة من الأصمعي الذي لا يسه من
 اح في حصومته ، ولا يلج في الحصومة مع من سه . بحث كانت فترات
 السلم طويلة بين ارحلين مع احترام مندل وشهادة دية كل مهما في
 صاحبه . ولم يصل الخلاف المدهى به إلى حالة الطرف والمدة ما عدا
 ابداء الرأي كما هو المؤلف بين علماء المذاهب في ذلك العهد . . . وكان
 ابو زيد أكبر من الأصمعي بعدة سنوات ، لذلك قيل . ان الأصمعي ح .
 يوماً إلى حلقة ابي زيد فقبل رأسه وجلس معه ، ثم قال له : انت
 رئيسنا واستاذنا منذ ثلاثين سنة (١) .

ولم تكن الخلل كهذا بين ابي عبدة « معمر بن اثنى » والأصمعي .
 فقد كان ابو عبدة حفيد يهودي من اهل فارس : وبعد مدخلين بين
 مدخول النسب ، متهماً بتياله لعمر . سبط ابن مذكّر حدهم بسب
 كل سوء ، ولا سم من الافراء على العمر ، وسمع الأخير ، وحتى بعد
 الأحداث السوء في سبيل اخصومة . وقد قيل ان القصيدة كما لا
 تقبلون شهادته لسوء حظه (٢) .

وكنه مع ذلك كان من عمه النعة والأدب ، وفي طبعه
 رواية احبار العرب وامهم واحواهم . . . وكان يقول « ما التقى عيسى
 في الحضيبة او في الاسلام الا كان عدى حرمه » . وفي مؤامرات
 كثيرة تدهر الله كتاب في النعمة والسب والآخر والأدب ، وقد
 ذكرت ما بعض المصادر العشرات الأسماء منها . . . وهو - على سوء حظه -
 حاد الذكاء ، سريع الخواطر ، لادع المكتبة ، طريف العشر داله

(١) ابن خلكان : ج ٢ ص ٣٤٨

(٢) ابن خلكان : ج ١ ص ١٢١

تتغلب عليه حدة الطمع .

كان هو والأصمعي على طرفي نقيض في العقيدة والمذهب والتطرف
المصري ، وفي الكثير من المواهب أيضاً ؛ فقد أوتي الأصمعي حظاً وافراً
من وصوح البيان وحس المبهجة وقوة الحجة ، وهدوء الطمع في المناقشة ؛
نعكس أي عبدة الذي كان أثلج . نحن في كلامه ونكسر أوراں الشعر عند
اشدده ؛ وذلك قل أبو بواس : « كان طلاب العلم إذا جاؤوا مجلس الأصمعي
اشتروا المعري سوق الدر ، وإذا أوا محس أي عبدة اشتروا الدر في سوق
المعري » (١) . وهذا شهادة واضحة من أحد خصوم الأصمعي (٢)
دل على قدره في تمتق الكلام وتزيينه بحيث يصبح التافه منه حسناً في
آذان سامعيه ، في حين كان أبو عبدة يسيء إلى غرارة عمله بحف
طريقه في الحديث ، وشفته وخه (٣) .. وأكثر من ذلك أن الأصمعي
يقن أحد اللعة فلا يحفظ كلمة منها حتى تعرف إلى مدلولها ويشهده إن
كان مما يشهد . وإذا تحدث في عصه الأبل مثلاً عرف أبا كن الأعضاء
في جسمها وأشار إليه عند الضرورة ، خلاف أي عبدة الذي كان يعتمد
على ذاكره ويكتفي بـ يحفظ (٤) .. كل ذلك جعل الأصمعي في
نموق دائم على حصه في مناصرات والمناقشات التي كانت تستخدم
أحياناً بينها .

وأول ما قد أعدوه وخصومة بين ارحبين هو عو أي عبدة
شعوبينه وكرهه للعرب ومظاهره ذلك . فكل يحفظ عيوبه ، ويدون

(١) ابن حنكآن : ج ٢ ص ٣٤٦ .

(٢) كان أبو بواس يدرس على أي عبدة ويؤزره ويهجو الأصمعي .

(٣) ابن حنكآن : ج ١ ص ١٢٦ .

(٤) ابن حنكآن : ج ٢ ص ٣٤٧ .

مثالهم ، ويجمع اشعارهم في هجاء بعضهم ، وبهمك سحرية لادعه على ما يصادفه من قص في بعض عدايه وأحوالهم حتى امتلئهم : وفيها مُدحت قبيلة منهم أممه إلا عصب وراح بعد جلالة مثالها ولسد ما قيل من هجاء فيها : ويؤلف في فضائل القوس . فكل هذا يستثير الأصمعي ويدفعه الى مقابله بالمثل دوعاً عن عصره العربي ، فعنت الحفوة بين الشاين الرمييين ، ثم تحولت الى حرب كلامية وصراع بين فكريين ، فقد كل منها معسكره ضد الآخر في موشات سلاحها العلم والفكر واللسان . يقول السيرافي : « كان ابو عبدة والأصمعي يتقارضان وقع كل منهما في صاحبه » (١) ..

بدأت المناوشات بينهما وهما تلميذان في المسجد الجامع . فكل الذي يغيظ ابو عبدة من صاحبه تعجده عصره ومذهبه وتحدد العرب وذكرهم بكل ما يريهم ، وتحذنه بإعجاب عن الأبطال الذين نبغوا في التاريخ من بني باهلة ؛ ثم هو يذكر اياه قريب بكل تجلة واحترام ، ويسب مصر الروايات اليه . فيتور ابو عبدة لذلك ويقذف باهلة بكل نقصة ومشة ، ويشتم قريباً ويقسم بأنه كان نذلاً من الرجال . فيسمع الأصمعي بما يقوله خصمه هذا ، فيقابه بالمثل احياناً ؛ فاذا ذكره في كلامه دعاه - « اس الصباغ » نسبة الى مهنة ابيه ، وإذا عصب دعاه - « اس اليهودي » نسبة الى جده الذي كان يهودياً .

فما اكسبها ، ونموا كل منهما مكانه العلمية انقسم طلاب العلم بينهم الى جبهتين : شعوية يقودها ابو عبدة ، وعريسة يتبها الأصمعي ويدير دفتها . واستمر الصراع الفكري بين الطرفين زمناً طويلاً ، فقال كل منهما

(١) السيرافي : ٦٩ .

نخصمه من الطرائف والوارد الأدبية ما أصحك الدس في ذلك الرمن
وأعجبهم ؛ ولا يزال يضحك قراء العربية ويعجبهم حتى يومنا هذا . ولم
تهدأ ثائرة هذا الجبل بين الرحلين حتى بلغ كلاهما الجانب البعيد من
الشيخوخة . فترهد الأصمعي وتورع وتقي صاحبه على سوء خلقه كما
يقولون (١) .

وفي باقي نوان من تلك الطرائف اسددة :

قيل لأبي عبيدة : ان الأصمعي يتحدث عن أبيه ويقول : « بينا
ابي يسير الأمير سلم بن قنبة على فرس له . . » فصاح ابو عبيدة مستكراً
وقال : « سبح الله ، والله اكبر . . الشيبع بن ثوبت كلاس ثوبي
زور . والله ما ملك ابو الأصمعي قط دابة ، ولا حمل الا على ثوبه » (٢) .
وقبل له مرة : ان الأصمعي يدعى في نسبه الى باهله . فظهر تعجبه ،
مجهلاً هذا السب ، وقال : « هذا لا يكون قطعاً !! » قالوا : ولماذا ؟؟
قال . « لأن الدس اذا كانوا من باهلة تدرأوا منها ، فكيف يأتي من
س من يمتسب اليها » (٣) ؟

ويقول الأصمعي : دحنا انا وابو عبيدة الى السجد روماً ، فوجدنا
على الاسطوانة التي يحس اليها ابو عبيدة سماً من الشعر مكتوباً في نحو
سعة أدرع :

صلى الإله على لوط وشيعته انا عبيدة قل بالله آميناً
قرأ ذلك ابو عبيدة ، فاستشاط غضباً ، وقال لي : يا اصمعي ، استر
على ما رأيت ، وساعدي نحو هذا قل ان يقرأه الناس . فركبت على

(١) كتاب المعارف : ٢١٧ .

(٢) السيراني : ٦٩ .

(٣) ابن حنبل : ج ٢ ص ٣٤٨ .

ظهوره ، وصرت أمحو الكتابة شيئاً فشيئاً حتى انقضى . قتل : ويحك ،
اثقتني وقطعت طهري ، فهل انبئت ؟ قلت : نيت كلمة « لوط » ،
قال : هي والله شركت هذا الست ، وما اضلك صغت شئ حتى
الآن (١) .

وقيل لأبي عبيدة : كن الأصمعي اليوم يتحدث عن اطل « هلة »
في الجاهلية والاسلام ، فعص ابو عبيدة وقال : « رأيت في بعض الجميع
ان الأشعث بن قيس الكندي قال للبي (ص) : أسكاف دماء !
رسول الله ؟ قال البي : نعم ، ولو قمت رجلاً من همة لقيت (٢) » .
ويقول ابو عبيدة ، متندراً على العرب : قال لي « ابو الدهم .
الأعرابي : علمت أن (الأعراب) و (الأعراب) هجاءها واحد ؟ -
اي عدد حروفها مع حركاتها - قلت : نعم ، قال : « الأعراب
اشد كفاءً وشدقاً » ولا تقرأ « الأعراب اشد . . » ولا تعربك الأعرابي
وان صام وصل .

فيجيبه الأصمعي بادرة مثب ويقول : « سئت ابا الشناس الأعرابي .
أكنتم تتوصون بالادية ؟ قال : نعم والله كما سوص ، وكاست الوصوة
تكفي الواحد مما أيماً عديدة ، حتى جاءنا هذه الجراء - اي الموالى من
الفرس - وجعلت تليق أستاذهم كما تلاق الدواة ، فصارت الوصوة لا تكفي
واحدنا اكثر من صلاة واحدة » .

ويقول ابو عبيدة - سحراً من اسماء العرب - : سألني احدهم عن

(١) ابن خلكان : ج - ص ٣٢٨ - الذي كتب البيت هو الفاضل ابو نواس
(٢) ابن خلكان : ج ٣ ص ٢٥٢ - اثر الالتغال في هذا الحديث ظاهر . لأن البي ومن
كان لا يدرى بأحد من المسلمين ، ولا يفرق بينهم في المنة : فكيف يقول ذلك وفي
صحاحه عدد من ناهلين ، وفيهم من بايع تحت الشجرة ؟ مع العلم بأن نسب الباهلين
يتصل منه في (مصر) .

شخص فلم أعرفه ، فقد « كس » - وكان ممروراً - : أنا أعرف الناس به : هو « خراش ، او خدش ، او قرواش ، او رياش » او شيء من هذا ؛ فقلت : ما احسن ما عرفته ؟! قال : اي والله ، وهو فرشى اصا !! قلت : وما ادراك ؟! قال : اما ترى كيف احتوشته الثيت من كل جانب (١) ؟!

فيقول الأصمعي : كنت انا مهدي الأعراي : اقرأ شيئاً من كتاب الله ؟! قل : نعم ، قلت : اقرأ سورة والصحي ، وفتح مرأ « والصحي والليل ذا سحا .. » حتى انتهى الى « .. ووجدك صالا فهدى » مكنت ولم يقرأها ، وقل : ان هؤلاء العلوج - اي الموالي القرس - يقولون « فوجدك صالاً .. » وانا والله لا اقولها ابداً (٢) .

كان الدس في البصرة يتشوقون الى سماع هذا النوع من الأدب في الخوصومة والمباحكة بين هذين النافين ، وربما تعتمد بعض سراة النصريين جمعها في مجلس واحد دون ان يعلم احدهما بحضور الآخر . فكان ابو عبيدة اذا رأى الأصمعي يتدفق حديثه ورواده ، وينقلب من لون في الأدب الى لون آخر ، اعتزله الخدة في اعصاه وراح يعرض للأصمعي ويحطه ؛ فيجد الأصمعي في ذلك محالاً لهفته ومناظرته ، فيتعمد استنارته وإغضابه قل اسطرة ، ثم يضرب فيقلبه ويكفه ، ويتركه غير ملتفت الى سلاطة لسانه ولامه عند اعصاب لسان الدس قد عرفوا ذلك فيه (٣) . وقد قيل إن الأصمعي اذا اعصب اما عبيدة امتنع عن الدخول الى المسجد الجامع اثناء

(١) ابن خلكان : ج ٤ ص ٣٢٩ .

(٢) العقد القرئيد : ج ٢ ص ٣١٨ .

(٣) ابن خلكان : ج ٤ ص ٣٢٩ - كان ابو عبيدة لا سلم احد من لسانه ، فلما مات لم يخرج احداً من اهل البصرة في جنازته لأنه لم يترك احداً منهم الا نال منه .

وجوده فيه ، ويقول لأصحابه : اظروا هل هو هذا " خوف من محبته
له امام الناس (١) .

ولم يتل الأصمعي بهذا الحضم العبد وحده ، ولكن عدداً كبيراً من
الشعوبيين كانوا يؤازرون ، عبيدة ويعبوه عبيده وفيهم الأديب
والشاعر والراوية ؛ فلم يتركوا في الأصمعي مطعاً لا اصابعه منه ؛
فهاجموا شخصه وشعوا به ، واحتقوا القصص ليس من أبيه ومن فتيته
ومن العرب اجمعين .. سمعوه مرة يقول : " حدثني ابي . " فغاضهم
ذلك ، وصعوا هذه القصة على ابيه ففقدوا .

« جاء - عطاء الملك - بجماعة من اهل البصرة في ابي الأصمعي ،
فوجدوه ملتفاً بكسائه ، نائماً في الشمس . فوكبه (عطاء) رحله ،
وقال : قم وسلك يا قريب ، هل بقيت احداً من اهل العلم قط او من
الفقه او المحدثين او الأعراب او اهل البصرة " و لا والله . فالتفت
(عطاء) الى من معه وقال لهم : هذا هو ابو الأصمعي ، فشهدوا عيه
وعلى ما سمعتم منه ، لا يقل لكم انه عدو : " حدثني ابي .. وقال
ابي .. » (٢)

وسمعوه مرة اخرى يقول : « قل ان الأحيد مولى أبي .. » فم
يرق لهم قوله ، ولم يستطيعوا تكذيبه لوجود هذا امر حقيقته بهم ،
فاحتقوا هذه النادرة الطرفة وأشعوه بين الأدباء ، ففقدوا :
« لقي اعرابي رجلاً ، فسأله عن س . فقال : من ناهلة ، فوثى له

(١) ابن خلكان : ج ٤ ص ٣٢٨ - طبقات الادباء : ج ٧ ص ١٦٨ .

(٢) السبراني : ٦٩ .

الأعرابي ، فقال ارحل : وأزبدك اي لست من صميمهم ولكن من مواليتهم ؛
وقبل الأعرابي على ارحل يشد يديه ورجليه : فبهت الرجل وقال له : لم
هذا كله ؟؟ قال : لأن الله عني ما ابتلاك بهذه الرزية في الدنيا إلا
ليجعلك من اهل احة في الآخرة » (١) .

وهكذا لم يترك الشعوب طريقاً الى الأصمعي إلا سلكوه للنيل منه ،
كما كان هو لا يترك فرصة تمر إلا يصيده لأجل الاشادة بأنجاد العرب
ومكارمهم ، والتحدث عن ابيه وقبيله ورفع مكانتها ، والكيل للشعوبيين
ورد اقوالهم ومفتريهم ، كقوله مثلاً : « خالجي الشك في كلمة - استخذي -
أهي مهمورة ام غير مهمورة . ففت لأحد الأعراب : أقول : استخديت
ام استجدأت ؟؟ قل : لا اقولها ، قت : ولم ؟؟ قال : ان العرب
لا سحدي » (٢) .

ويقول اصلاً من باب الحكمة : « ثلاثة تحكم عليهم بالدناءة حتى
يعرفهم : رجل يمشي في الغدر على فرعة الطريق ، ورجل تشم من فمه
رائحة الحمرة ، ورجل يكلم مدرسية في بلد عربي .. » وأمثال هذا كثير .
ففي الأصمعي ضواش شديدة وشرطاً من كهولته يقارع هؤلاء الشعوبيين
ويصد هجبتهم على عصره وقبيله وأسرته ، ويتصيد زعماءهم في المجالس
واستديت وينحجهم وسطهم ويستعين بكل ما أوتي من علم وموهبة ولدقة
فيهمهم . بحق وناضل اذا استطاع ، كما فعل «لحوي المشهور » عمرو
ابن عثمان المعروف « بسوءه » المدرسي الأصل حين ناظره في المسجد
ادم الجاهلي فهرمه بيده وكان الحق مع خصمه (٣) . فلم تكدر مكانته

(١) ابن حنبل : ج ٤ : ص ٣٢٧ .

(٢) كامل : ٢٢٤ .

(٣) معجم الادباء : ج ٢ ص ٢٨١ - وابن خلكان : ج ٢ ص ٣٤٩ - نوني سيويه عام
١٨٢ هجري .

العلمية بين الناس ، وكثر ظلاله ومؤاروه ترك هذا النوع من السلاح الى
طلابه لمواجهة الشعوب الذين كانوا قد كثروا ايضا وقاتلوا على شخصه
وسمعه دون فائدة . . . وكان من اشد من ناصبه العداوة في كرهه الشاعر
ابو نواس « الحسن بن هاني » الذي هجاه وهجا العرب بمشاهد كثيرة
واعان استاذة انا عبيدة عليه ، وصار سال منه ناسه في كل مسألة .
ولكن الأصمعي لم يلتفت اليه ولم يعبا بأقواله فيه ، ويقول : « سلام
فارسي خبيث نهم الشعر وهجا العرب » (١) .

وما دمنا في بحث خصوم الأصمعي فلا بد من ان نذكر امين من
علماء عصره ناصباه العداوة ايضا ، وترك آثارا فيه لا يراد حتى لار : وهما
« يحيى بن المبارك » المعروف بابي محمد اليزيدي ، و « محمد بن زيد »
المعروف بابن الأعرازي :

كان يحيى بن المبارك هذا زميلاً للأصمعي في حقة « أبي عمرو بن
العلاء » فسغ في اللغة والنحو والأدب وصار اسد حقه في مسجد المصرية ،
ثم انتخب معصاً لأولاد هرون الرشيد وفيهم الأميين واسمون . وكان
« خنف الأحمر » بكرهه ويردري به ويضخم فيه لأشعر ، معصاً اليه
عنده للعبهان . وكان الأصمعي يحكم صداقه خنف وصدده اقوة به يؤيده
على يحيى ويروي أشعاره فيه ، وعلق عليها سواد فكري طريفة ، فشئت
بينه وبين يحيى خصومة أصداً ودامت بعد وفاة خنف . وصار يحيى يقول
على الأصمعي ويذمه ، ثم هجاه فقال :

(١) ابن منظور (احبار ابي نواس) : ١٧ .

أَلَا هَتَّ كُلُّ مَنْ يَتَّبِعِي إِلَى بَاهِلِ أُمِّهِ الْهَابِلِ
فَكَيْفَ إِذَا كَانَ ذَا دَعْوَةٍ وَكُفَّةِ نَسْتِهِ شَائِلِ
أَبْنِ لِي دَعْيَى بَنِي أَصْمَعٍ مَتَى كُنْتُ فِي الْأُسْرَةِ الْفَاضِلِ
وَمَنْ أَنْتَ : مَا أَنْتَ إِلَّا أَمْرُو إِذَا صَحَّ أَصْلُكَ مِنْ بَاهِلِ
وَاللَّهِ عَلَى عَلَى حَرْدٍ كِتَابٌ : لَا كَلَهُ الْآكَلَةُ (١)

واسم هذا العدا بين الاثنين طويلاً وأما دوراً حطيراً في سلاط
الرصيد كما سرى ديث بعد .

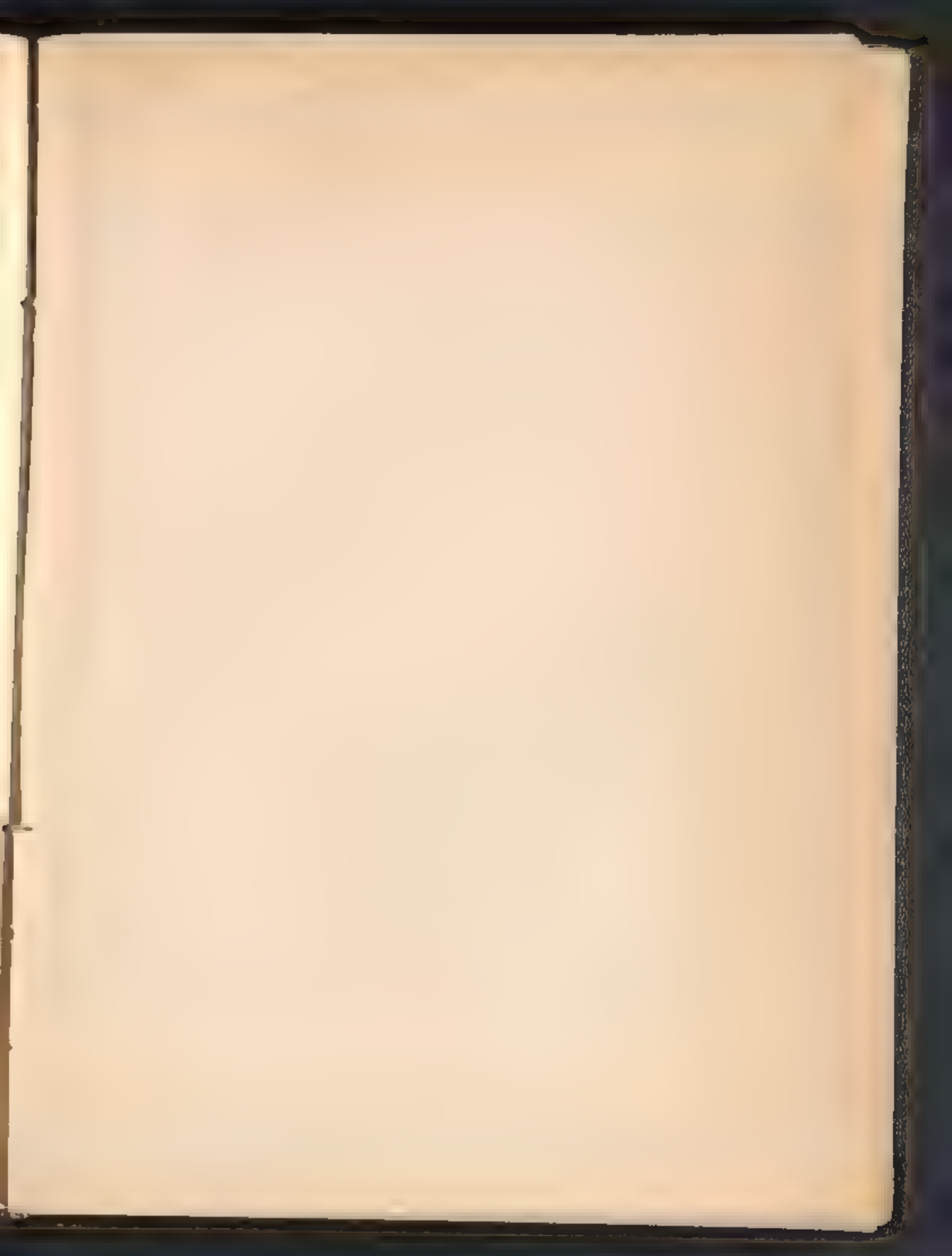
وأما ابن الأعراسي ، فكان من علماء الكوفة البايعين في اللغة والأدب ،
أسود اللون . أدرك الأصمعي متأخراً (٢) . وقد اختلفت الروايات في سب
كرهه وعدته للأصمعي . فقبل أنه قدم النصرة فحده الأمير « سعيد بن
سماعة » مع الأولاده : وفي ذات يوم قدم الأصمعي عند سعيد فسمع
أحد أولاده يرمي شاة من الشعر ويلحن فيه لحناً واضحاً ، فسأله عن السبب
فقبل : هكذا علم الأستاذ ابن الأعراسي : فدعا الأصمعي ابن الأعراسي
ووشه في ذلك اللحن فوجد انططاً منه ، فالتفت إلى الأمير سعيد وقال :
هذا لا يحسن أن يكون معلماً لأولادك ، فنحاه سعيد عنهم ؛ فثارت نائرة
إلى الأعراسي وراح شتم على الأصمعي وبتهمه بالجهل والكذب ، ويخلف
دنه سمع من ألف أعراسي خلاف ما رواه الأصمعي في عصر اللغة (٣) ..
وفي رواية أخرى أن ابن الأعراسي لم يقابل الأصمعي في يوم من الأيام ،
وكبه دمه العدا حده منه لعمه وفصاه .

(١) ابن حبان : ج ٥ ص ٢٣٦ .

(٢) توفي ابن الأعراسي عام ٢٣١ هـ .

(٣) ابن حبان : ج ٢ ص ٣٤٨ .

وعلى هذا فـ قد أخذ ان نشط الأصمعي في مجتمعه العلمي والأدبي ،
ورور شخصيته بسرعة في ذلك الخضم الراخر نيارانه الفكرية والمذهبية
والعنصرية ، خلقا له خصوماً من كل نوع فذهب خصومه بالافتراء عليه كل مذهب ؛
ولكنهم لم يستطيعوا إجماد جذوه والخط من مكانه في شيء ، وربما كانوا
من العوامل في شهرته في كل مكان . وكانوا - مع ذلك - حريئاً من
تلك المدرسة الاجتماعية التي صفت شخصيه وادكت سوعه ؛ واليه يعود
بعض الفصل في ابراز قبيحه ومواقفه للناس .



القسم الثاني

شخصية وأخلاقه

١ - دمايته وإهماله ، وقتور غريزته

٢ - بخله وحرصه

٣ - ظرفه وخفة روحه

٤ - تدينه ، وصدق لهجه



دمامته وأعماله ، وقتور غريزته

جاء في الأحصانه كان دميم الحلقة ، تافه الهيئة والمنظر . اهداه احد
الأمراء حارية ففرغت منه ونفرت عنه وبكت نصيره معه ؛ وهداه بعض
حصومه فوصفه بالقرود ، وفصل القرد في صورته عليه . وعالت بعض الروايات
في وصف دمامته مما دل على انها كانت من صرع معصيه وشائبه (١)
غير ان اندي نصوره من خلال سيرته وتاريخ حياته هو ان سجنه كانت
اقرب الى الدمامة منها الى الصححة والحل ؛ ولكيف دمامة غير مشوهة ،
في قسمة لا تمنح العين كما لا عسو اليها الانظار . . رجع القصة ،
لا بالطويل الممشوق ، ولا ناقص الدن ؛ اسم الثرة كمن يحبه شمس
الصحراء ، في حمسة عريضة واسعة ورده ، وعيين سوداوي صغيرين
تشن دكا ، وقصة ، ركب فوق انف اسدق اعلاه وعرض ارسه ،
وقم اسدق ملي ، الشمين على دقن رفع النهاية ، احتفت به حلية خدعه
سوداء ، رق عرصها وطأت بها مقدار ما تسوع قطعة الكب ،
سيراً على قاعدة السة (٢) .

قيل : ان الله ومعرفة كانوا يكونه في صعره « ا ، القندس » كثر
حصينه (٣) - واتخذ في اللغة نوع من السكر يستخرج من النمر ويحل
على شكل كرات . . وعرف في كثره كنيته « اي سعيد » .
كان على دمامة صورته هذه جهلاً منظره الخارجى الى حد بعيد ، سير

(١) لو كان الأصح من اشاعة الشكل الذي يصغه به حصومه ان استعاض به يكون مدعى
للرشد وحباً مقرأ عنه . ولكن هذا خلاف ما يشترط في مادته الخفاء في ذلك
العهد ، كما هو معلوم .

(٢) كتاب المعارف : ١٨٤ .

(٣) الدميري : ج ٢ ص ٢٨٢ .

من نسب عريق يفخر بوجاهته ؛ في حين وهته ذكاء مقدر وحاً
 وادراكاً يبصر بهما الفين الفاحش بين اديب فانه فضل عثر سهل وفقه
 وقصه وصعة له . وبين آخر غني بليد يرش ، مستفس وخير ، وسم
 في فراش دعم ، ويركب في النوكب الخطير وتقول بين الناس : كل ابي .
 وقد حدث الدريج من النقر والقبح وحده سب قبح اجتمعت في
 رجل دكي علم الا جئت به نحو النور على النور والحياة ، او اندفعت
 به الى اردقة والكمر . ولكن الأصمعي افوي الأعصاب انزل العكبر
 لم يجمع الى هذا ولا الى ذلك ، انما انحصرت ثوبه الفية من هذا
 الحرمان الى افهام الناس انه جميل في روحه وطريقه ، عبي عبده وعقده ،
 رفيع النسب دمه ، ويقول : « جمل الروح اظن ريماً من صدارة
 الوجه » ويقول : « من فقد به سه بهض به ده » (١) .

كان يحاول ان يهيم الناس ذلك من وراء احديثه وروايه ، وقد
 يحد عندهم قولاً لذلك اندفع ساحراً ، نحو البديع والثراء العبي السخيف ،
 ويروي القطع الأدبية النادرة في ذلك ، فتدوي صراحة بين الناس ، وينو
 القريب والبعيد . . يقول مثلاً : رأيت في البصرة شيخاً له منظر حسن ،
 وعليه ثياب فاخرة ، وحوله حاشية وهرج ، ودخل وخرج ، فرددت ان
 اختبره ، فسلمت عليه وقلت له : ما كنية سيدنا ؟ قال : « ابو عبد
 الرحمن الرحيم ماث يوم الدين » فصحكت منه وعرفت رقة عقده (٢) .
 وتبلغ به السخرية اللاذعة والتحكم المر احباً الى ان يرددي لشككه
 وقبح هيئته وتندر على نفسه كما يتندر على غيره ، ويحفظ هذا ذكاً .

(١) الأمالي : ج ٣ ص ٢٢٣ .

(٢) كتاب المعارف : ١٧٢ -

فيحقق جواً ادبياً ظريفاً تشع فيه روحه بخجله على شكله ، ويتدفق لسانه
بمزايا علمه وكموز ادبه تدفقاً يتضاءل امامه جمال وجوه الحاضرين وسعة
تراثهم ، فيظهر امامهم كما قال عنه الخاطب : « احمل من تحدث
وأعذب من حكى » .

يقول : « دحيت على احد الأمراء في مجلسه ، فقال : يا أصمعي ،
هل لك من راحة ؟ » قلت : لا ، قال : فجرة ؟^{١٩} قلت : حارة
للمهية ؟ قال : فهل لك ان اهديك حارية بطيعة ؟^{٢٠} قلت : ابي للحج
اي دنك . فأمر باخراج جارية الى مجلسه ، فخرجت حارية في عاة
الخس واحمل واهيئة والطرف ؟ فقال لها : قد وهبك لهذا ؛ ثم قال :
يا أصمعي ، حدها فشكره على هته ، فكت الجارية وحرعت حزناً
شديداً وقت : ، سيدي . اي ذنب حست حتى سدمني ان هذا ، مع
من ارى من فتح صورته ؟! وظهر الأمير تردده وقال : يا أصمعي ،
هل لك ان اعوضك من الف دينار ؟ قلت : ما اكراه ذلك . فأمر لي
بثمن دسر ، ودحيت الجارية الى القصر : فقال مسياً : يا أصمعي ، اي
انكرت من هذه الخيرة امراً ، فزدت عقوبتي بك ، ثم رحلتها منك .
فت . فها انعمتي بذلك قد يحبني اليك ؛ فاني لم آت حتى سرحت
حتي وأصحت صبي ؛ ولو عرفت احدهم لصرت اليك على هيئة حقني ،
فوالله لو رأي كدك ما نودت شداً نكراه منها طوال حياتي^(١)

ويلا أصمعي رويت وطرف من هذا المعنى اللاذع حول القمع
واحمل . وسدوا له كراهي بهذا الشأن حين كان يتعطل مراحل
نفسه ، وفي ان كسبه فيعمر في احوال مكري حيث لم يعد ينفت الى

(١) تاريخ بغداد : ج ١٠ ص ٤١٤ .

المظهر الحسن والصراحة كما لمعت في الإنتاج في الأدب .. ومع أمعا
 البحث في سيره وعصره لإجداه وتر العريضة في كل ما يتعلق بالمسائل
 الجنسية ، بعيداً عن معارضة النساء رغم صحمة ما روى من الشعر العزل
 الرقيق ، راهداً في الأحوال معهن . فلم يخبره هو عن حب علق به يوم
 فتوته ، أو هوى أسهره ليلة من لياليه طوال شبه . وحتى حصومه الذين
 كانوا يحثون عن رآيه وأحضانهم يشيروا إلى شيء من ذلك .

كل ما تعلمه عنه في هذا الحقل هو انه تزوج في حداثة وأنجب عقباً ،
 ثم انه ترمس في شبه فقي زمل حتى النهاية .. ولا شيء أكثر من
 ذلك (١) . غير اننا قد احدث حصومه سببه بعد موته - على سبيل
 الصلاة - انه كان « مانوي » (٢) : والاشوية مذهب محوسي قديم ، ثم
 ينسب إلى « ماني بن فيث من ناك » ، يقول : « رب العالم متسوع
 ومركب من اثنين قديسين هم « النور ، والظلمة » : وكل ماني هذا قد
 حرم على نفسه شرب الخمر ، وأكل اللحم ، ومدره الله (٣) .. فتقول
 خصوم الأصمعي بأنه كان مانوياً لا حيي الضعيف عقده ، وهو معروف
 بورعه وتقواه ، وكفه كان لا شرب الخمر حكم تسكه بدم ، ولا يكثر
 من أكل اللحم لأنه لا يألفه ، ولا يتشبه بالنساء لفتور غريزته الجنسية .
 وقد جاء في كتاب « البصائر والذخائر » لأبي حيان الوحيدى رواه عن
 أحد طلاب الأصمعي الطبري ، قول : « تقدم الأصمعي إلى جارية ، بعدما
 كبر ، فانقطع ، فقال : سمعت من حلق حنة فأماته في حياته » (٤) .

(١) سمعت هذا في مكان آخر من الكتاب .

(٢) تاريخ بغداد : ج ١٠ ص ٤١٨ .

(٣) الملل والنحل : ج ٢ ص ٧٢ .

(٤) البصائر والذخائر ٥٦ .

وقد يكون لنور عريته هذا الأثر الكبير في تكوين أخلاقه ؛ وقد رأيه هدى الطمع ، مستقيم الأطوار ، يعلب عليه التعقل في سائر تصرفاته ؛ ولم تحده يوماً ثثر الأعصاب ، او مدمعاً طائشاً في امر من الأمور على غير هدى او تفكير ، ولم يبق نفسه في مأزق او تهلكة ، ولم يرد مورداً ليس له مصدر اداً .. وربما كان لهذا الصور ايضاً اثر في انصرافه الى الدرس والتحصيل والادمان والمواظبة على جمع القوائد الفكرية طوال حياته .

بخله وحرصه

واتفق مؤرخو السير على انه كان بخلاً ممكاً « يصيق في معبثه ، ويستقصي في مبايعته . ولو بدلت له الحمة بذرهم ما رضي ولساوم واستقصى » (١) والبخل صفة عرف بها أكثر الباهليين بين العرب ، وفيهم يقول الشاعر :

وللباهلي على خبزه كتاب : لا كله الا كله

فكان في ايام دراسته اذا مر بسوق المرد ، وتعرف بأعرابي فصيح عالم ، واراد استبقائه لأخذ ما عنده من العة والأدب والأخبار وغيرها ، دعاه الى ضيافته في البصرة ، ولكنه لا ينزله في بيته بل في بيت احد اصدقائه من التوسرين لكي لا يتكسد هو حسارة الصياغة . فلما عقد حلقة في مسجد البصرة صار الأعراب يفدون اليه لسموعا منه ويحادلوه ، فاذا وجد من بينهم شاعراً او راوية للغة والأدب شوقه الى اللقاء في البصرة ، وشجعه على ملازمة حلقة ليأخذ ما عنده من العلم ، وامر طلابه ان يجمعوا له من عندهم شيئاً من المال لسد حاجته مدة اقامته ، ولا يدفع هو شيئاً من ذلك (٢) .

(١) عامرات الأدباء : ج ١ ص ٢٩٠ .

(٢) زهر الآداب : ٣٨٦ .

والأصمعي كان محباً للسر . وكان من الأسيدة القلائل الذين يقعون
 المنح والهدايا من طلابهم ورواد حقتهم في مسجد البصرة . . قبل ان
 رجلاً كان يلف حقيقته ، فذا صار الى صيغته اهتدى الى الأصمعي ما يحمل
 معها ، ثم ترك حقيقته وألف حلقة ابي ريد الأصري ، وكان ابو زيد
 لا يقل شيئاً ، ثم ارسل الأصمعي يوماً قتال له الأصمعي معاب .

واجب لك اصبران حتى ~~كنا~~ ترى الموت في البيت الذي كنت تلبس (١٠١)

وفي رواية اخرى . انه مرض مرة فعاده صدق له من سره اسس
 واغنيائهم ، وكان يحب الأدب والعلم وجر اصحابه ، فقال له : اي شيء
 تشتهي يا اصمعي ؟ قال : اشتهي ان تقرضني حصة آلف درهم ، قال :
 افعل ذلك ، وفي شيء غير هذا ؟ قال : واشتهي ان يرسل لي رسالة
 قاطعاً ورددوا حساً وسرحاً محلي وحائلاً ثيباً ، قال : افعل ذلك : ثم
 ارسل اليه كل ما طلب (١٠٢) .

وقصته في محله هذا كقصته في قسح صورة وعماهة مظهره . . كان
 يعلم بأنه ممسك مقتر ، وعلم ان الامساك صفة تزي بصاحبها ، ولكنه كل
 يحاول ان يعطي نفسه هذا على معارفه ويخفف من اثره في مواسم ساقه
 وظرفه وحسن بيانه وبادريه . فكان يردري بالحلل ويروي بواذرهم
 بسوء طريف ، ويسدر بالمسرفين ويضعهم في مصاف السفهاء واحوان
 الشياطين ، ويحقق شدة الضرورة من هذا وذاك حراً مرحاً شعل به
 اذهال سامعيه عن التفكير بقصه . وله اقوال طريفة في هذا الباب ،
 فيقول على سبيل السدر مثلاً « نعم الأدام الجوع ، ونعم شعور التسمين

(١) روضة الأبناء ١٦٦ - الشعر للفرزدق .

(٢) الأعاصير : ج ٥ ص ١٠٨ .

الضعيف» (١) ويقول أيضاً : « ان أكثر أهل الدار النساء والفقراء ،
وان أكثر أهل احة النساء والأغنياء ، وان أرباب المدثور - أي الأموال
الطائلة - هم الذين ذهبوا للأحور » (٢) .

والطريف في الأمر انه كانت من أكثر من روى عن الحلاء من
الشخصيات المعروفة في التاريخ ، واجل من تحدث عنهم : وربما كان
دافعه الى هذا محاولة اخفاء بخله ، او جعل البخل في اذهن مدعوه صفة
قد تتصف بها العطاء أيضاً .. فمن حكاياه عن كبر الحلاء مثلاً قوله :
« كان العبرة الثمينة والى الكوفة يا كل ثمر هو وأصحابه عنده - وكان
حيلاً - فطفء ضوء السراج ، وكانوا يقفون اسوى في طمت ، فسمع
صوت نواحين سقطت في آل واحد فقط : من هذا الذي يلعب
بكمسين ؟ »

ويقول كذلك : « سأل فقير احد من صغوان شيئاً ، فعطاه درهماً ،
فستقنه السائل ، فقال احد : يا أحمق ، ان الدرهم عشر عشرة ، وان
العشرة عشر مائة ، وان مائة عشر ألف ، وان ألف عشر عشرة
آلاف .. فما ترى كيف ارفع الدرهم الى دة مسد ؟ » (٣)

ويقول في نوادره عن حل الأعراب : « عرق اعراي عطشاً ، فلم
رد ان يقيه ، وله نون ثلاثة ، فقال له احدهم : اعطيه ، قل : وما
صنع به ؟ قل : اعرفه حتى لا ترى به درة مقيلاً : قل : ما قلت
شيئاً . فقال الذي : اعطيه اعرفه حتى لا يدري أهو لعامة هذا ام للعام
الذي قبه : قل : ما قلت شيئاً . فقال الثالث : اعطيه احمله محبة ادام :

(١) كتاب حلاء : ٨٦ .

(٢) كتاب حلاء : ١٤١ .

(٣) كتاب حلاء : ١٩٠ .

قل : انت له ، لله انوك .. واوله العظم الذي يده « (١) .

ويشد على لسان اعراية ترقص طيب :

احه حب المحب مناه

قد كان داق النقر ثم ..

إذا أراد بذه بداله (٢)

وكان اذا سئل حاجة واسم عن مدخ عن اسب امساعه ينطق
وجيه يقبله العقل احياناً ، وجاء بالحكمة والمثل ولندرة يعهم السائل
والحاضرين بأنه تعمد الامتناع لغاية في نفسه غير محسب احده .. قيل :
ان منسولاً اسط بذه اليه يسأله درهماً امام جماعة من صحبه ، فسمع وقال
للسائل : بورك فيك : ثم التفت الى حلاله وقال هم : « سألني منسول
درهماً ، فقلت له : لا ارضى بك ما يخصري ، قل : ارضيه ، فقلت :
هو - بورك فيك - فاشني المنسول قلاً :

أم تربي اعصت لي وذكراها كما اعصت المسكين بورك فيك

فعطيه الدرهم من اجل بك الفائدة (٣) »

وكان حصومه يعرفون جانب الحال هذا فيه ، فيعبرونه منه ، ويحسون
في وصفه ، ويحكون النوادر الطريفة عنه ، وارتد دهنوا في ذلك الى ما
يرري به علة الارراء وتعدوا حدود الواقع الذي عرف به .. والحق انه
كان محبلاً ، وقد راد في حله واماكه ذلك النقر الذي عاش فيه صغيراً
حتى اعتاده ، والحرماني الذي كاد طويلاً في شنه حتى أمه ، فصار يراه
طبيعياً محموداً ، ويرى غيره سبهاً ونديراً .

(١) كتاب سحلاء : ١٨٧ .

(٢) رهر الآداب : ٣٨٦ .

(٣) عاصرات الأدباء : ج ١ ص ٣٤٦ .

كان يرهد في ترف اعش واثقة الثياب لعمليين هما الفقر والأمساك .
 و ظهر في المجتمع وبرزت شخصيته وخالط سراة اهل البصرة وحسنت
 حاله ، لم ينقطع الحضر من قيود النخل الذي فطر عليه والاقتصاد الذي
 تشدد من قبله ، فتصرت منه عن محاربة محنمه في البذل ، وراح يعطل
 ذلك رفوف مشورة فيقول : « ان الرجل ليكون عليه العين فيفق الفاكه
 فيصبح وصاح العبد . ويكون عنه العين فيبقى العين فيوشك ان يبيع
 العبد في فصل السنة (١) »

وبت قدمت له الايام ، واسم له الدهر ، فاتصل - كما سنرى -
 بدار هارون رشيد ، وحسن الأمراء والوزراء ، رأيناه يلبس الخلل الجيلة
 التي كانت وقتها ، وترك راذين الخدم في مواكب الخليفة ، ولكنه
 لم ينقطع - وهو مقصد الخيل - ان يخزي مع كبار القوم هؤلاء في
 ميدان مدحهم وتزويجهم وحزب عطايتهم للناس ، ولم تسمح له نفسه السير في
 صفوف لأحود وسدس من الشعراء وندماء القصر ، فتكشف بحله
 ومب كنه امه حصومه وشائبه أكثر من قبل ، وقالوا فيه ما ارادوا .
 وأكثر من كتب عن حله « عمرو بن حر الجاحظ » في كتابه
 « المحلاء » وهو كتاب صيغة وأدب ، استهدف صاحبه منه الطرافة والملاح
 ولم يقيد . حقائق .. والملاحظ - كما عينا - من الامدة الأصمعي في اواخر
 ايامه ، وقد لزم حنمه طويلاً ولكنه لم ينقطع الترب من نفسه لأسباب
 جوهرية كانت عند يمينه . وذلك لأن الجاحظ كان يسحو في عقبيه
 مسحي القدرة في الاعتراض ، ويقتدي بآراء « النظام » احد علماء الكلام
 ورؤسائهم : والأصمعي من حصوم هذا المذهب - كما اسفد - لذلك كان

(١) للسلي : ٢٩ - ويختلف نس هذه الرواية في مصادر اخرى .

ينفر من تلميذه هذا ولا يلتفت إليه كثيراً في محبة ، ولا ساقشه في آرائه ، وربما تعمد الرد عليه بأحوية لا تعجبه . وآخر ما كان من أمرها ما حدثنا به « ابو العياد » قال : كما في مجلس مع جماعة ، وقصص بالحديث عن استاذنا الأصمعي - وكان قد توفي - قتل الخياط . كان الأصمعي (ماثوباً) ، فقال له العباس بن رستم : لا والله ، لا تقبل منك هذا القول ، ولكن تذكر حين جلست إليه في حلقه تثنه ، فجعل يحد به يده ، وهي محتوية خردله ، يخفض عنها التراب ويقول : « نعم ، دفع لسري .. هم قدع لتفري » فعدت له به يك فقمت (١) .

وقد أورد الجاحظ في كتابه هذا عن الأصمعي عدة نوادر في نحوه . حامت غابة في الأديان والطريف ، وهذا بعضها ، قال :

« شهدت الأصمعي يوماً : وأقبل على حسنة سألهم عن عيشهم وعملهم بأكلهم وشربهم . فأقبل على الذي عن يمينه وقال : يا فلان ، ما ادامك ؟ قال : الدم . قال : أكلت يوم لحم . قال : نعم . قال : الأصمعي : وفيه الصفراء والبصاء والكدراء والخامصة والحمرة وابرة » قال : نعم : قال : « نس احش هذا ، ليس هذا عيش آل الخطباء : كان عمر بن الخطيب رحمة الله عليه ورصوانه يضرب على هذا ، وكان يقول : « مدمس اللحم كدمس الحمر » ثم سأل الذي يليه : يا فلان ، ما ادامك ؟ قال : الآدام الكثيره والأول الطيبة : قال : أي ادامك سمى ؟ قال : نعم : قال : فتجمع السمن والسمن على مائه ؟ قال : نعم : قال : « نس هذا عيش آل الخطباء : كان ابن الخطيب رحمة الله عليه

(١) تاريخ بغداد ج ١٠ ص ٤١٨ .

ورضوانه بصرى على هذا : وكانت إذا وجد القدر المحتلطة الطعوم
 كدره في قدر واحد وقل . « ان العرب لو أكلت هذا لقل بعضها بعضاً » .
 ثم أهل على الآخر فقال : ايا فلان ، ما ادامك ؟ قال : اللحم السمين والجداء
 ارضع ، قل : « فكله بالخوارى ؟ » قل : نعم ، قل : « ليس
 هذا عيش آل الخطاب . كل ابن الخطاب بصرى على هذا . او ما
 سمعه تقول : انزوي لا اعرف الطعم الطيب : سب الله بصبر اعزى . الا
 ترد كيف سقى من اكله ، وتنتحل معرفه ؟ » ثم قال على الذي يليه ،
 « تقول . » ا ، فلان ، ما ادامك ؟ « فيقول : اكثر ما تكل حوم الخمر
 وسعد منها هذه الفلانة ، وجعل بعضها شواء ، قل : « افككت من
 اكله واسمها وسعدت الصبح ؟ » قل : نعم ، قل : « ليس هذا
 عيش آل الخطاب . كل ابن الخطاب بصرى على هذا . او ما سمعته
 تقول : انزوي لا قدر ان احد كذب وانفاد وصلاقي وصلاني ، الا
 تراه كيف مكبر الله ، وسبحس معرفه ؟ » ثم تقول تالى بابه :
 « ا ، فلان ، ما ادامك ؟ » فيقول السدوت ولأخصه وانمودحت .
 قل : « ضعم العجم ، وعش كسرى ، ولت الله ، بعصب المحل ،
 تحمض السم » حتى أتى على آخرهم . قد انتهى كلامه ، اقل عليه
 بعضها ، قل : « يا ابا سعيد ما ادامك ؟ » قل : « يوماً ليس ويوماً
 زيت ويوماً سم ويوماً نمر ويوماً حن ويوماً قدر ويوماً لحم . . عيش
 آل الخطاب » (١) .

« وثمنى قوم ايه مع حجر كل اشترى ثمره ، خسرا كل ناله .
 وسأوه حسن خسر واحطيطه . قل الأصمعي : « أسمعتم بالقصة الصيرى ؟ »

هي والله ما تريدون شيحكم عليه . اشترى مني على ان الحسرات على
 وارجح له . هذا وايكم تحرة اني العسس . اذهبوا وشترؤا على طعم
 العراف على هذا الشرط . على اني والله ما ادري اصادق هو ام كاذب .
 وه ه واحدة ، وهي لكم دوني - ولا بد ان احتمل لكم ، اذ لم
 تحتموا لي - : والله ما مشيت معه الا واتم نوحون حقه ووحون رفته .
 لو كنت اوجب له مثل ما نوحون فقد كنت انسه عنكم : وان لا
 اعرفه ولا عسري تحق ، فهلما نوزع هذه العسلة بينا باسور ، هذا
 حسن ممن احمل حقا لا يحب عليه في رص من يحب ذلك عسسه «
 قدموا ولم عودوا . فخرج التاجر من حقه ، واس ما قبله (١) .

وقيل : « انه كل تعود بالله من الاستقراض والاستفراض فعم الله
 عليه حتى صار هو المستقرض منه ، والمستقرض ما عنده ، وفق ان آتاه في
 يوم واحد رحلا وكل احدهما يطلب القرض والآخر يطلب القرض ،
 هجما عليه معاً فغصه دث وملاً صدره فقبل عيبه وقبل اصحاب القرض :
 « . . . وأما القرض فليس سعه الا بت اسل . ولو وهت دث درهم واحد
 لفتحت على مالي دسا لا تسده الخيل والجمال . ولم استصفت ان احمل
 دونه ردماً كرددم ياجوج وماجوج لعلت . ان الدس فدعوه
 افواههم نحو من عنده درهم ، فليس ينعيم من امس إلا الدس ،
 وان اضموا لم ينق راعية ولا ثاغية ولا سبد ولا لبد ولا صامت ولا ناطق
 إلا اسعوه واليهوه امدى ما تريد شيحت ، انما تريد ان اسعوه .
 ودا افقرته فقد قبله ، وقد تعلم ما جاء في قبل المؤمن (٢) »

(١) الخلاء : ١٣١ .

(٢) كتاب الخلاء : ١٩٠ .

وله يكف حصوم الأصمعي بعد حاسب النحل الذي فيه ، فقالوا عنه
 أنه كان خيلاً بعلومه أيضاً على طالبي الفائدة منه (١) . وفي هذا القول
 شيء من المغالطة ، فلو نظرنا إلى كثرة ما اقتبس الرواة عنه من اللغة
 والأدب والأخبار ، ورأوا كثرة من لأرهم من الطلاب أعواماً طويلة
 ونسجوا بعد ذلك من فائدة العلم والأدب في عصرهم ، إذاً لعلمنا أنه كان
 كعبد من العبد في مثل ترويضهم الفكرية وسكريس جهودهم العلمية في
 سبيل تفتيح للناس .

وكن شيئاً واحداً كان يبعث به على ضفة معية من الناس .. كان
 يجعل بعض أطراف الأدية الدرة التي تصلح للاستفادة والمخسة كالقطع
 النعرة المعرقة غيرة عند الآخرين وارثه من الأصحة لعم ، فلا
 مدح في هؤلاء الذين عودوا اكتسب ثوبهم في محاسبة الأمراء والموسرين ،
 ولا أن الله من الذين أمسوا الله في محاسن كبر القوم يتخذوا من أجل
 ذلك العطشاء الخراب . فهو يرى ذلك صراحة من صروب الكسب على
 حساب لغيره ، ولا يرى من الخزم اعطاهم ما يرخون به سهلاً على حساب
 روائيه الأدية التي تكبد في سبيل العثور عليها مناعب الأسفار ومشاق
 البحث وعناء التدوين والمصحح .

كان يحميها بنفسه يتزين بشده وروحه في المحاسن والسمات
 التي يروى ، ويخص بها على اعجاب الناس شخصه وعممه . وقد
 يكون معذور في ذلك بعض العذر متى علم أن عصره كل عصر علم
 وأدب حيث كان يسكب ليل واثراء امه الرواة كذا حووا بضرة شدة ،
 أو شعر عرب مجهول ، أو حذر بعد في الجمع عن شخصية تاريخية معروفة

(١) لادبي: ج ٥ ص ١٦٠ .

او تادرة ذات مغزى جميل عن الألعاب . وقد وحده اكثر ما يكون
مخللاً في ذلك عندما اتصل بـبلاط الرشيد ورأى المت والستين من الشعر
قد يدران عليه آلاف الدانير اذا أُنميا في مسننها وحسلاً على اعجاب
الحليفة وسروره بهما (١) .

يقول احد هؤلاء الأدباء « عيسى بن اسمعيل » : حضرت مجلس
الأصمعي فسمعه يقول : دخلت على الأمير « جعفر بن سفيان العباسي »
وقد ترك الطعام جرعاً على ابيه محمد بن سفيان - والي مصر - فشدته
بين من الشعر ، لما ترحت حتى دعا سائفة وكل : قال عيسى .
فسأله عن ذلك اليبين فكت - خلأ بها - ثم سألته نية ، فلفت إلى
وقر : أندري ما قل الأحوص ؟ قلت : لا ادري ، قل : قل الأحوص :
قد راده كلفاً فحب ان معت احب شيء إلى الاسان ما معا
ثم سكت ، ولم يقل المنين (٢) .

ويقول الآخر : اشدي الأصمعي اساءة قبيلة رائعة في وصف العرس
هذا بعضها :

كانه في الجبل وهو سامي مشتمل جاء من الحثم
يسور بين السرج واللجام سور القطامي الى السيام
فأعجبني وكتبته ، وقلت له : هل لها بقية ؟ قال : لا ، فذهبت
الى احد الأمراء في مجلسه ، ورحت انشدها له ، فدخل الأصمعي وسمعني

(١) نزعة الألباء : ١٢٤ .

(٢) المقدم الفريد : ج ٢ ص ٤١ - الايات هما لكثير « اراكه التقي » يرتني انه عمراً
وفيها يقول :

لعمري لئن أحببت هينك ما مضى به الدهر او ساق الحمام الى القر
ليستمدن ماء الفؤون بأسره وان كنت تمرهن من ثبح البحر
تبي ، فان كان الكا رد هالكا على احد فاجهد مكك على عمرو

الموها ، قدس : هات قبيب !! فقت : لما قل انه لم يبق شيء منها ؟
قر : ما بقي منها الا عيوبها ، ثم اشد بعدها ثلاثين ساً ، فعاضني
والله فعلة (١)

من ذلك نعيم انه ما كان يدخل على هؤلاء تب مدحره لعمه من
روائع الأدب فحسب ، بل كان يستخدمهم للوصول الى عمه ايضاً ،
فيعطيه بعض الشعر لا كره ، او يعطيه الشعر كره ولا يصعبهم على اسم
صاحبه : فدا اشدوه في الخنافس او عروا به وسأله خاضعون عن سمته
او عن اسم قتله عجزوا عن الجواب ، فيكون شو حصر فحبيب ، او
سكون عتق فقتل عن دنت فم بعد فحبيب ، فطير قصه على غيره .
وكان يصدر دنت وسيلة مشروعة من وسائل الكسب لادبي . . واندي
صاً في بعض الأحيان .

ومن صفة مقدرة لنحل ، حرصه الشديد على العصب في مسطره
ومناقشته مع العلماء ، وخاصة عندما يكون اسطورة ولسنة في مادة لدخل
في نطاق اختصاصه كاللغة والشعر والأدب على واه . لدنت براد سحب
احوص في امر يجهل حيمه ان عتب فيه ، ولا ادعي شئ يرى غيره فيه
أمكن منه . وقد قل احد معاصريه : « م از لأصعب لدي شئاً من
العلم فكون احد اعلم به منه » (٢) .

واندي بحث في مسطره مع العلماء يحدد مسحة كمال الوسائل التي
تعيه على الوصول الى القور في النتيجة : فهو مدحر الكثير من المسائل
الصعبة العمصة في اللغة والشعر والنحو احياناً للطوارئ ، ودا غلب في مسألة

(١) الاسي : ج ٢ ص ١٠٨ . حدث هذا مع اسحاق انصلي في محس فصل بن الربيع .

(٢) ابن خلكان : ج ٢ ص ٣٤٤ .

قاد مناظره الى احدى هذه المسائل المدخرة عنه فوقفه . وكان مدهراً في ادراك جانب الضعف عند مناظره من وحده مكيباً في البعة دفعه الى السحو او الشعر العريب ، فيطلبه . وربما استخدم الكلمات المتعددة المعني ، او قام امام خصمه بحركات ، واتى بإيماءات تورطه في المعنى وتوقعه في الخطأ .
 ناظره « ابو عمرو الجرمي » مرة فعه . فشق ذلك على الأصمعي :
 فقل لأبي عمرو : طعرت به ، حتر منه ، فقل الأصمعي : ما تقول في قول الشاعر :

وصرب كآل الراء فصوله وضمن كأثر الخوص سورها
 ما اراد الراء ها : (وأشر مومثاً الى فراء كانوا حاسبين عليه) فقل
 ابو عمرو : الراء ما من حاسوب عليه : قل الأصمعي : احطت انما
 انبراء جمع فراء وهو حمار الوحش . . فكيف ابو عمرو ورتاح
 الأصمعي (١) . ودي هو واضح في هذه الرواية ان صاحب معناه اشد
 هذا است الغريب لأن فيه كلمة (فراء) وهي تدل على معنيين محتملين
 - حمار الوحش ، والبراء المفروش على ارض المحس - وسطاح بداره
 ان يوقع مناظره في الخطأ : وفي هذا ما يشير الى ذرة الأصمعي وسريرة
 ما يحفظ من الشعر العرب .

وناظره رجل آخر في محس سعيد بن سارة فعه الخطأ ، فقل الأصمعي
 مشد :

واحدة اعصبي امرها فكيف لو قتت على اربع
 ما معنى « قتت » ها : (واشر بيده كأنه يريد القيام على)
 اربع (فقال الرجل : قتت اي بهت : قل الأصمعي : وهل يهت

(١) نزعة الألاء : ١٢٣ .

الأسان على اربع ؟ ؟ ولكن معنى (قمت) هنا مأخوذ من قوله تعالى
 « ارحل فوامبون على النساء » وفي البيت ، ان امرأة واحدة اتعبنى امرها
 فكيف لو قمت على اربع نساء : ؟ فعجب الحصريون ، وصحك سعيد بن
 سم وقيل . لا تعرضوه في الشعر (١) . . ومتى عدما ن هذا البيت
 من سنة الأصمعي نفسه وهو من ايات اولها :

ب امة به لا تسمعي ما فـ عداسك الأصمعي
 واحدة اعصلي امرها فكنت لو قمت على اربع
 ادرك ككف كل بهي ، انفي الصعة ويدخرها لنفسه ليوقع بها
 مطر به حرصاً منه على ان لا يعلب .
 وم يشه هذا قول اسحق الموصلي : دخلت على الأصمعي فأنشدته
 ايةاً قديماً :

هل الى ان سم عبي سليل ان عهدي دلموم عهد طويل
 عاب عبي من لا أستمي فعبني كل يوم وحداً عبي تسيل
 ان ما قل منك بكثرة عدي وكثير ممن تحب القليل
 فسأني عن صاحبها ، فقلت : لأحد الأعراب ، فجعل يعجب بها
 ويردها : فقلت له : اقول لك الحق ، انما قلت ليلتها . فسكت ثم
 قل : لا حرم و اثر الوليد فيها يتن : فقلت ولا جرم فان اثر الحسد
 فيك ظاهر (٢) . . ولم يكن ذلك - في الحقيقة - حسداً من الأصمعي
 ولكنه كره ان يعيب بمثل هذه الخدعة .
 مع كل هذا يحب ان لا يعتقد بان الأصمعي كان مكارراً لا يعترف

(١) السيرافي : ٦٣ .

(٢) طبقات الادباء : ج ٢ ص ٢١٧ .

لأحد بفص او عوق عليه في اي شيء كان ، او انه لا مدعى للحق
اذا كان تحت عير . من كل كعير من العير يحصى ، ونصب ، وحسب
وينهزم . ولكنه شديد الخلد من الوقوع في موارد ليس له منها مصادر ،
واذا وقع في مرق احس التخلص منه بمهارة وحذق ومعرفة بديهة ، ولا
يرصه ان يكون معزاً ومسيراً .

ظرفه وخفة روحه

يقول الأصمعي : « وصلت معلماً وكنت سائحاً » (١) ، فهو - دون
شك - من اشرف عمره عصره قاطبه ، واورثه منحة ، وآسهم دعابة ،
وادقهم حساً ، وادوم ملاحظة وبديهة ، « وما يرأس في ذلك العهد
احضر منه جواباً » (٢) .. وكان ظرفه فطراً ، مدق حنة من روحه ،
ويسمد رقة من دوفه ، وسعدى ماله من عرارة عنه وبعث اده ، وكسنى
روقه من هات صوته الموسيقية العذبة .

وكنه كل حرف مقيداً بخدود الفم المروض في العز ، وقيود الدائم
الموجودة عند الأتقياء ، ولا يشوبه محو ولا ردة ، ولا تدرجه بذاعة ولا
هجة في القول ، تغلف ما اعاد عليه ظرفاء ذلك العصر من اطلاق في
الرأي ، وتحرر من كل ماع .. وقد كانت طبيعة الأصمعي هدنة مسالمة ،
كان ظرفه على شاكلته ، قد تدرج تحاشي حارج اللقط ، واذا داعب
تجنب اللجاج واحصاه ، واذا تحدث وزن حديثه بغير ان واعطى لكل مقام
مقالاً .. وهو مقيد بذلك لا يتناول من احد العث شخصه ، ولا يصير على
المس تكرامه ، واذا اتي من يحاول ذلك منه اسرع اليه بيديته وفحده

(١) ابن حنبل : ج ٢ من ٣٤٧ - الشان والسين : ج ١ من ١٧٣ .

(٢) لرهز : ج ٢ من ٢٥١ .

بجوته المكنة ، و عرض عنه ، او اسحب ساقه من محله .
 والمجالس عند الأصمعي ذات أنواع : تراه في بعضها لا يتكلم الا اذا
 سئل ، وفي البعض الآخر لا يتحدث الا بمقدار ؛ اما اذا ضمه مجلس اجتماع
 فيه شمل اصحابه وانداده ومن أس به روحه ، انطلق يفرد فيه بملحه
 وبادره واشعاره ، وتقل من فن الى فن ، يسحر حلاسه وطرهم ، كما
 يقول عنه ابو بوس : « كن في سدارة في مسنن فوراً كأنها كانت
 تحول على شفه ، أو كأنه هو لذي حلق بك اسسة ليرصعها سادته .
 ومدفق طراف الأشعار وسداع الحكم والأمثال في حديثه بدون تكلف
 كأنها كانت تدور في رأسه ، أو كأنه تكلم بحق اولئك الشعراء والفصحاء
 اصحاب تلك الكلمات منورة » . هكذا عرف الأصمعي بعد تصحج شخصيه ،
 واحتماله المكنة المرموقة في مجتمعه ، ولم يكن كذلك في شدة الترق ولا
 في شجوحه انهضه الورعة .

عاش بيداً ونسعين سنة : ففى ايام طفولته منها وبأكورة شبابه في محيط
 شعبي فقير ، فاختلط بآبناء مجتمعه كواحد منهم ، وساقه تحصيله ودراسته
 - كما رأنا - الى لاهل طبقت الدس من علم ، وشعراء وآخار وأعراب
 وسوقه وانصوص ومسولين ومحبين وغير ذلك . فكل عيه ان تكلم كلاماً
 منهم باللغة التي فهمهم ، ولاصطلاحات التي يستخدمها ، والألفاظ التي
 يستعملها ؛ وحصل لديه بعض دس ثروة لغوية شعبية دارجة غير اللغة
 الفصحى . ودريته بحوار لسوقه من الدس ، وحسرة بكل تلك الصور
 الاجتماعية الشائقة .

وقد رأسه في صباه وشده بسوق الأعراب وغير الأعراب في الطرقات ،
 ويخرجه الى حديث معه عل في حديثهم وثدة تسحق التدوين وبعاكس

عقلاء محدثين في الأرقه ، وصعي في شذوده الكبري . ويجمع في ثأحه
 ما يصلحك من اقوالهم او يرتد ، غير شائئ ، ينتد منهم احياء من
 اهله او ساب . ولم يترك حاداً من حواسب المنجم المصري إلا مشى فيه
 ليجمع ما عثر عليه من فكاهة طريفة وسكنة لأدعية وحواس ماجن ،
 ليعود به الى زملائه من طرء اسعدين فيحدثهم به ويندر معهم فيه .
 ورأبناه انباء دنت يرتاد مجلس الشعراء والأدباء من الطرء ، التي
 يعقدونها في اوقت معينة في داحس البصرة ، كمجلس « البردان » الذي
 يقيمه شيخ شعراء المصريين « شار بن ردا ، الأعمى » فيحصره كل دي
 رعة في الأدب من الدس وحتى انباء .. وفي هذا المجلس صورة واضحة
 للطرف والمحول في ذلك العهد :

فقد كان شار هذا طرماً حاد الفكاهة عصف الحواس سبط اللسان
 كثير الهجاء والمحول ، لم يلم احد من اهل البصرة من شره ، وقد
 قيل : « أسعد أهل البصرة من لا يعرف شر ولا شار يعرفه ، لأنه
 إن لم يصبه بجاله اصابه بعرضه » .. وكانت صلاة الأصمعي ، حصة حاداً
 لصداقة هذا الشاعر الكبير مع الدهيين وجه عام ، ومدحه انباء « سلم
 ابن قتيبة الناهلي » بوجه خاص . فكان - في شبابه - يحضر هذا المجلس
 ويكثر من التردد اليه ، وحبب بصاحبه ويروي اشعره ارائعة ، وعصلها
 على اشعار غيره من المعاصرين : ونس نظرفه وسكاه ، ويستشهد شعره
 الرزينة الحكيمة كما كان يحتج بها كبار العبد . وثأده السجدة ، وطرط
 لشعره في الغزل وابتكاراته فيه .

وكان لبشار خصوم ألداء من الشعراء المايجين الهجائين امثل « حمد
 عجرد » و « ابي الشمقم » و « اعشى باهلة » وغيرهم . وله في كل

هؤلاء كما لهم فيه ألوان من أقذع وأبذأ ما قيل ويقال في المهجاء ،
ومحالات اضحكت أهل البصرة وشغلهم زمناً طويلاً . فكان الأصمعي
يخسر الكثير من تلك المقالات والمساجلات ، وتتلذذ روحه الفتية في جو
دنت المحسن المرح الضروب ، ويحفظ نكت الأحرار النحاة ويروي تلك
الأشعار المنددة وحق أحدها عليها ، ولا يرى شأ في السحدث بها واستعادتها
من أصحابها .

وبقيت تلك الصداقة وطيدة بين الشاعر الكبير والأصمعي الشاب النافع ،
ملئة بالودعة والأعجاب ، حتى اصطدم بشار - أخيراً - شاعر أبي هاشم
الناهي فهجاءه ، فأجابه أبو هاشم يقول :

وعندي قد عينيك في رحم أيره فجئت ولم تعلم لعينيك فاقيا
أأمت في شار كات غقيمة : علي إذا أمشي أو التت حافيا
فتم شار على الدهبين حيماً فهدهم ذنيات كثيرة ، يقول
في مصر :
زارح

إذا أعيتك سنة ناهلي فرفع عنه حشية الأزار

على اسماء سادهم كتاب : موالى عامر طمعت سار

ولما سمع الأصمعي بهجاء بشار لقومه لم يقل : « ويبي على هذا
العد ، القن من القن » (١) ثم هجر محسه وحفاه ، ولم يجتمع به حتى
قتل متبراً بالردة في عهد الخليفة المهدي .

هكذا كان الأصمعي في ندانة نشأته مع ما كان عليه من جد وشاط
في الدرس والتتبع - كما اسلفنا - ؛ فلما اشأ حلقته في مسجد البصرة ،
وصفت تحفصه المنسية ، صار يحترس من الوقوع في زلل الكلام ؛

(١) الأناي : ج ٢ ص ٤٩ .

فتشبت روايته من البذاءة والافتداع وهجنة القول ، وتحول بهجه في الطرف
الى نوع آخر من النوادر والملح في الأدب الرفيع . ثم اصاب في بعد
ببلاط هارون الرشيد ، فتغيرت ظروفه وتقيدت حريته في الكلام حكم
الجو الجديد الذي غمره في « قصر الخلد » ببغداد . في هذه الصورة
ثابتة وقد وحطه الشيب ووعظه الآيم ، واستوى تفكيره وصحت فسيسته
وازداد تدينه ، قل نشاطه في الدعاء والسكينة . ثم تورع حير وترعد ،
فلم يبق في صدره من حدود المرح غير رمق ضئيل . وعينه ، يجب ان
تدرك ان هناك فرق واضح بين بهجه في الدعاء والرواية والتصرف ،
صانه وشانه ، يوم كان طيقاً حراً غير مسئول عن كلامه وآرائه ، وبين
اسلوبه في ذلك بعد ان ظهرت سعصسه بين كبر عتاه الصده . ثم انه
مسحدها ؛ وأثناء محالته للخليفة الرشيد ؛ وفي عهد السعصحة وبعده .
ولكن الكثير من مؤلفي كتب الأدب والنوادر بقوا حكايته ومسحه
وأقواله في المجالس حرقاً ، دون عرق من ما كان منه في صباه وشانه
وبين ما أحدثه ايام محمده العتي وفي شجوحه ؛ وحلصوا دمت حصه ،
غير منفتين قليلاً او كثيراً الى ذكر اساميت والطروف التي كان فيها .
وراح بعضهم ان أعيد من دمت في الخط ، فسوا مصحكاه وعنه في
حدائه مع العجيين والمنسوين والكسين والخصه اله في شجوحه وأواخر
عهده ؛ وربما رعموا انه قل في مجلس هرون الرشيد وهي لا تصح برواية
في مثل هذا امكان الخبيث . وعصمه تاهل في كل ما سب اليه
من روايات مصنوعة متحللة هو منها براء ، وفيه اركييت وسميح
والبذيء المالحن ، وانعوط من السحبة التاريخية . والحريء على سبيل
فسيبوا بذلك ارتباكاً في واقع سيرته ، واضطروه للأحاديث السائرة على

غير حقيقته .

يقول في شأه :

- مرت . وا ، حدث الس ، كناس يكس كيماً وهو يغني ويقول :

صعوني واي فتى اصعوا يوم كرسية وسداد ثعر

فقت له : اما سداد الثعر فلا علم لما كيف ات فيه ، واما سداد الكنيف

شعوره . فضر لي حلقاً ومن :

واكرم نفسي بي ان اهب وحقت اكرم على احد عدي

فقت : واي كرامة حصت لها منك ؟ وما يكون من الهوان اكثر

من اهب به

فل : بلى والله ، من الهوان ما هو اكثر واعظم من انا فيه . قلت :

وما هو

فل : احاجة اليك ولي امثلك من السنة ، ان - تسهم فنوا :

« بورك بيت » ونصرفت وا ، اخرى الدس (١) .

- وتقول : مرت حدة ، فرأيت امرأة عند قبر سكي وسدد :

من بلوان ومن لسوان ومن لعمان ومن للخطب

ومن بجمه ومن للصره اذا ما الكفة حثوا للركب

دا من : مات (او ماتك) فتى المكرمات فرع اعرب

و مات عري آدم وقد طهر المكدمه انطرب

ثبت اليه ، ومات له : امة الله ، من هذا الذي مات كل هؤلاء

الحق توبه : قالت : او من عرفة : قت : لا والله : فقلت الي

ودمغني حذر . ودا هي مداء برثه ثراء ، فقلت : قدسك ، هذا « ابو

(١) ثمر الأوداق : ج ١ ص ٦٥ .

مالك الحجام ، ختن ابي منصور الخائف » ، قلت : عيك نعمة الله ،
والله ما ظننت الا انه سيد من سادات العرب (١) .

وقول ايضا : صلت لي ان ، فخرجت في صبي . وكان السجود
شدداً ، فالتفت الى حي من ابناء العرب ، واذا خرعة صوف ،
وقومهم شيخ مسن كعب رقيق وشويزه من برد : فحدثت بحسه ،
وقلت له : اشد . قال :

اي رب ان البرد اصبح كذا . وت عبي . هي اعلم
هل كنت يوما في جهنم مدحني . فبي من هذا اليوم طابت جهنم
فحدثت من قصصه ، وثبت له : . شريح ، . تسجي قطع الصلاة
وانت شيخ كبير : .

اصبح ربي ان اصلي عدا . ويكسو عبي كسوه البرد والخر
فوالله لا صلت . عشت عدا . عدا . ولا وفيت اعمى ولا الوتر
ولا لصبح الا يوم شمس دويقة . و . عيمت . يوم . لظن . والعصر
وعظييه ثوبا كل عدي . فداء وصلي (٢)

- وحديثي اشراي ، قال : مات رجل عدا ، فدمت امرأته السكاء
عنه ليلاً طاراً ، حتى ارجعت بيها . قال : خذهم :

المقدين من به حيرة (٣)

المكرين من نعمة وعسر (٤)

اراك ما تكين لا

فأمسكت بعد ذلك عن السكاء (٥) .

(١) العقد الفريد : ج ٢ ص ١٢٠ .

(٢) المستطرف : ج ٢ ص ١٢٣ .

(٣) العقد الفريد : ج ٢ ص ٣٠٨ .

لا شك في ان الأصمعي زوى - في شدة - الشيء الكثير من الطرف
 والمواد والمكتبات التي لا تحصى من الكتب والمجود . وكان الناس في زمنه
 بالضرورة قد بدأوا يظنون من هذا ، وتفتحت نفوسهم له ، واستقبلوا استقبالاً
 حسناً مثل « شمس ردى » و « أبي نواس » و « حماد عجرد » وغيرهم ،
 وهم مدهمون في قول الفحش في صراحة من غير ائذ . كما ان لا سكر
 صحة القول : « بل الأدب العربي - من عهده في اهالية - ادب
 مكشوف ، فندراً في ثوب الشعر اسماً صريحة من غير كدابة . وحتى بعض
 احدهم امسك ما كين حساؤهم ببحر حوى من القاء الكلام على عواهنه (١) .
 ولكن دراست وبحث في سيرة الأصمعي يحملاننا لنتقيد بأنه ما سترسل ، بعد
 حدائته ، في هذا اللون السخس من الطرائف والضحك - عرف به من وقار
 وتدين يمنحانه الامن اعرف رديس والضح والمواد البرينة .

تدينه وصدق لهجه

ولد الأصمعي في بيت يدرس شعائر الدين الاسلامي ويؤدي فرائضه
 وسنه على الوجه الاتم : ودرس في « الكتاب » عند معلم مؤمن تقي
 يعلم طائفة اصحاب فوسد الاسلام : ولاراه بعد ذلك اسددة من كدر شيوع
 انسحد مشهود له بصدقه العقيدة : فثبثاً فمداً صحيحاً لادين متمسكاً به
 مسعاً بلدقة اوامر وبنواهيه : في حروف نحو محو على كثرة الخن في
 ايمه ، وم سائر آراء ابرارقة ممن حاسبه في شدة من الأدباء والشعراء
 ادين كل يقول فيهم : « تردق هؤلاء القوم جهيم بالغة العربية ، ولو
 كانوا مطلعين على حياء اللغة لعموا حقيقة القرآن والحديث ، ولما اعترام

(١) صر مقدمة الأستاذ احمد امين لكتاب « سائر والمخائر » لأبي حيان التوحيدي .

الشك في الدين « (١) » .

وكان على مذهب اهل السنة والجماعة - كما قلنا - وهو مذهب اسرته
واهل سته وكثير اسدته الذين لازموا حقائقهم طويلاً ايم دراسته وخصيه ..
يقول احد معاصريه : « اهل العربية كليم اصحاب اهواء ، الا اربعة ،
فانهم كانوا اصحاب سنة وهم : ابو عمرو بن العلاء ، والخبيل بن احمد ،
وبوس بن حبيب ، وعندنا اثنا الاصحى (٢) » .

لم يتل الى مذهب الخوارج لما كان يرى فيه من سوء التدبير وطرف
واحد من سبب من . ولم يزل يرى بغيره لأنه كان كره طريقه
اهل الرأي منهم ، ولا يقيم العمل فيفسد في سبب من شيء في
اجتهادهم وروايتهم ، كما لا ينبغي انفسه في اصول الدين واحوص في
فلسفته والاستنتاج في . كما فعل عبد الكلام (٣) . وكان يحترم ان التمس
ويجلبهم قرائنهم من ترسل الأعمى ولكنه لا يرى رأي الشيعة منهم ..
وهو كثير من العلماء ينتقد المذاهب الأخرى ويدافع عن مذهبه ، وفيه
بعض اصحاب اثنا امداف لما ليس فيه .

وفي رواية استواردة ، انه كان - رحمه الله - لا يمسر شئ من
القرآن خوف الوقوع في الخط وتجنباً للأثم من ذلك ؛ فكان اذا سئل
عن شيء من هذا فن : « رب تقول معنى هذا كذا ، ولا اعلم المراد
منه في كذا ان الله اى شيء هو » (٤) ، واذا مر به اثناء حديثه او
محاضراته في الجمعة من مثله لبعض خصوص القرآن امسك وعبدل عن

(١) ارمز : ج ٢ ص ٢١٧ .

(٢) كتاب المعارف : ١٨٤ .

(٣) صبحي اسلام : ج ٢ ص ٢٧٩ .

(٤) ابن خلكان : ج ٢ ص ٣٤٦ .

مسيره . ولا بحث في شيء عن الأنواء والحوم ، ويقول : « سمعت ان النبي عليه السلام قال : إذا ذكرت الحوم فمكوا » (١) ولم يرو شيئاً في الأساطير لوجود ذكرها في القرآن . وكانت في اواخر ايامه قد تورع وتزهى ، وصار لا يترب بأنية الفضة لاعتقاده بأن ذنوبه مبري عنه .

وكان - مع قوة حافظه - لا يروي إلا السير التي من الأحاديث ومسيره أصلاً . قيل انه سئل مرة عن معنى حجة من حديث فقال : « لا افسر حديث رسول الله ، ولكن العرب تقول كذا في معنى هذا الذي يردون مسيره » (٢) . وفي مرة ، فسر معنى حديث غريب ، ثم رجع دائماً يوم غلبه على ما فعل ، فقال له احد الخليلين : « لاشك فقد سمعت بهذا المعنى من تيرك » فسري عنه . (٣) وقد قل او اطلب المعوي . « كان الأصمعي مندب الله ، لا يسر القرآن ولا الحديث ، سرح . » (٤)

وقد جمع اروه في سيره على ما كان لا يسر شعرا وله هجاء ، لأنه يرى الله ، فلهذا يهجوهم ، وشتمهم ، رافع العيط وحقق ولا يبرد الاشتراك مع القادف الشتم بلانهم واحصيته (٥) . ويرى صلات في شعر الهجاء العربي تقدمت لنا وضعه موحياً الى فئة او جماعة او شخص غربي ، وفي هذا مالا يشرف عنصره وقوميه الله الشعورين الذين يبحثون عن عيوب العرب ومثامهم المذمومة في كتبهم تنقلاً وانقلا .

(١) الزهر : ج ٢ ص ٢٠٧ .

(٢) السمعى : ٣٢ .

(٣) البداي : ٦٠ .

(٤) الزهر : ج ٢ ص ٢٥١ .

(٥) الزهر : ج ٢ ص ٢٥١ .

وهو يجب ان يفرق بين نسير شعر الهجاء وبين روايته . ولا يصح
 ان يحجم عن نسير اي هجاء ولو كان موجهاً ضد الشعويين . منهم
 تعرجاً من الألف - كما قد - : وام في روايته دأمر يحسن عساه
 بخلاف ادوار حسه . . رئيسه في شانه يجمع شعر هجاء واحسون ويرويه
 للمصنف والسدر من حاله وفي خصوصه مع الشعويين وغيرهم ، غير
 مددت اي مبع اجتماعي او رادع في اعتقده ما دام ذلك الشعر من علم
 سيرة ، سير على فاعله « فمن الكثر من كافر » . حتى اذا ظهر في
 حسه واشتاك بعد مع الشعويين ، ويرى فكره المدح عن القومية
 العربية صدهم ، احجم عن روايه كل ما يقع من شعر قدح . يستهدف هجاء
 حسه او احد من العرب ان كان : واما عمل على اتلافه لكي لا يقع في
 ايدي هؤلاء اخصوه ، مكثفاً تردد او رواية ما قال في هجاء الشعويين
 وعصرهم فقط .

اما ما كان مداولاً معروفاً عند الناس من شعر هجاء القادح ، فكان
 لا يروي منه الا البت او السيل في سبيل فائدة علمية او اذنه او تربية ،
 ولا يرى في ذلك ذنباً لأنه لما ثبت تحدد في هذا الباب . كقولاه مثلاً
 حين سن عن الشاعرين « جرير » و « الأخطل » ايها الهجي : قال :
 الأحصل الهجي من جرير بقوة : ^{صنع المزارع والجرير} ^{دورهم} ^{إلى}
 قوم اذا استنسخ الأضياف كلهم فوا لأهمهم بوني على السدر
 ولكن جريراً اسر شعراً منه ، لانه حين قال :

والنفسى اذا تمسح للقرى حث اسنه وتمشيل الأمثلا
 لم تنق سنده ولا امة إلا روه . (١)

(١) العمدة : ج ٢ ص ١٤٧ .

وعند تقدمت مكاتبة العمية ورمته الأضر كاستد من استدة اسجد
صار بعد جهد استطاع عن رواية شعر افعاء ولو كان في خصومه واعداً ..
ثم امتنع بعد ذلك عن رواية كل هجاء حين ادرك الشيخوخة وازداد ورعه .
واقصد بالهجاء هو ما كان موحياً من الطعن والسب ضد شخص او
خدمة معينة .. وكذلك كان حاله في شعر الخواريق وكل ما فيه سئل يخرج
من حدود الموقر الحمي واحسن المدي .

وصار اجده لا يثبت على سؤال قد يكون في احواب عليه اسد الى
احد او حفظ من قيمة العير سواء اكل من العير والأداء ام من غيرهم ،
ويقول : « ان في بعض الأخوة شهادة » . واما احب احبابه علم
ودين ، موحياً الصديق والخصية : لذلك راد ، في بعض مصادره بين
الشعر ، مدلاً . لاسي ان يحصل حصصاً له من الشعراء على صدق له
من العرب . ما دام ذلك في سبيل الشهادة .. قيل له مرة : من اشعر
اهل زمانك ؟ قال : او بواس اشعرهم بقوة كذا وكذا ، وذكر نسباً
من عرر شعيرة ، مع العلم ان هذا الشاعر كان من اهل خصومه واسمعين
عنه ومن هجده والذبح في هجائه (١) . ومثل اصلاً : انهم اشعر من الآخر
« شار بن مرد » . « مروان بن ابى حصة » : قال : « ما اسعر
من صاحبه » ، قيل : وكيف ذلك ؟ قال : « لأن مرواناً سلك طريقاً كثيراً
من سلكه ، فلم يحقق من قدمه ، وشركه فيه من كان في عقره » . واما شار
فقد سلك طريقاً لم يسلك ، واحسن فيه وانفرد به ، وهو اكثر عيرة وسوء

(١) لعمدة : ج ٢ ص ١٤٨ .

شعر ، واعتر وأوسع بدءاً ، وعبروا له تجوز الأوائل .

وكل ما وصف من أحده في الكتب القديمة لربما ، والحوادث التي
رويت عنه بل على أنه كان ذلك صحيح العقيدة كامل الإيمان في صومه
وصلته . وقد حجج مراراً عديدة في نفسه وكهونه وشيخوخته وأصل نقبها ،
الحجر ومحدثهم وردهم واحد عن عظمهم وصدقهم .. ومن كانت هذه
حده يكون صدوقاً حياً في صحبه ورواه . لا كذب وبه ولا يصنف من
عدد عظم .

قد شهد صدقه عدد من كبار رجال الدين الذين عاصروه ، وسمعوا
منه واحداً عنه . قال الأمام الشافعي « محمد بن إدريس » : « ما رأيت
بذلك المعسكر اصدق من الأصمعي » (١) . وكان الأمام « أحمد بن حنبل »
يثني عليه ويعده ثقة (٢) . ويقول « يحيى بن معين » وهو من كبار
المحدثين الاتقياء : « لا نعلم أن الأصمعي كان يرفع إلا أحدث بسيرة ،
وصدوق في غير ذلك من أحاديثه » (٣) . ويقول يحيى بن معين أيضاً :
« سمعت الأصمعي يقول : « سمع مني مالك بن أنس » ، ويقول كذا .
» قد روى مالك بن أنس عن شيخ قال له عبد الملك بن قريش (٤) .
وقد أيد هذه الشهادات الواردة من أئمة مصرية ، عدد كبير أصلاً
من العلماء الذين حووا بعد عصره وكتبوا عنه . يقول أبو الطيب النعوي :
« لم ير الناس أحصر حواً ، وأقن لما يحفظ وأصدق لمحة من الأصمعي .
أما ما ينحكي العوام وسقط الناس من نوادر الأعراب ، ويقولون : هذا ما

(١) روضة الأبناء : ١٧٢ .

(٢) روضة الأبناء : ١٧١ .

(٣) السيرة في : ٦٧ - صفات النجاة : ٣١٢ .

(٤) المنتقى : ٢٧ .

احسنه الأصمعي ، أو يقولون : ان رجلاً رأى عبد الرحمن بن اخيه فقال :
 ما فعل عمك ؟ قال : قد قعد في الشمس يكذب على الأعراب ؛ فهذا باطل .
 وكف بقول ذلك عبد الرحمن ، ولولا عمه لم يكن شتاً مذكوراً ؛ وكيف
 يكذب عمه وهو لا يروي إلا عنه ؛ وإن كان الأصمعي كذلك وهو لا
 يبقى إلا في الجمع عنه اعمى ، ومعهما ينفردون عنه ، ولا يخرج إلا
 اوضح النعت ، وشرح في دفع ما سوره (١) . وقد عه ابن معن : « لم
 يكن ممن يكذب (٢) » . واكثر شهادتي صدقه في روايته ، ان كثر
 مشيخة قراءة القرآن كانوا يحضرون حصة واحد من عنه قراءة دفع وإن
 عمرو بن العلاء ، ولو شكوا في صدقه بخبره وانعدوا عنه ؛ كما لم يعط
 عنه ائمة والنحو والأدب احدوا - بعد موته - من آثاره اكثر مما
 اتوا من آثار غيره لاعتداه على صدقه وحسن احبائه وحسنه .

وكذلك كل صدق في رويته بشعر القدماء ، ولم يرح في ذلك مسجى
 بعض رواة الأدب في عصره امثال « حنف لأختر » و « حماد بن ميسرة »
 المعروف بخلاف الراوية وتبرهم من الذين يحسمون نظم اشعر ويخيلون تقليد
 الشعراء الأقدمين من سبهم فينظمون من عندهم ويسبون ما ينظمونه الى
 فحول الشعراء السابقين تزويجاً لروايهم . وكان الذي يسمع الأصمعي عن
 مثل هذا صدقه ودمه أولاً ، ثم انه كان ينظم اشعر ولكنه لا يجيده الى
 درجة تقيد فيها او شئت الشعراء الكبار الذين روى شعرهم .

وما الشاع المنعوط بين الناس في ان الأصمعي كان يزيد في اشعار

(١) ابرهه : ج ٢ ص ٢٥١ .

(٢) كتاب لغارف : ١٨٤ .

السلف ، ويحقق الروايات الكاذبة على التاريخ ، ويكذب على الأعراب ،
الى غير ذلك ؛ فيه اسباب كثيرة : منها ما كان يشعه خصومه عليه من
الشعوبيين وعمرهم ، ومنها كثرة ما نسب اليه من الروايات مما لم نقله ولم
يعترف به . وهذه سيرته تدل على انه كان من اصدق الرواة في النحلة
والأدب والشعر والأخبار ، الا في نوادره عن الأعراب فكانت شعوب
باسلوب خاص يودع فيها ما لديه من حكم وعبر ومواعظ ، ولا يرى في
ذلك ما يضره لأنه اسلم ادبي مستقل مسحت عنه سلفه في مكان اخر .



القسم الثالث

مَكَانَةُ الْعِلْمِيَّةِ

١ — حلقة في مسجد البصرة

٢ — علومه، ومذاهبه فيها :

في اللغة والنحو

في الأدب والشعر

في الأخبار والأنساب وغيرها

في اللغة الفارسية



حلقة في مسجد البصرة

حاء في بعض المصادر : « ان مشيخة القراء كانوا يخضرون الأصمعي ، رغم حداثة ، لأحد قراءة نافع وابي عمرو بن العلاء عنه » (١) . من هذا نفهم أنه كان قد شيد حلقه في المسجد الجامع في سن مبكرة « في حداثة » : ولكن احداً من مؤرخي السير لم يحرروا - بالدقة - متى كانت ذلك .

وقد بقيت هذه الدحية من تاريخ حياته محمولة عدنا . فاذا اردنا ان نقدر ذلك على وجه القريب ، وجب علينا ان نلتفت قليلاً الى صلة الأصمعي الوطيدة بأساده الجليل « ابي عمرو بن العلاء » الذي روى عنه قراءه القرآن بعد وفاته . . هناك نجد من يحرروا أن عدداً من طلاب هذا الشيخ الذين لارموه طويلاً ، اقاموا حلقاتهم بعد وفاته سنة (١٥٤ هـ) (٢) . فلا يستبعد أن يكون الأصمعي أحدهم ، فيكون عمره - اد ذلك - قد همز الثلاثين عاماً ؛ وهي سن كافية لتأهيله لهذا المنصب العلمي بعد تلك الكفاءة الدرة والعرارة في العلم والأدب ، كما رأينا .

والذي علمناه من سير الاحداث ، انه أعطى حلقة هذه ساعات قليلة معينة في الأسبوع ، مصرفاً فيما يتبقى من وقته الى اكمال دراسته وتحصيله ، مستمراً في حطته الأولى في البحث عن العوائد الفكرية وجمعها من حلقات كبار شيوخ المسجد ، وعند الأعراب في مسارهم القريبة ، وفي سوق المرند ، وفي الموادي الدثية عند سوح الفرض . . فهو استاذ وتلميذ في وقت معاً ، سيراً على القاعدة المتبعة عند علماء ذلك العهد .

(١) المرمر : ج ٢ ص ٢٦١ .

(٢) ابن خلكان : ج ٥ ص ٢٣١ .

وقد رأسه . في الأيام الأولى من بدء حنسه ، حرصاً كل الحرص
على اظهار كفاءته وحدارته منصفه العمي الخلد ، شأن كل اسد متمدن .
فف أمام الناس هذا الموقف الدقيق ، حيث يشعرون بقوله صغيراً كان
أم كبيراً .. وكذا به امام طلابه وسامعيه ، يلقي عليهم اوثق ما جمع
في أواحه ودهنونه ، وأجل ما ادحر في ذاكره من عة فصيحة وقعدة
نحوه يجمع عليها ، وشعر عرب طرف ، وتنف أدية نادرة ، مسعياً
بين الفقه والفقه نراء كثار شيوخه الذين درس عليهم ، وأقوال فصحاء
الأعراب المشهورين ، مستشيداً بمتن ما جمع فوعى من الشعر الجاهلي
التقديم بسبب شبق ، وسن واضح . ولهجة عدة ؛ حتى اتسع نطاق
حنسه ، وكثر طلابه ومريدوها ، وبما يمس على أشغالها ، راس طويل .
وبما يسر في إدارة حنسه كما كان يعمل في مجتمعه وبين رملاته من
المسحدين الصغرى حيث ينطق النواذر وندح والسكرات غير قيد ولا حذر
ولا حساب ؛ كما انه لم ينصع التزمت واحد والانقراض في إلقاء حديثه .
وسكنه أحد الطرق الأوسط بين رملاته شيوخ المسجد ، جمعاً بين وقار
العلم وجلاله وحنه اروح ورقة الضع . فكان يحن في ذلك كل الجاح ،
فحنه طلابه ولارموه شوق ورعة ، عبر شاعرين - أم من حصف اللعبة
ولا تكمل من قواعد النحو او شرح العرب في معاني الشعر ، او
غير ذلك .

فكان اذا توغل في بحث من نحوثة العلمية او الأدبية وشعر شيء من
الأسل عند سامعيه ، يجمعهم سائرة عربية لها صلة بالبحث ، او بشعر جزل
رقيق ياتي به على طريق الاستشهاد ، او برواية طريفة تضحك من حوله
وتحدد لهم نشاطهم ، ثم يعود بهم الى إتمام بحثه .. وهكذا كان الذي

يُحصر محله يشعر أنه أمام دبا واسعة الآفاق في غزارة المادة وصواب
النقد والتحليل وصحة التخريج ، وأمام « بلبل طريه سوره » وتنقل
بهم من روض الى روض في طرائقه وجمه روحه ، وأمام مصدر عميق
عندهم كل آوة نحدد من الفائدة لوفرة حفظه واستمراره مواصلة في البحث
عن القوائد العلمية والأدبية الجديدة التي عرف مكانها وتفنن وسائل
جمعها واقتنائها .

قيل انه كان يحافظ على أوامره في حقه ، فيبقي دروسه ويحصرها :
حتى إذا انتهى من ذلك حمل نواحه ، وراح سفل في حلقات وملايه
وأساتذته من كبار شيوخ المجد ، ويحس عندهم حيث ينسحب به المجلس ،
ويصغي الى أقوالهم وحججهم وبياناتهم ، ويدون كل مقصد يترتب عنه
كما يفعل الطلاب أنفسهم ، فإذا وجد هناك ما لا يفي رأيه ، فليس له
وباظر حتى تمنع أو يتسع . ورتب داخل المائدة في مسألة من المسائل التي
وجدتها عند سيره حتى يعود الى حققه ، فيبحثها على طريقته وعند رأيه
فيها دون التعرض لشخص من حقه في ذلك . وقد نصل رأيه هذا الى
من عارضه من الأساتذة المذكورين ، فيجمع انظراف وتبادلان وجهات
النظر والحجج والأدلة أمام الطلاب والسامعين ، فتعم الفائدة على الجميع (١) .
جلس مرة في حلقة أستاذه القديم « شعبة بن الحجاج » يصني الى
شرحه لقصيدة الشاعر « عمرو بن سميث » حتى وصل الى قوله :

فما حصوا أن شيد عليهم ولكن رأوا رأياً (تحش) وتسمع
فقرأه شعبة (تحش) ناسين ، وجعله الأصمعي فقال : انما هي

(١) ابن حنبلان : ح ٢ ص ٣٤ - في اخبار الأصمعي كثير من المناقشات التي كان يثيرها مع
الأساتذة الآخرين في داخل المسجد أمام الطلاب . وهو كعادته لم يعارض في مسألة ولا
إذا كان واقعاً من علمه بها وصحة رأيه فيها .

(تحش) بالثين ، فقال شعة : هكذا أخذناها عن شيوخنا ، قال الأصمعي : اذا جاءت ناسين كما تقول امدت معي القتل ، واذا جاءت بالثين أفادت معنى الوقود وهو الأصح لمعنى البيت - وجاء بالأدلة الكثيرة والحجج القوية ، فاقنع شعبة بذلك ، وقال له : « لو فرغت للرمثك » (١) أي لو كان في وقتي متسع للزمت حلفتك ودرست عليك .

وحي للأصمعي يوماً بكتاب لأبي عبيدة يفسر فيه بعض آيات القرآن . فحده وتصفحه ، ثم طواه عاصاً وقال : « ما لأن الصباغ ، يفسر كتب الله رأيته . . ومن أين علم أن الرب هو الشئ ، في قوله تعالى : دث الكتاب لا رب فيه ؟ » . فسمع أبو عبيدة قوله هذا ، فقل عن محسه في أي يوم هو : وركب حمارة في ذلك اليوم ، ومرت خلفه فرس وسلم عليه ، وحسب عبده وحادثه ، ثم قال له : يا انا سعيد ، ما تقول في الآخر ، أي شيء هو ؟ قال : اندي تعبته وثأكه . قال أبو عبيدة : قد فسرت كتب الله معنى برأيت ، فان الله تعالى يقول : « . . . وقال الآخر اني أراي أحمل فوق رأسي حمار كل الطير منه . » قال الأصمعي : هذا شيء من لي ففته ولم افسر كتب الله رأيي ؛ فقال أبو عبيدة : واندي تعبت عليا كنه شيء من س ففته ولم افسره رأيا . ثم قام وركب حمارة (٢) .

ومن أخطر المساقطات التي حدثت له . فحدثت دواً كبيراً في الأوساط العلمية ، انصرة هي سث التي جرت سه وسين « سيمونه » المحوي مشهور . وقد حدث الأصمعي منه عن هذه المساقطة فقال : عرض

(١) لرهز : ج ٢ ص ٢٣٢ .

(٢) اس خسكان : ج ٤ ص ٢٣٧ .

على شيء من الأنبياء التي وضعها سيويه في كتابه ، فسرهما على خلاف
 ما فسر ، فبلغ ذلك سيويه فشق عليه وقال : لا ، فشره الا في المسجد
 الجامع . فصليت يوماً في المسجد ، وازدت الخروج فتقاني ، وقال لي :
 اجلس يا ابا سعيد . فحدثنا واحمض حولاً من كانت في المسجد ،
 وتناظرنا فقال : ما الذي اذكرك من مت كذا وكذا ؟ ولم
 فسرته على خلاف ما يجب . ففتنه من فسرته الا على
 ما يجب ، والذي فسرته انت ووضعه في كتابك خطأ ، وما لك إلا ان
 تسألني فحبيب . وصرنا نتجادل بصوت عالٍ ، فسمع العمدة فصاحي
 وصرخوا الى مكتته ، فمالوا الى حاي ، وصرخوا ينادون ان اغلله ،
 وأظهروا شعورهم بذلك . وبعد نقاش طويلاً ، نهض سيويه وقال لي :
 « إذا علمت يا أصمعي ما رز لك مني ، لم ألتفت الى قول هؤلاء » ثم
 نفخ يديه ومضى (١) .

وقد نقل طلاب العلم احداً هذه اسطورة بين هذين السعيرين ، وسأولوا
 اسألتهم في أسرار الحق رأيه ، فقال يونس بن حبيب النحوي : « الحق
 مع سيويه ولكن الأصمعي عنه سببه » (٢) .

ولم يكتف الأصمعي بجمع القوائد من مصدره ، واعطائها منقحة
 مصححة لطلابه الذين يلزمون حقيقته ، بل كان يشبههم على اقتضاء اثره
 في ذلك والعمل بمثله ، ويرشدهم الى الطرق التي يسلكونها وانوار التي
 يردونها ، فيذهبون كما يذهب هو الى المربد والبادية ويعودون وفي ألواحهم
 شيء مما حموه ، فيعرضونه عليه ، فيدققه معهم ويصححه لهم ، ويظهر

(١) معجم الأدياء : ج ١٦ ص ١٢٥ .

(٢) نية الوعاة : ٣١٣ .

أخطأهم فيه تقاربه ، فعدده من آراء شيوخه وما كل قد عثر عليه عند
 غيره الأثر بوضوح وقرأت في هؤلاء الطلاب أن يعرضوا
 بعض فوائدهم هذه على غيره من شيوخ المسجد الآخرين ليروى رؤسهم فيه (١) .
 والخبر المذكور فترات من مرج والدعاة كانت تمر أحياناً
 بحلقه الأصمعي فسقط سودها من نحو عيني وقور - إلى مهرجان
 أدبي طريف مناجيل سكوت وانج واهودر التي يتدلفها الطلاب يسهم ،
 أو مع الأعراب يعرف بين مدون أو المسند عهداً نقالة الأصمعي ،
 الذي سهر عدهم برونه شعر وعبره . ولأنه ما عدهم من الأدب
 والعرب رثه في ذلك وكل بين طلائع عدد من المسجدين
 الطوفاء الذين عرفوا سرته السهبة وحك السكينة ، مثل « عمرو بن بحر
 المحاظظ » و « عباس بن رستم » و « محمد بن القاسم » السكي ثاني
 الصفاء الصريز ، وكان من أحضر الناس حواء وأروعهم دعابة وفيه بقول
 ابن حنبل : كل من ضربه الماء (٢) وغير هؤلاء ممن سنتحدث
 عنهم في مكان آخر

وقبل أن أجد أحدين في حقة الأصمعي ، قرأ عليه آياتاً للناطقة
 المديني من وصل إلى قوله .

كلني هم اسمه ونيل نفسه طي الكواكب

صحفه فقره على شكل أدبي : « كلني هم ميمة نصت »
 ففجر السامعون ، فصحت ، وصححت الأصمعي معهم أصاً ، ثم التفت
 إليه وقال له : هـ نصت أن كل راحة لأدين تحيى ،

(١) ربه الأبناء : ١٢١ .
 (٢) ابن حنبل : ج ٣ من ٤٦٠ .

وكل سقاء الأديين تبصر ؟؟ « فراد الحصريون ، فصحتك ، وكسوا كلام
الأصمعي لما فيه من دعة وكنة وفائدة : وقد قل أحد الحصريين :
« لم أرَ تصحيحاً أجلب للفائدة منه » (١) .

وروى أحدهم أصاً قل : وفيت علب سلام من بني أسد ، رث الأصم
لا بدل مظهره على دكاء أو عيم : ثم سلم وجلس ، فسأله الأصمعي عن
اسمه ؟؟ قل : « حرقوص » ، قل الأصمعي ، أما كفى أهلك انت
يسموك حرقوصاً - وهو اسم خسرته كثر ثوب - حتى حتروا اسنك وصعروده ؟
قال العلامة : « ان السقط لا يحرق الخرجة » ، فوجب لأصمعي من حواره ،
وقال له : انتشدنا شيئاً من أشعار قومك ؟ قل . مع ، اشكك قول
« مرار الأسدي » :

سكنوا شَيْبَةً وَأَحْمَصَ وَأَصْبَحُوا رنت ماسهم سوس دس
وإذا يقال : أَيْتَمَ ، لم يرحوا حتى تقيم الحال سوف طعن
وإذا فلان مات عن الكرومة دفعوا معور فتره سلات
فطرب الأصمعي لأساده وكادت تسوح به الأرض . ثم قل : أكموه .
وقال أحد طلابه أيضاً : كنا في الحقة ، فممن أشراي يربل ، حرور ،
فقال : اين عييدكم ؟؟ فشر ، الى الأصمعي ، فشدته ما معنى قول الشاعر :
لا مال الا العطاف تورده أم التالين ومة الحبل
لا يرقى المرثى دلاده ولا عدي عليه عن بل
فصحت الأصمعي ، وأحاله :

عصره نطفة جسمها صب نلتقى موقع السن
أو وحده من حدة اشكته ان لم يرغبه ، تقوسه دس

(١) محاضرات الأدباء : ج ١ ص ٦٥ .

فأدبر الأعراي وهو يقول : « تالله ما رأيت كاليوم عصلة » . فها
 ذهب . التفت الأصمعي إليها وقال : هذه فصدقة لك من بني كلاب ،
 يصف بها رجلاً جاء ، لجأ إلى حبل وأيس معه عرس سيفه وقوسه وكمانه
 فيها ثلاثون سهماً . . ثم قرأ عليها القصيدة كلها . وفسرها (١) .

وروى أبو نصر « أحمد بن حاتم الداهلي » قال : كنت في حقة
 الأصمعي ، فوقف بنا أعراي فمد ، ثم قال : يكلم الأصمعي ، فقال : يا ذاك ،
 قل : أأنتون بالحبوس !! فذمها له ، وعجب من حسن أدبه مع حواء أدب
 الأعرب ، فقال : يا أصمعي ، أنت الذي يرعى هؤلاء الغمر أنك اتقهم
 معرفة شعر والعربية وحكايات الأعرب . قال الأصمعي : فيهم من هو
 أعز مني ومن هو دوني . قال : أفلا نلتني من بعض شعر أهل الحضر
 حتى أمدني على شعراء أصحاب !! فشد الأصمعي شعراً لرجل أمدح به
 مستمعه من عندك :

ألم أت المحر إن جاء وارد وليت إذا ما أخرج صار عقابها
 وأنت كيف أشد وإني إن عدت حوادث من حرب يعجب عابها
 وما خفت أكرومة في امرئ له ولا سعة إلا إليك مأبها
 كأنك ديب عيب موكل بـ وعلى كفيك يحوي حسابها
 إيت رحب العيس أدله بعد هذا أها ثقة يرجى لديه ثوابها

فسم الأعراي وهو رأسه ، فصارت لك لاستحسانه الشعر ، ثم
 قال : يا أصمعي هذا شعر مهمل حق السج ، حظوه أكثر من صوابه ،
 عطى عيوه حسن روي وزونة أشد ، يشبهون الممدوح بالأسد الأبحر
 الششم اسفل ، ولدي رنما طرده شردمة أمك وتلاعب به صبابا ؛

(١) أبي نواس : ج ٢ ص ٢٦٥ .

ويشبهونه بالبحر والبحر صعب على من ركبته ، مر على من شربه ؛
وداسيف والسيف رما حاش في حقيقة وما عند الصرة . . ألا
أشدتي كما قل صبي من حيا ؟؟ قل الأصمعي : ومدا قل عسكم ؟؟
فأنشد :

إذا سألت الورى عن كل مكربة لم ير اكرمه الا الى « الهول »
فنى جواد أذاب المال نائله فاليل يشكر منه كثرة اليل
الموت يكره ان يلقى منيته في كربة عند لف الخيل بالخليل
لو اح الشمس أبقي الشمس كاسعة او زاحم الصم أجاها الى الميل
أمضى من الحجم ان نأبته نأبته وعند أعدائه أخرى من السيل
لا يستريح الى الدنيا وزينتها ولا تراه اليها سحر الذيل
يقصر المجد عنه في مكارمه كما يقصر عن أفعاله قولي
قال ابو نصر : فأهنتنا والله ما سمعنا من قوله . فنى الأعراي ، ثم
قل : يا أصمعي ، ألا شدني شمرأ تروح اليه العس ، وبصك اليه
القلب ؟؟ فأنشده لعدي من ارفع .

ودعامة تحو بصود اراكة مؤشرة يسبي المانق طيها
كأن بها خمرأ بماء غمامة اذا ارتشفت بعد الرقاد غروبها
اراك الى نجد تحن وانما منى كل نفس حيث حل حبيها

فنسم الاعراي ، وقل : يا اصمعي ، ما هذا يدور الأول ولا فوهه ؛
الا أنشدتني كما قلت ؟؟ قال : وما قلت ، جعلت فداك ؟؟ فأنشد :

تعلقتها بصكراً وعلقت حبا قلبي عن كل الورى فارغ بصكر
اذا احتجبت لم يكفك البدر ضوءها وتكفيك ضوء البدر ان حجب البدر
وما الصبر عنها ان صبرت وجدته جيلاً وهل في مثلها يحسن الصبر

وحسبك من حمر عموك ريقها ووالله ما من ريقها حسيك الخمر
 وأنت حمد الله لأمس حلفه لكان للمس الدر من جلدها أثر
 فنبئت الأصمعي أن أصحابه ، وقال : أكتنوا ما سمعتم ولو «طراف
 أسرى في رفق الأكدر . واقدم الاعراي عندنا شهراً ، وجمع له الأصمعي
 شئ من المال : وكان يعهد في الحين بعد الحين حتى مات الأصمعي
 ومهرق أصحابه (١) .

علومه ، ومذاهبه فيها

قول أبو طيب المعوي : « كان في العصر العباسي الأول ثلاثة
 هم أئمة الدس في اللغة والأدب وأحد ر العرب . أما الدس قسهم ولا
 مذهب مشبه . وعنده أحد حل ما في أيدي الناس من هذه العلوم . بل
 كان ، وهم : أبو زيد الأنصاري والأصمعي وأبو عبيدة » (٢) .
 وحق محمد بن يزيد بن مرد : « كان للأصمعي مد عراء في اللغة ، لا
 يعرف فيه مثله » (٣) . . ويعده أجلة العلماء « من انتهى اليهم علم اللغة » .
 أما في النحو فلم يكن الأصمعي كالحسن بن أحمد القراهيدي ولا
 كيوس بن حسب النحوي ولا سميته من الذين عاصروه ، ولصكبه
 كان فيه أفضل من سيرة ممن انصرفوا إلى الاحتصاص في اللغة والأدب
 والأحمر . وقد قل الأحنس أحد أئمة ذلك العصر : « ما رأينا
 أحداً اسمه شعر من حلف الأحمر والأصمعي » فقال له : أيها أفضل
 قل : الأصمعي أعلم ، لأنه صاحب نحو (٤) . . وقد وفق أصحاب السر

(١) دهر لادب : ج ١ ص ٣٨٦ .

(٢) نزهة : ج ٢ ص ٢٤٩ .

(٣) سيرة : ٦٧ .

(٤) طهات سعة : ج ٢ ص ٢٤٨ .

والطوائف على عدمه في الطبقة الأولى من النحاة (١) . وكأوا يعنونه
ثقة في هذا العلم ، ومحتجون بآرائه لأنه تنقيد ، مخصوص ، ومفصلون
فتاويه النحوية على غيره (٢) .

كان مذهبه في اللغة « صيقل دائرة احدهم » « فلا يقبل غير ذلك
الصحيح ، ولا أحد لا يجمع عليه غيره ، اللغة او فصحاء الأعراب .
وقد ورد عليه شيء عرّف منها عرصه على كثر شيوخ السجدة . ثم
كان حسناً - ثم صدر عرصه ما شئت في صحته على فصحاء السجدة وعلمهم :
ومن السجدة قبله ودوره في دهره ، والا اعمه وسئل عنه : ورتا كان ابي
بعضه ويشطب عنه اصعب الذي يقبه .. تقول ابن ابيه عبد الرحمن :
« كان عمي اذا ورد عليه شيء سكره من اللغة والأدب ، قال : حذوا »
اي ركه (٣)

ويقول احدهم : « كان الأصمعي صنّ دائرة الأحد ، ولا يجوز إلا
افصح لغات ، وبشدد في ذلك ، ولا يقبل لا في اجمع سببه غيره ، اللغة ،
وقف عم بسرور به ، ولا يجوز إلا الأفصح » (٤) وربما ادى تشدده
هذا الى ان يعمد رأيه في رفض ما لا وافق عليه دون باقي العلماء
الآخرين .. فقد جاء مثلاً ان جميع زملائه يوافقون على صحة القول « فاط
انيت » « فاطت نسه » و « فاست نسه » « فاطت ، وناصد ،
الا هو انه يقول « فاط انيت » و « فاست نسه » « فاط فقط ، ولم

(١) السيرافي : ٥٨ .

(٢) نزعة الألباء : ٢٤٧ .

(٣) السيرافي : ٦٢ .

(٤) طبقات النحاة : ج ٢ ص ٣٠٢ .

يجمع بين الظاء والنفس ابداً (١)

وكان في مقدماته يفصل اقوال شعراء الجاهلية وحطبتهم على اقوال
من جاء بعدهم في صدر الاسلام او في عهد بني امية . فان لم يجد من
اقوال الجاهليين ما يحتاج به فصل اقوال شعراء الاسلام من قاطبي البوادي
على اوائلك المدن سكوا اندن واحصر . وفصل فصحاء الأعراب اما كثرين
في كعد الصحراء على من حاور منهم السلاذ واحواضر امهولة بالعرباء
والاعاج . وكذنت كان مذهبه في النحو .. مثل مرة : هل يقال « شتان
ما بين » ام « شتان بين » ؟ قال : انما يقال « شتان هذا وغيره »
واحتج بقول الشاعر الجاهلي « حاجب بن زرارة » :

شتان هذا والعناق والنوم والمهل البارد في الطل الدوم

فقالوا له ، ولكن الشاعر ربيعة الرقي يقول :

اشس ما بين اليزيديين في الندى يزيد سليم والأغر بن حاتم
قل : هذا شاعر متأخر لس نحجة . ولم يقل غير ذلك ، فيما اجار
غيره من المويين النحجة القواعد الثلاث كلها فقلوا « شتان بين »
و « شتان ما بين » و « شتان ما هذا وذاك » .

ويقول ابو حاتم السجستاني : سألت الأصمعي : اتقول في التهديد
« أبرق وأرعد » ؟ قل : لا ، لست أقول ذلك الا اب ارى البرق
وأسمع الرعد . قلت : لقد قال الشاعر الكميت :

أرق وأرعد يا يزيد فما وعيدك لي بصائر

قل : الكميت حرمقاني من اهل الوصل ، ليس نحجة ؛ ولكن

الحجة هو الذي يقول :

(١) معجم الأدباء : ج ١٨ ص ١٤٠ .

إذا جاورت من ذات عرق ثنية فقل لأبي قانوس ما شئت فارعد
وهو شاعر جاهلي ، وشاعرك هذا منحر لا يؤخذ قوله . قل أبو حاتم :
فأنبت أنا ربد الاصاري ، وقلت له : كيف تقول من الرق والرعد .
فقلت السماء ؟؟ قال . « رعدت وبرقت » . قلت : فمن الهمد ؟؟
قال . « رعد وبرق ، وارعد وابرق » فاجاز اللعين . ثم سألت اعرابياً
فصيحاً عن ذلك فحز اللعين اضماً . ولم يجز الاصمعي الالفه واحدة (١) «
وكان بكسر كلمة (روجه) ونقولها (روج) ، ويحتاج بقوله تعالى :
« ... امسك عليك روحك » فقل له : ان الشاعر « دا الزمة » يقول :
أذو زوحة بنصرام ذو حصومة أراك لها في الصرة اليوم ثوباً
فقل : ذو الزمة من نخعة ، اذ طنا اكل النخل والناج في حواست
البقالين (٢) .

ومن مداهه في اللمة ونصيب دائرة احدها ادعه « قاعدة المتروك »
وهي عدم قوله استعمال الكلمات المتروكة التي اصحت بحكم انبت لان
العرب قطرة تركوا اسمها واستعصوا عنها بغيرها ، ككلمة (امدة) ،
والنسيطة ، والرناج) وما شاكل ذلك ؛ فكان يقول : « لا قولن
احدكم ؛ أكلت مئة ، بل . أكلت خيرة ، لان كلمة مئة قد تركت
ولم يستعملها احد من العرب » .

وكذلك تمسكه بقاعدة « تبديل الكلام اذا تبدل المعنى » فيقول :
« لكل معنى كلام بقوله العرب ، فإذا تبدل المعنى لم تتكلم العرب بذلك
الكلام » . ومن امثله على ذلك : ان العرب كانوا يدفعون صدقات

(١) انالي القالي : ج ١ ص ٩٦ .

(٢) الزهر : ج ٢ ص ٢٣٤ .

امرأة حياءً وإياك فيقولون : « ساق إليها صداقها » لأن الحيل والاليل
تساق : ثم تعير أهلها ، فصاروا يدفعون الصداق ذهباً وفضة أو تمرأ أو
ما شبه ذلك ، ولا يجوز القول بها « ساق إليها صداقها » لأن الذهب
والفضة لا تساق ، وكان العربي صرب على أهله ليلة عرسه قبة أو خيمة
من شعر ، ويسمونها « خيمة » ثم تعير أهلها عند سكان المدن ، فلم يكن
أحد منهم خيمة عرسه ، فصاروا يقولون « خيمة » « بنى نأهله »
ما دام هو له من .

وكان ترمه هذا وتمسكه تشدد بعض نفعه كره « القياس » في
الجملة والنحو ولا يعمل به : أي أنه لا تقرأ من الأسماء المشابهة ليسخرج
من ذلك ما يراه منك بل كمي ، بعض استعمله . من أجل ذلك
سمي بعض الأسماء المشابهة تشدد ما يأتي لها : فقال « ابن حي » :
« كان لأصمعي أس من يشط بمقتضى : وأنه معروف بمئة أسعائه في
المطر وتوهمه على ما يرى ويحس » (١) . وقد اقصه بعض المحدثين
فقال : « أنه كان كسيوح المحدثين . مشدداً واقعاً عند النص اللغوي
بكرهه من بعضه » (٢) .

ومدى يراه أن لأصمعي حسب القياس ولا يعمل به ، لا عجزاً منه
وصفاً عن حقيقة واحوص فيه ولكنه كان يرى رأي بعض المحدثين الذين
يعتقدون أن العمل بقياس في عصر التمرآن والحديث يسبب الاختلافات
في الرأي ، ومنع المحل لدخول البدع في الدين والانحراف عن الأصل .
وكذلك لأصمعي يرى أن القياس في اللغة والنحو يسبب حدوث الأخطاء

(١) كتاب الخصائص : ج ١ ص ٢٦٦ .

(٢) ضحى الإسلام : ج ٢ ص ٢٧٩ .

ففيها ويبحث الى افسادها . وأكثر من هذا انه عند انت احصا في
الاجتهاد او القياس ، في اللغة والنحو ، يجر من يعمل به او يسره الى الوقوع
اخيراً في الخطأ ايضاً عند تفسير القرآن والحديث . من هذا وذاك من
صلة مباشرة

وأما القول : ان الأصمعي اراد يوماً ان يدرس علم العروض على اسده
الحليل بن احمد ، ثم توقف وعجز عن الاستمرار ، لأنه يحتاج الى قياس ،
فمسألة فيها نظر : وذلك لأن الأصمعي كان من أشهر الناس بالشعر
وأقدرهم قسمة على تمييز عنه من سمعه ، وصححه من مكسوره ، وكل ما فيه
من رحاف وفناء وغير ذلك ؛ وهو من كان له شعر سبقة ويرتجيه
بدون عيب وان لم يكن فصلاً . وقد قل احد معاصريه . « ان
ها خير من رأيت علم بالشعر : الأصمعي وحلف الأخير » (١) . ومن
آخر . « كان الأصمعي وحلف الأخير على سبج واحد في رواية له في
السلف ، ولم يدان مثب معاني ، وأوصح له من ، ومن المعاني ، ولم
يكن لها في علم الشعر سائر » (٢) . فمن كانت هذه مرساة من العلم
بالشعر ، لا يجر عن ادراك علم العروض اذا اراد درسه ، مع العلم ان
مقاييس العروض غير القياس في لغة والنحو ، حوت وبسبغة .

وكان لدى راء محمداً - في اذا صحت روايته هذه - هو ان
الأصمعي رأى علم العروض ، لدى اسكره اسده الحليل ، علماً لا يفيد
غير ان لا يحسن منه الشعر ، ولم يهوا لسيفه القسمة في التمييز
بين الصحيح والكدر من الشعر ؛ ولم يحسد هو نفسه في

(١) طبقات جماعة : ٢ - ص ٢٤٨ .

(٢) المهرج : ٢ - ص ١٢٧ .

ساجدة الى اصعقة وفسه في درس مقدس هذا العلم ودوائره وحساباته
و تقطيعه ، فتركه .

ولما يكن الأصمعي يحب نفسه ولا يعمل به فحسب ، بل كان
معصيه ولا يقر بغيره على العمل به ، ومعرض من يحسده . والظاهر ان
ذات كان معروفاً به عند الناس ، فكان بعض الأطراف من اصحابه
يتدرجونه بذكرهم قدس ماله وخبيدته له .. وقد حدثنا الأصمعي نفسه
عن شيء من ذلك في رحلت عن الفصل من أربع يوماً ، وبين
منه العباس بن لأحب الشاعر : فقال العباس لمصطفى : دهني اذاعب
الأصمعي ، فقال له : لا يعمل به لا يخلص العيش ، قال : ان رأيت
الأمر ان يعمل ، قال : ذاك شيء . ثم رحلت وأحدث محمدي قال لي
العباس : يا سعيد . من يدعي يقول .

اذا حبس في صنع شيئاً يحب ان
فصور هاهنا وصور هاهنا
ون في يدو حتى ترى رأيهم رسا
فكذبنا (وقت) وكدهنا (وقت)

فقال لي ابن أبي عمير : وكان حاسر - : انه اراد ان يمش
يث وهو يظني فوجه على هذا : فسقت اني العباس وقتت به : لا اعرف
من قال ذلك ، ولكنني اشرف يدعي يقول :

اذا احبس في صنع شيئاً يحب ان
فصور هاهنا (دوراً) وصور هاهنا (وقتاً)
ون في يدو حتى ترى حقيقهم ختف
فكذبنا لاف وكدهنا بك لقي

فوجم العباس ، وصحك انمصل وقوله : فقد هببت عنه في تقبل ^(١) .
 عدا ما ذكرنا من تحقيق الأصمعي دائرة الأحد في اللغة فقد كان لا
 يفسر ولا يشك في تفسير ما به شبه في القرب . . يقول ابو حاتم :
 سألت الأصمعي عن « الصرف » و « العدل » فلم يتكلم فيه . وقت .
 هل معنى (الربة) جاعة من الناس ^(٢) . قد قل فيه شيئاً لأن في القرب
 (ريون) اي جاعة منسوبة الى الرنة . وما يكلم في كلمة « سري
 واسري » لأنه قرىء في القرب (واسر نهت - واسر نهت او كدت
 في كلمة « عذت » لأن في القرب (ر - عذت) ولا في (سر
 - واشر) ولا في (ست - واست) لأن في القرب (ما سلككم في
 سقر) ؟ ولا في (سكر - وسكر) تقوى على (قوم مكرون) ولا في
 (كست الخيل - واكسه) لأن في القرب (كس مسكهم)
 و (ما تكن صوره) ولا في (وعى - وأوعى) لأن في القرب
 (جمع فؤوى) . . في آخر بيت ^(٣) .

وكان لا يفسر ولا يشك ما كان فيه ذكر الأواء لقوله عليه السلام :
 « اذا ذكرت المحوم فمسكوا » ^(٤) . ولا يفسر ما كان مستهزئاً
 مع بعض خصوص الأحاديث . ولا يفسر ولا ينشد شعراً يكون فيه هجاء
 الا ما سر . ولا يذكر في الأساطير شيئاً ^(٥) .

حلاصة القول ، ان الأصمعي كان يصيق دائرة الأحد في اللغة واقواء
 النحوية ، بينما كان غيره من اللغويين والنحاة في عصره توسعون نطاق
 اخذهم جهد الصاقه . . يقول ابو حاتم السجستاني : « كان الأصمعي يقول

(١) الأعي : ج ١٥ ص ١٤٣

(٢) الزهر : ج ٢ ص ٢٠٠ .

(٣) الزهر : ج ٢ ص ٢٠٢ .

افصح اللغات ويلقي ما سواها ؛ وابو زيد يحمل الأصيح والشدة واحداً ،
 فيحير كل شيء قيل .. ومثال ذلك ان الأصمعي يقول : حربي الأمر
 يحزني ، ولا تقول احزني ، وهما حائزان لأن القراء فقرأوا - لا يحزهم
 الفزع الأكر ، ولا يحزهم الفزع الأكر - فتح الياء وضمها (١) .
 ولذلك قيل : « كل الأصمعي يحجب في ثمة اللغة وابو عبيدة يحجب
 في ضمها ، وابو زيد يحجب في شئها » وابو عمرو بن كركرة يحجب في
 كلها (٢) . وقيل - يدرك أيضاً .. ونحن وان كنا لا نلحق الى
 من هذه التصديف الحسية - يحمل ان يكون فيها من حراف في الحكم ،
 نرى ان تشدد الأصمعي هذا ونقصه جعل روايته وآراءه امتن وأصح
 وأوثق من روايت غيره وآرائه . ولذلك أحدعه في اللغة والنحو أكثر
 مما أحد عن زملائه الآخرين .

وكان وحيد عصره في رواية الشعر وفهمه وتقده وتحليله ، ولم يجار
 احد في هذا الميدان لكثرة ما جمع من الأشعار ووعده وحفظها ورواها
 وفسرها وعمق في درساها ، وعرف شعراءها وسيرهم وأخبارهم وقبائلهم
 ومذاهبهم ، حتى صار يعرف الشاعر من شعره بدون عنه ، وقفا
 عنى في ذلك .

وهو - اعتراف خصومه - احسن من كشف معالي العريب في
 القريض ، والفت الى الأخطاء الدقيقة فيه اذا وجدت ، وميز بين الصحيح
 واسحول ، والعت والسمن ، واستكر في معانيه واستروق منها .. وقد

(١) المهر: ج ١ ص ١٣٩ .

(٢) المهر: ج ٢ ص ٢٥٠ .

عرف اللغويون وأدباء عصره فضله وطول نأه في هذا الفن فحسوا
مناظره فيه . وسماه مصيغ « شيطان الشعر » (١) لعلمه تخفيه وأسراره ،
وقد آخرون : « هو اسد الشعر والعريب والمعاني » (٢) . وشهد مصابه
خصمه اللود « ابن الأعرابي » احد كبار علماء اللغة والأدب في عصره ،
فقال : « شهدت الأصمعي وقد أشد نحواً من مثني بيت من الشعر ،
ما فيها بيت عرفه » (٣) . ويقول صاحب كتب « الأعالي » المعروف
بغزارة أدبه : « كان للأصمعي مواقف في مسير الشعر دل على عظمته
ونبوغه في فهم الأدب والشعر خاصة » (٤)

وفي رواية : « ان رحلين كما يتطرون في الشعر ، وتحدثان في
عرسه ، فمر بهما لأصمعي وهما يجادلان : فوقف عن الكلام . وقب
احدهما للآخر متمثلاً ببيت الشاعر « ساعدة بن جديّة » :

وما ينبغي من الغمرات إلا براكاه القتال او الفرار
ثم استأنفا حديثهما بعد مروره ، وذلك إكباراً لفصله وعلمه في ميدان
الأدب والشعر (٥) .

وقيل : انه كان يوماً في حلقه اسناده ابي عمرو بن العلاء ، وكانت
هذا ينشد ابيته للحقيقة حتى وصل الى قوله .

وعرري ورعت امك لاين في الصيف نمر
اي كثير الدس والنمر ، فقال الأصمعي : اي اقرأه « لا تي للصيف

(١) كان هارون الرشيد يقول له : « انت شيطان شعر » .

(٢) السيرافي : ٦٢ .

(٣) نزعة الألباء : ١٦٣ .

(٤) الأعالي : ج ١٣ ص ١٤٣ .

(٥) السيرافي : ٦٢ .

أمر « ي لا سوانى عن صمت أمر له تعجب القرى : فقال له ابو عمرو :
انت في مصحفك هذا اشعر من الخطيئة (١) .

وسئل الأصمعي مرة حادثة عن معنى قول احب في رثاء احبها صحر :

« صحر » مذكرني طوع الشمس صحرأً وادكرت لكل سروب شمس
امعروا : معنى ذلك انها مذكورة صباح ماء ، فل . لا ، ولكنها
اراد سروب هذا اي كانت مذكورة احب صحرأً عند طوع الشمس وقت
العذر وادو لأنه كان من سروب ، ومذكورة عند سروب وقت القرى
واظه . انقلب لأنه كان من الأجواد .. فتموا ومبوا مده (٢)

وبمع بعينه وفهمه لشعر انه قال : ائت في سنة بالخبر رمياً ، ما
رأت عند رواها قصيدة واحدة سنة الا مصحفه او مصنوعة (٣) .
وقال : حسنت حمد الرواة في احد عشر ثلاثة حرف ، وه ارض عن
روايته لشعر . (٤) وفي أحد داه كان يسمع القصيدة لقوله وطر لها ،
حتى : حاء ، وفي سمر محمول او مصحف قطب حسه حلاً وصاح :
« منحود » فكان احد احمره لمث .

لا ست ان مدي اوصفه في هذه مكانة من سوي وفهم الشعر
ودراك معه وفهمه بهذا ليل الدقيق ، امور كبيرة : مديا عشقه
بسم وادب حتى صار له مذاق روحياً لا مادي منه ، وهو مدي يقول :
« من . به الأدب عن الله وارضه لا يحب » : وفي رواية اخرى
انه قال لأحد معارفه : « الا تحرك عن كبر لا مدي ، وصديق لا

(١) لأعمش : ج ١٣ ص ١٤٣ .

(٢) الزهر : ج ٢ ص ٢١١ .

(٣) الزهر : ج ٢ ص ٢٤٥ .

(٤) الحنفية : ج ١ ص ٧٥ .

لا يفسى ، وثوب قثيب لا يبل ؟؟ » من : وما هو ؟؟ قول الأصمعي :
 « انه الأدب » .. وثاني هذه الامور ، كثرة ما حُفِص من الشعر
 على أنواعه وألوانه حتى صار اذا سمع نثراً منه وارتد على ذاكره احفظه
 كل ما شابه ذلك الشعر من معنى ونظم ووصف حبه ، فيذكر في احد
 صحته من حفظه وحسه من رده ، ثم يحد في غرب البعة واتمه
 ها سهلاً عنه فهم الشعر مبهك كل ثمر . قال : « حفصت للحجر
 سبعين سنة ، وحفصت بعده اضعاف ذلك فكيف يكون العرب عدي
 غرباً ؟؟ » .

ثما مدحه في قول الشعر واحده وسد بمسيره وكثيره عده في
 ماضيه ومحصره وبوايه .. يقول صاحب كتاب العمدة : كان
 مدح الأصمعي في شعراء الحشمة وما من لسان كمشب في عمره من
 فضل شعراء الحشمة ، وتكون عن الآخرين . كان حسناً فقد استفوا
 اليه ، وما كان من فحج فهو من شدة . من حفظ واحد ، ترى قطعه
 دساح وقصه مسح وقطعه طع^(١) . وكان لا يكتفي بحد شعر دون
 محاولة معرفة صاحبه ، والمدة التي فن فيه ، ومكان ابي أسد فيه ،
 ومن كان جنساً ساعة الاسد ، ومدى علق الخصم على قول الشاعر
 من آراء ، ومدى أجابهم ، وكيف كانت نتيجة مدح من استحسن
 وتقدير ، أو استهجان وعقاب .. وفي أحسن لأصمعي مواقف كثيرة من على
 عنه ذلك في عصره يروي من الشعر^(٢)

كان يقول عند تحده الشعر معرفة كل ما يتعلق به من أخبار شخص :

(١) العمدة : ج ١ ص ٢٥ .

(٢) العقد الفريد : ج ٣ ص ١٣٥ .

فإن عجز عن ذلك أكتفى بما حصل عليه من اسم الشاعر ومناسبة الشعر ،
فإن لم يجد هذا بحث عن قبيلة الشاعر وعشيرته لكي يقول عند روايته :
« أشد أحد بي فلان » . أما إذا غاب عنه كل ذلك وعثر على الشعر
مجرداً أكتفى عند روايته بقوله : « قال أحدهم » أو « أنشدنا أحد الأعراب » .
وقلم وحدهما شعراً رواد الأصمعي دون أن يذكر اسم قائله ، أو قبيلته على
الأقل .

وكن لا تقل الشعر استحول أو تصحف ، وإذا قلته ثم علم بذلك
المعد من دفتره ، أو رواد مجرداً دون سنده إلى أحد . ورتب ذكر صورة
التصحيف فيه ولا يحد ، وشرح ذلك لعلامة وسامعيه معاً بوقوع في
الخطأ . وكانت له من الكفاءة العلمية والأدبية ما يستطيع بها تقدير ذلك ..
قال ابن الأثير : « روى أيبك للحافظ بن رزارة ، أحد شعراء نجد ،
يقول فيها :

شيس هذا واحد والموم والمنهل الدرد في ظل الدوم
وسمع الأصمعي بذلك فقال : كذب أبو عبيدة ، إنما هو « والمنهل البارد
في الظل الدوم » أي الدائم ، وأما قوله : في ظل الدوم ، فعناه في ظل
شجر الدوم ، وشجر الدوم يست في الحجاز ، والشاعر مجدي ، وليس لأهل
نجد شجر الدوم (١) .

وهو - عدا ذلك - لا يروي شعراً قط إلا بعد تدليل الغريب من
ألفاظه ، وفيه معناه ووجود تفسيره ومصلحه القواعد النحوية فيه إذا
وحدت . وأكثر من هذا أنه كان يبحث في مدونه وذاكرته ليعلم
ما إذا كان معنى ذلك الشعر مبتكراً أم مقتبساً من شعر سبقه ؛ وإذا كان

(١) نزهة الألباء : ١٢٨ .

مبتكراً فأبي الشعراء اقتبسه فيما عد ، في واحد شيئاً من هذا قرن بين
الشعرين من حيث الجودة والسك وحسن اللفظ والديباجة وبوضوح المعنى .
وإذا وجد في الشعر خطأ في اللفظ أو التشبيه ، اثر إلى ذلك
الخطأ .. يقول مثلاً : احض « ابو المجمر اراجر » في اشياء احدث عنه
منها قوله :

وهي على عذب روى السهل

دخل اني المرقن حذر الأرحل

من حث عد في الرمن الأول

والخطأ فيه ان « مدح » لا يورده الأول انه يورده لوكا . وهذا خطأ
معيب ، ثم قوله عن المدح : « من حث عد » ومدح لا تحذر ولا
تحت ، انه هي حروف وشعب في الأرض وفي الحس لا حسب السمن
فتقى فيها البلاد ، وهي هوة في الأرض يصيق ثوبا ثم سمع فيمدحها
ماء السمن (١) .

وله في تفسير الشعر مداعب يختص بها أحياناً دون غيره من رواة
الأدب ، ويحذف في أرى به عن المعوين الآخرين .. تقول ابو هلال
السكري في بحث التصحيف حول ست حاء في معصية امرئ القيس شصف
به طول الدليل : « رواه الأصمعي هكذا :

كن الثريا عمت في مصاصي نمراس كس إلى صم حدر

وفسره كما يأتي : مصاصي ، أي مصاص الثريا ، ومعدة موضعها ومقربها :
وهو صف ليل ، وان نخومه لا تسير من طولها ، فكأن لها أوجي في
الأرض تحسبها . هذا مذهب الأصمعي . وقد رأت بعض عمه انعم .

(١) الأعرابي : ج ٩ ص ٨٣ .

برووه على شكل آخر ويعسرونه بخلاف مذهب الأصمعي فيقولون :

كأن نحوماً عثقت في مصمه ، فواس كسر أي صم جندل

ومصمه ، يعني مصم ميل : وانفرد طاهر بن العرهين « (١) » .

وله شعر عند الأصمعي قيم تختلف باختلاف أنواع الشعر : فهو يعسا

شعر أحسن أسير وسجده شاهد ينجح به في درس الله وسط القواعد

لجوة ومصله على غيره : ويروي الله به طرس بختيار شعراء

حكمة والاسلام لأحسن الأدب أولاً ، كسدت صفة شعر أخوات

وناسبت أي همت بك المتكلم وفيه ، وثم انقطع شعره القصيرة

الندرة في معده ورقة دحس فندحره لأشده وسعر به في الخامس

وسدت : كما يسط الشعر بحرف المكه يرضع به ، به ودعبه

وضربه ، وحس الشعر به في طره كل حكمة لفرص وسدت ، وله

في كل دب تر مستم فخر حلا كس دب به من س منه .

على ن مدي تحده على الأصمعي هو خمس شعر الله أولاً ،

معين به لا شت - شتر على ثروة منه من هذا اللون الأدبي وفهمه

وه يرويه : وه رود لألف أي كونه شعر ثروة حبي ، ثم انه كان

حسب حد شعر وواه : ذا كان فيه ما يجب مرشده ومعتقداه وآراءه

للمدة والسنة والأحججه : ورثا عرف من به شيء من دواول كامل

سعر يحيد لأنه كان من تذهب وشيعة ببر مدحه وعقيدته .. حدث

« النوي » قال : رأى الأصمعي في مدي حرة فيه من شعر « السيد

أخيري » قال : هذا : فستره عه عسي : عله فيه ، وقسم علي

أن أحتره وأحتره ، فقس : أشد قصيدة منه ، فأشدته قصيدة ثم أخرى

(١) حرفة لأدب : ج ٣ ص ٢٤٧

وهو ستردي ، ثم قال : فحده الله ما أسكه لغيري من الحول ولا مدعته ؛
ولولا ما في شعره ما قدمت عليه أحداً من ضته (١) .

*

ويعتبر الأصمعي من كبار رواة الأحبار .. والأحبار - كما علمت -
مرحلة من مراحل شوء علم التاريخ ، قبل أن يجمع ويدون تأسيس
ويصبح علم مستقل بذاته . ولم يكن في عهد الأصمعي رواية لأدب إلا
إذا روى ثبتاً كثيراً من حد العرب الأقدمين التي امتلكت - في عهد -
مدته من علم التاريخ وحفقت في سلسلة أعمدة ، وأدب حكماء هؤلاء
الرواة من المصنفات والحوادث التي قيمت قيمتها في تلك الحقبة
والأخبار والأمثال والشواهد وغيرها مما يدخل في حيزها ، والأدب .

وقد جمع الأصمعي أحبار كثيرة ، دبوها في نوحه ودهن زده ، ورواياته من
في محله . وهي على أنواع : منها ما أصبح أن يكون حراً من الأحبار
الدرية كذكر الوقائع وأخبار والأخبار ومسورات في العهد العباسي ،
أو العربيات والجهاد والفتوح في صدر الإسلام والعهد الأموي . ومن
ما يدخل في سيرة الملوك والقواد والولاة والشخصيات المشهورة في التاريخ ؛
ومعظمها من حرة ، في تاريخ الشعراء وأحوالهم وسيرهم . كما أنه روى من
هذا وذاك أخباراً تكشف جوانب كثيرة من أخلاق القضاة وجمعيات
العريضة وعصرهم في معاملاتهم ومثكلهم وطرق الحكم بينهم ، إلى
آخر ذلك . (٢)

فص علب في بعض رواياته أخبار العتقة وحروبهم ومحرمهم وضار

(١) الدعاء : ج ٢ ص ٤

(٢) ابن خلكان : ج ٢ ص ٣٤٩ .

معشهم وعدادهم وأحوال البعض من موكبهم وكبرائهم . وحدثنا عن العرب الشدة والعارفة والمستعمرة . وروى الكثير عن عرب الجاهلية قبيل الاسلام وأيامهم وأحروب التي استعرت بينهم . فعكس مثلاً عن حرب « السوس » بين بكر وعقب ، وروى أشعر أطفاً أمثال « المهلهل » وحسن بن مرة ، وأخيه حمزة ، وأحارث بن عداد ، وحذر ، وغيرهم . وعن حرب « داحس والعراء » بين عس ودين ، وعن أطال بن عس أمثال « رهير من حذنة » ، وفس بن رهير ، وعثره بن شداد « مع ذكر أشعرهم التي قالوها في حروبهم »^(١) : وتحدث عن فارس بن حشم « دريد ابن الصمة » وعنته لشجرة المعروفة « احب » بن عمرو بن الشريد »^(٢) : وعن « ربيعة بن النكدة » وخطولاه وحدث منه العرب^(٣) . وقصصنا عن حدث الشعر المعروف بين عامر بن الطفيل وعنته بن عاتكة ، وما أدى ذلك امر من حرب بين النخيل المؤيدة للصرفين ، وما قيل فيه من الاسمر واحصب والأمثال^(٤) : وعن السافة بين حاتم الطائي والباقة الذياني حول « امه عير » ، وعما أشهر به حاتم من الساحة والمعدة والسوة ، وما وقع من خلاف بينه وبين روحه « مويه » وما قول في ذلك من الشعر^(٥) . وعن « عمرو بن معدى كرب » وصعلكته في الجاهلية وجهده في الاسلام ، وروى معظم شعره مع ذكر اسسبت والحدوث التي قاله فيها^(٦) . ونقلنا حذر التعديك والعدائين أمثال

(١) الأبي : ج ١٠ ص ١٦ .

(٢) الأبي : ج ٩ ص ١٤ .

(٣) الأبي : ج ١٤ ص ١٣٠ .

(٤) الأبي : ج ١٥ ص ٥٧ .

(٥) الأبي : ج ٣ ص ١٥٢ .

(٦) الأبي : ج ٣ ص ١٤٦ .

عروة بن أورد والسيد والسري ، واحذر التصريح وقطع الطرق وأشعرهم ...
إلى آخر ذلك .

خلاصة القول ، أن الأصمعي على ما روى لأصمعي من أسماء عن
الجهينة وحدهم يكاد ينزله أنه ، يترك حديثاً خطيراً من حوادث هؤلاء
القوم إلا روى عنه شيئاً إن لم يكن قد جاءه تعظم خبره . وهذا ما جعل
عص رواية الأدب وقد يقع بقوم أنه قال لما معتم أخبار الحديث
وذهبهم ... وقد اشتهر مني في له منعت السمع في شكهم أحاديثي .
نم روى الكثير من أخبار العرب في صدر الإسلام وبعده في العهد
الأموي حتى أنه من العس الأول أمين عصرهم . ولم يترك حليلة ولا
قائداً أو والياً أو شاعر إلا أعطاه فكرة عن شخصه وسرد - عص اسمه
وتصرفاته . وقد تمت كثير من الصحاح في عهد النبي عليه السلام ولكنه
لم يترك خبراً من سيرة - وقد يكون السب في ذلك اعتداده من
أرواه عنه أمر يمس الدين أو الصميم ، وهو يحب التوسع في الاحتياط والاحتراز
فيه ؛ وربما كان هناك سب آخر ، فقد سبق لأصمعي جماعة من رواة
الأخبار جمعوا سيرة النبي في كتب عديدة سببت « كتب المعاري » و« كتب المعاري »
وغزواته (٢) ، فله بعد الأصمعي حبراً يروى ، موثوقاً ، في هذا الشأن لكي يروى .
وكان مذهبه في جمع الأخبار وقبول كنده في أحد المعه وأرب
والشعر ، فلا يقبل غير الصحيح الثابت ، ولا يركن إلى رواية رخص

(١) قد يكون الأصمعي روى بعض من المنعكات السمع ، ولا حرم أنه رواه كلها .
(٢) من أشهر كتب المعاري التي ثبت قبل ظهور الأصمعي في علم الأخبار كتب : « كتاب المعاري »
المعاري لاسم المعاري « المتوفى عام ١٢٤ هجري ، و « كتاب المعاري » لموسى بن
عقبة « المتوفى عام ١٤٩ هجري . وقد صاغ معظم هذه الكتب بل كلها إلا كتاب
موسى بن عقبة ، فقد وجدت منه نسخة في مكتبة (برلين) جمعها يوسف بن محمد
ابن عمر . وقد طبع أحد المستشرقين قطعة منتخبة من هذا الكتاب سنة ١٩٠٤ م

مضعون صدقة ، أو معروف نصف دأكره ، ولا تثر بالمخلوط الشائع بين
 الناس ولكنه يسير على مذهبه في التحقيق والمجسس والاستقصاء حتى يرد
 الحقيقة التي تضمنها ، غير أن - بعد ذلك - في أن رثي روايته
 بحجة لمؤلفه سابع أو مضافة لروايات الآخرين .. كل الناس - مثلاً -
 في عهدنا سمعوا شعر « قيس بن مراح » المعروف بجموع أبي عمر
 و « لعل من هيمه ورفقه ربه جد » . ولكن الأسماء مكر
 وحده هذا الحلق المشهور ونحو : « في من سافر سدة بحرين في أمم » ،
 صه + أحسن ربه واسعد .. منه ليس من « ساج » : « ويروي سدة
 وايات من على صفة قوله (١)

وهو - + كثره ما روي من الأحاديث على شكل أبي .. له
 فبأن كان في هذا العلم ثم دل على أنه من علم الدراج وسير
 عنه الأدب منعه - يره - ولكن قصة على الريح كبير صدقة
 ما ساج من مده وصدق زوجه في تمامه الكبير من أنوار حين عنها
 في القائل .

وه كان مقصراً في « علم الأسباب » ، أيضاً ، إذ كانت صفة أويفة
 بقتل وعنه تصوى جمع احدها ، وشعرها وآداب بقودانه الى معرفة
 أسباب .. وكان علم الأسباب هذا راجعاً عند العرب الخمين وقد سمع فيهم
 عدد كبير من الساسة . ونقي الحال كدنت في صدر الاسلام ، فكانت
 أو بكر الصديق مثلاً من أعرف الناس بأسباب العرب ؛ ثم احتاج المسلمون
 الى هذا العلم لأجل العطاء على الأسباب حسب « ديوان عمر بن الخطاب » ،
 فوسعوه وشتوه ودووه .

(١) رقة الألباء : ١٢٧ .

وقد بلغ في العصر الأول العباسي جمعه من عدد السبب ، احصوا به
 وأنشأوا فيه أمثال « هشام بن محمد » المعروف « بن الكشي » وسيره .
 ولكن الأصمعي لم ينصرف بأكمله الى هذا العلم ولم يكن في طبيعة اقواله
 به ؛ لذلك كانوا اذا ذكروا علماء الأنساب قدموا غيره عليه وان
 مؤخره كثير عن عدد الأدب والأخبار فيه . وفيه دوا من معروفة في
 انساب العرب المتقدمين ومن جاء بعدهم . وحتى في انساب بني الحارث
 المعروفة بعدو السريخ .

وقد رُتبه في قائمة علماء مؤلفه ، كتاب « سب » وكتبه من
 انساب اصنامهم في سبع اجزاء في عهد همدان الكشمي ، في سبع اجزاء
 كسره . ويحتمل وجود نسخة من كتاب الأصمعي في نسخة
 الموصية في « س » مخطوطاً بالكوفي على ورق من احدى نسخ العرب
 من ابناء حود . كتب في « سب مع » وأمر « ابن الاقدمين » وأخبره ؛ وفيه
 كتب في مقدمته . ان ا ، جاء المحسني وقد كتب من سنده في نسخة
 من محاسنات كل القاه في بغداد .

عدا ذلك ، كان الأصمعي - كما قبل - احصى بقراءة « سبع »
 وأبي عمرو بن العلاء « وانه كان يفتي دروساً في هذين المئتين من
 القراءات القرآنية السبع . وهو - كما علم - من حقصة القرآن ، ومن
 اعرف الناس بمعانيه وكتبه لم يسره حساً للحفظ وتحوّل من الأئمة .. وه
 يرو من الأحداث غير الدرر اليسير ، ولم يسره ندماً اصلاً ، وانصته
 كان - لا شك - يحفظ الكثير منها . وان لم يرو ، بحكم قوة حافظته
 وكثرة ما يتردد على سمعه من أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام . وكل
 ما رواه منها فهو صحيح بشهادة الأئمة الكبار ورجال الحديث في صدقه .

وكن مدعى عبوه أخرى كانت تصل بمروء احتصاصه كهم الجغرافيا .
وله روايات فيها ، علق بعضها بذكر مساحات قسم من البلاد الإسلامية
وحجودهم وخصبهم و... من مذهبهم و... الخورة : ولكن شكل
... لا يخلو من خطأ صحيحاً وتقريباً الجغرافية الحالية : وله
مذهب من ذلك مذهب كذب « مذهب العرب » و « حزيرة العرب »
و « سرقات » التي تضمنت من شيوخهم على أنها لم تحدث في
عصر مسال الجغرافية مع من من بعدهم وأدب . وانكشاف الأولان
مفقود ، لا كذب ، المذات ، من مسجود عنه في مكان آخر .
من هذا كذبهم في حل حشد الأخصائي كل في « انبعاث
و... والأدب وال... والأحرار » عقيدة مع و... فأنه في طبيعة
... كذبهم . كذبهم المذهب ، و... في العبوة الأخرى التي تصل
... كذبهم ... و... قبل أن يكمل ونصيح علوماً
... على مدافعه في كل هذه العبوة ... :
... وأخذ ، و... المصون وأخذ بها
... من وجهة نقد .

تقي هذا من عدمه اذا كان ينبغي بحسن اللغة الدراسية ونسلك
بها لا ، وقد وجدنا في بعض النسخ دعوة يرجع مصدر الكلمات
اسمها في حسب مدرسي ، او يقرن بعض الكلمات العربية تما
يناسبها من الكلمات الهندية في المعنى (١) ! ! !
في الواقع انما نجد في الأحبار ما يقدّمه عي بدراسة هذه اللغة

(۱) ادب لکاب : ۱۱۹ .

عناية خاصة في وقت ما . ولكننا لم نرخص إلى المحيط الذي وجد فيه
الأصمعي وحاطه طوال حياته لرأي أن اللغة الفارسية كانت في منوال منه
لكثرة الأسر الدراسية المستوطنة في البصرة ، وقرب هذه المدينة من تحوم
فارس . وقد دلت الروايات المتواترة على أن القسم الأعظم من هؤلاء الفرس
كانوا يكتفون بحرف الأربعة لغوية في سيم ، في الأسواق والأزقة
والمجمعات ، وحتى في مسجد البصرة بين الطلاب من النواحي .

والدرسية ، كما هو معروف ، لغة شريفة ، لأدب والعلم والحضارة
المكرمة . وفي البصرة عدد كبير من فحول الشعراء وكبار العلماء من أصل
فارسي . وفيهم من سلك الدراسة بين زملائه وفي عصره على الدوام . .
وبديهي أيضاً أن يجد الأصمعي من بين رجال الفكر الذين يتعلمون ويبحثون
فيهم من شتى الشعر الفارسي حين يجد في "شعر العربي" معنى مناسب له ،
أو عند مقابلة فكرة مكرمة ، أو ما يشبه ذلك في كل مسألة سأل عنه .
وهذا من شئ لا يخفى كل محقق من سلك هذه اللغة في كل
مكان ، وأنه كان يسمعها في نيتة وبهره ، وحتى أسماء أوصاله يتلوا هرون
الرشيد واحسبوا أنه بترامية والعصر الدراسي الأخرى في بغداد . فدا
تذكرنا حافظة الأصمعي اللافتة ، وحاجته أحياناً إلى التفرغ مع من لا
يحسن العربية من هؤلاء الأعاجم الكثر في البصرة وبغداد ، سب على
ظننا أنه قد ألم باللغة الفارسية سماً واسعاً ، يتعمق جديراً أن تقارن بين
بعض الكميات العربية والكلمات الفارسية المشابهة لها في المعنى ، ويرجع
المشعوب منها إلى أصله الفارسي كما رأينا في بعض آثوره (١) . وربما كان
يتكلم الفارسية عند حاجته إلى من سأل عن سكره الشدة للعصر الفارسي .

(١) برهان ج ١ ص ١٠٥ .

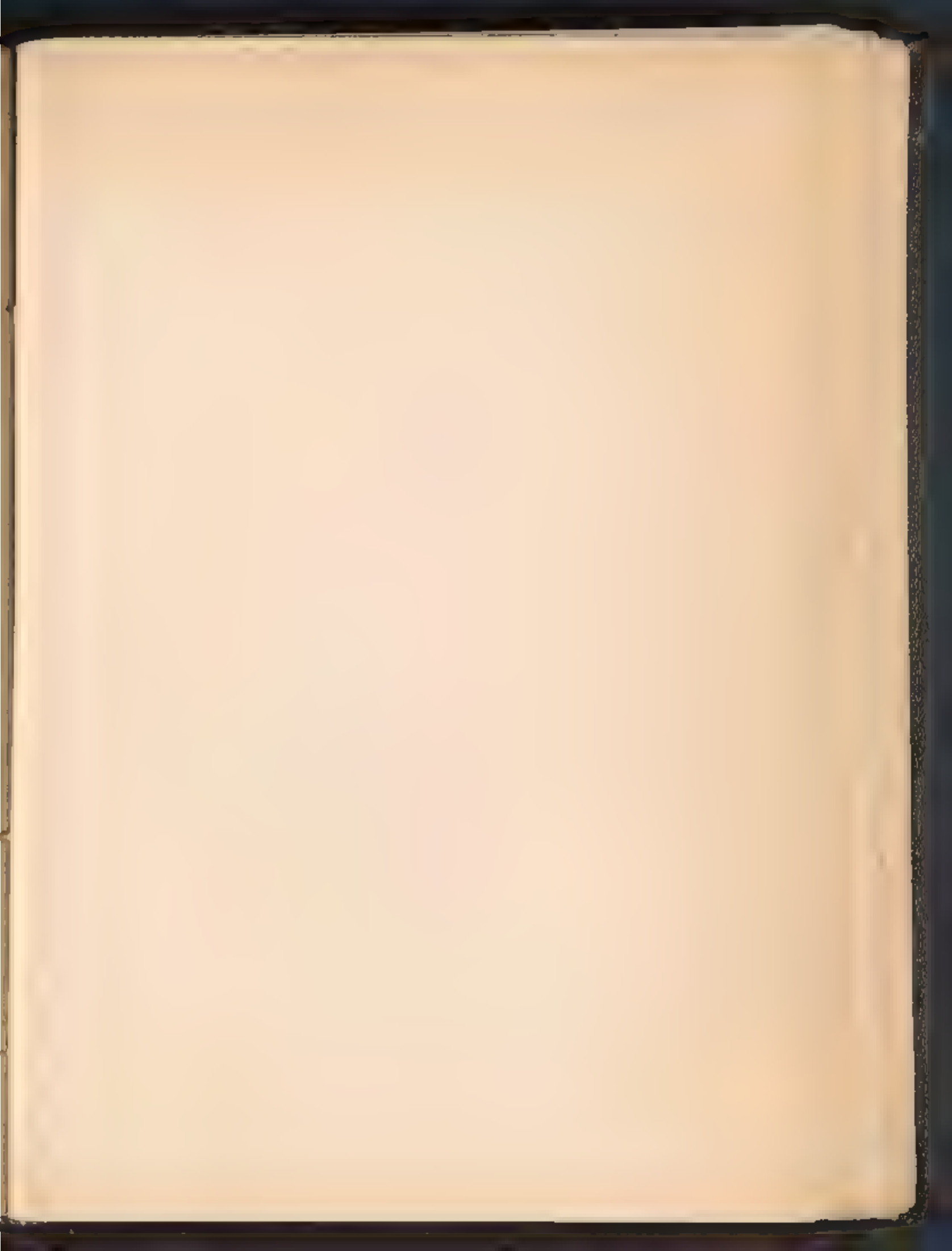


القسم الرابع

في دار الخِلافة

١٧٣ هـ - ١٨٨ هـ

- ١ - الاتصال بهارون الرشيد
- ٢ - في مجالس الرشيد
- ٣ - الفوائد الثلاث
- ٤ - اثره في مصرع البرامكة
- ٥ - تركه بلاط الرشيد



الاتصال بهارون الرشيد

تولى الرشيد خلافة عام (١٧٠ هـ - ٧٨٦ م) وما نتج عن الشدة والعشرين من العمر (١) . ولم يقض - يومئذ - على بناء مدينة بغداد أكثر من ربع قرن ؛ ولكنها كانت - خلال هذه الفترة القصيرة من الزمن - قد مشيت سوطاً بعيداً في مصر ، تقدم العمراني ولاحقاً في والعكري بفضل كتابها عاصمة الخلافة . ومسودح ست اس ، ومصدر الكسب والعنى .

والمعروف حدد - حركة بغداد - كانت قس من دور تلك النهضة العلمية والأدبية في كل من مدينتي القصرة والكوفة ، وكثرة من تزج منها ، من حملة الأعلام ووفرة القصص وعدة الأدب والاعمال ، فضلاً عن التجار الموسرين وأرباب الحرف والادب ، من شعاع المناصب الخطيرة في بلاط بني العباس ودوسهم .. فكان صيده ، ان تنقل ، مع عصر هؤلاء ، مؤنعت الكثيرين من الشيوخ المصريين والكوفيين ونشروا في احواء انعمين والمؤذين من ابناء النهضة الجديدة . وكان طبعاً اصح ان تنسرب احبار المجتمع الفكري في القصرة من صفوف العدادين ، فيحدث انعميون شؤون تلك النهضة عن سجد اجمع والمريد ومحسن المنطرات والمنشآت وما ستره من الطرائف والمواد والأحبار ، وعن سر اولئك النواع الذين مدحون الجهود احدهم في سبيل جمع اللغة وتركيب قواعد النحو ولم شات الأدب واشعر المديح ، وسور قواعد النهضة العربية الاسلامية .

ولم يقض على استقرار هارون الرشيد في احضان خلفه أكثر من

(١) ولد هارون رشيد بن محمد المهدي في مدينة الري عام (١٤٨ هجري) .

عامين او ثلاثة حتى استقرت الأحوال واسطمت الأمور وازدهرت الحياة في البلاد، فحصل من ساهم في تسيير دفة الحكم من رجال الدولة وفي مقدمتهم « يحيى بن خالد الترمكي » الذي شغل منصب الوزارة وأدار مقاليد الأمور بيد قدرة حارمة (١) .. وبدأ جو بلاط الخلافة يصفو ويروق ويتصمم ، كثر الشخصيات اسقة من شيوخ العلم والأدب وأراي شكل يدعو إلى الإعجاب والتقدير . فكان من اراد ضمّه الى هذه المجموعة الدرة فيه واحد من مشاهير علماء البصرة ورواة الادب والشعر ككون بدأ هي بن حمزة « الكافي » معلم ارشيد وأحد مشايخ الكوفة الدررين . فاستقر الرأي على استخدام كل من الأصمعي وابي عبيدة ليختار الرشيد أحدهما ؛ وأودع رشيد امر احصاءهم الى « الفصل بن اربيع » الخاحب (٢) .

وقد انشأ في بغداد في وقت واحد - عام ١٧٣ هـ على وجه التقريب (٣) - فريق « الأصمعي صيفاً على صدقه الأمير » سعد بن سلم الذهبي « الذي كان - ومشهد - مقراً في بلاط المدينة ؛ ونزل ابو عبيدة عند شخص آخر من اصحابه . وشتر الجميع لعمي السعدي بمقدمهم اي اهتمام ، ويودع الزيارات والخدمة بهم ، واحترت المسطرات

(١) كان يحيى بن خالد ترمكي من عابرة الرأي والمكر . وقد رشح الرشيد تدي إحدى سائنه فصار له ان في برصعة . وهو الذي عي تربيته وبأدبه من بصر وبي مجابه حتى نولى الخلافة وصاد وريراً .

(٢) كان الخاحب « الفصل بن اربيع » هو الذي يعنى بحشية الرشيد ، ويستقدم من يريد مواجبته ، ويظم اوقات رده ابوود ومعه سبهم للجمعية .

(٣) يعتقد أن الأصمعي واب عبيدة قدما بعدد في هذه التاريخ لأن الرشيد احار لفصل بن اربيع حاجاً له في عام ١٧٣ هجري ، وفي هذه فترة كان ورير الرشيد « الفصل بن يحيى ترمكي » نائب ابيه . وسرى الأصمعي بقابل الرشيد بوجود هذا الورير معه .

بينهما وبين علمه بعداد واسانها ، واشغل الخو الفكري والادي بهما
عدة أيام . ثم اتسم الناس بيسها الى حاسين ، كل جاب منها فصل صاحبه
ويريده للمنصب الجليل الذي قدما من أجله .

والظاهر ان أحدا من خمسة والصراع المصري بين الأصمعي وصاحبه في البصرة
كانت قد سقت وصولهم بعداد . فلما ورداه وحدا نفسيهما في جو شه
جو البصرة ، لا يحلف عه في شيء : فهذه جماعة من العرب ترد لمباح
للأصمعي وتشيد بذكر محاسنه ودمائة حنفة وعدد مثب حصمه : وهناك
جمهرة من الموالي والشعوبيين تفضل ابا عبيدة وتنوء بعررة علمه وبصبر
عيوب منافسه . ومما قاله الشاعر ابو نواس في تلك الفترة : " بهم لو
امكسوا ابا عبيدة قرأ عليهم احدا لأوين وآخرين ، وأب الأصمعي
فمن غير ناسل بطرهم بعمه " . . . ما رحل البلاط ، فبهم
وقفوا صامتين أمام هذه الصفة ، تركين احدا لحبسه هرون رشيد .
ولكن الذي نلمسه من سير الحوادث ان لكمة كانوا يسمون في
سيررتهم ان يكون المقدم لهذا المنصب ابا عبيدة لأنه ديسي : غير بهم
يعرفون ما فيه من سوء الطبع وسلاطة المنس وحده ظروقه شعوبه ، مما
قد يشير لهم المشاكل التي هم في غنى عنها : فومئذ موقف الحشد من
الأمر ولم يعبروه كثير التفات ، واكتفوا بأن اقاموا مآذنه وجمعه لبرحين ،
مطهرين لها حسب ائود والاعجاب على حده سواء . . . وكان الفصل من
الربيع يعرف اخلاق الرجلين حق المعرفة . ويحتد رأس الأصمعي أصبح
لمجالسة الخليفة من صاحبه ، ويؤيده في ذلك عدد من رجال البلاط ،
منهم صديقه سعيد بن مسلم الناهي . ثم ان الفصل من اربع كان في

حصونه صمة مع الدامكة لأسباب يقول شرحها (١) . فليس من رغبته
أن يزيد في حشية البلاط سحفاً من القيس الشعوبين ليصكون عوناً
للهامكة عنه .

وهذه اشككة أن هرون بن ربيع الحاحب نفسه الأصمعي قتل
صاحبه إلى الرشيد ، وهو وثق أنه سيرضه وبعده بعرارة علمه وأدبه في
أول مدته كمن معه : ود احتاره ورعى عنه سد الطريق أمام أبي
عبد الله ، وحدث لأمة . وفي الحاحب وغير الأصمعي : ذهب مواجحة
أمر المؤمنين في محبة عبد الله بن ربيعة ، وأصبح شنه ، وليس أحمل ثيابه ،
وقصد « قصر حيد » حيث يمكث الرشيد : ومكث في حاحب الأسطار
تروى أسدته أبو عتودة

كان هرون الرشيد . ومند . في الأداة والعشرين من عمره ، فتي
في حب الشرب . يقيم أول طوبى الأمة ، في حبة بيضاء صفة ،
وعش كبريين دندويين ، وشعر أسود كثيف سمعت حول قدسوة سوداء
مدسه بحمة رفيعة من حر الأسود ، حاد بكاه حصل يرات الصوت :
حب بعد وجل العبد ، وبسوق الأدب بوجه خاص . وحفظ الكثير
من الشعر ، وله سبعة في صمته ، وبرعة في شدة . وكان ثقيلاً نصفي في
اليوم مائة ركعة ويصدق كل صباح ألف درهم ، ومكي لموعظة ولا
يحب البراء واحد في يد : وكما حد مريح سريع العصب والبقمة

(١) كان يحيى بن خالد برمكي يكره الفصل بن ربيع لأنه شديد الاعتداد بنفسه ، دكي
ضجوح ، وكان ابن ربيع يكره البرمكة أيضاً مد كان هو حاحب وورث للعلبة
المهادي الذي أراد خلق هارون الرشيد من ولده بعد . فما نوى الرشيد الخلافة تمكن
يحيى برمكي من إقصاء الفصل بن ربيع عن شاص مدة ثلاثة أعوام (انظر الطاري
سنة ١٧٣ هـ) .

إذا استثير ، سريع العفو والرضى إذا استرضى .^(١) : مرهف العاطفة
والشعور ، لذي الكف أي أعتد حدود البدن : وهو حكيم شبيه وحيو .
يسرف البسمة إلى أقصى ما سمحه الشرح بمسألة .. وأنه عدا ذلك صحت
أخرى ليس هذا موضعها^(٢) .

أما الأصمعي فكان قد ناهى الخسنيين ، وإن كان يجب قد وحدث سره
بعد ، متماسك الجسم ، متدفق النشاط ؛ في روي مرحة . وقد حوسب
وخرقاً ، وذاكره من قوتها تنطق وتجمع ولذا ذكر ما كانت وذهبت
ورغبة حمة في الكتب ، ودفنوح في البقرة والماء . وقد حدث هو
عن شعوبه . فطرب ما في وصوره قصر احمد . وكيف كانت الآمال تارة
جواب صدره ، ورحله .^(٣) .

وقال : لا تدرك ومن أو إليه ، وهو في صفة حرس .
يحدثهم و - سره . يورده وضارته حتى أعمده وأحسده : كرموه .
بجاجة ووفقه . كانت ساعة له . فخرج عليه اذنه في به كبر ارسده
يسمر فيها مع وانه انحصر من يحس له مكى ، فقال : هل . فخره حد
يحسن .^(٤) . قد الأصمعي . فسم إليه . وهو يموت في غسه
« أنا صاحبك الذي طلب فأدمن وحده فتن »^(٥) . فحدث اذنه به .
البهو الذي يجلس فيه الرشيد ، وقال له : ادخل ، عسى الله أن يغير لك
بالاحسان لديه .

روى أن صاحب كتاب « العقد الفريد »^(٦) عن ابن الأصمعي

(١) اختلف المؤرخون في وصف اخلاق يزيد ولأصح هو ما ذكرنا .

(٢) العقد الفريد : ج ٣ ص ١٣٥ .

(٣) العقد الفريد : ج ٣ ص ١٣٦ .

(٤) العقد الفريد : ج ٣ ص ١٣٥ .

نفسه ، وصفاً مسهباً جداً لثقت انقلبه ، وما دار بينه وبين الحليفة ووريره
الثابين من أحديث أدبية طرفة ومباحلات فكرية دقيقة ، عطينا صورة
واضحة عن اجواء السمو في قصر الرشيد التي لبت فيها صاحبنا - بعد
ذلك - حمة عشر عاماً أو يزيد .

منعص ديت أن الأصمعي دخل الهوا من بالانوال والذهب والفرش
النادرة ، فوجد الحليفة في الهوا رسته حلاً في الصدر ، وحسنه ووريره
الرمكى ، وحوضاً الشموع النضيفة على قصب الدور والخدم وقوف على
مفرقة مسهب ؛ فحس في نفسه شيئاً من الروعة ، ولكنه تقدم الى حث
سبعين صوته : ثم سمر ، فبدأ عليه السلام ، وأمره الرشيد بحوس رثا
اسكن نفسه ، فحس جداً ، ثم بدأ بالكلام بحول الرشيد : « يا أمير
المؤمنين .. احسنه كرمك ، وبها بحث بحول من نظر الله من غير
اعتراض ده في الهوى وأحب أم الهوى ، فضيف ، بمن أمير
المؤمنين . وقصه : » (١) .

فسم لقص ، ثم قال الرشيد : ما أحسن ما اسدعي الاحبير ،
وعر اسدعي لقصه ، وأحذر به ان يكون محس . انه والله يا أمير
المؤمنين ، قدم مر محس في اسدده ، على زاده من احيرة ، وأرجو
ان يكون معاً .

قال الرشيد : أرجو ذلك : ثم قال الأصمعي : أدس .. أشعر أم
راوة : قال : روه يا أمير المؤمنين . قال : ليس : قال : لذي جد
وهزن معاً : يكون محس . قال : ما رأيت ادعى للعلم ، ولا اخبر

(١) اراد الأصمعي كلمة ومعناه : تورية من الاتصال وبين وجود لورير الفصل وهي العانة
حبة عحت - لا شك - فصل من بحى لرمكى .

محماسن بيان ففقه الأذهان منك . ولئن صدرت حمداً أترك لتعرفن العسل
موحهاً اليك سريعاً ..

سأله الرشيد عن ارجوزة للشاعر « رؤية بن العجاج » يمدح فيها احد
حلفاء بني امة ، وتشدده الأصمعي اولها حتى اذا وصل إلى مدح بني امة انتقل
حالا إلى ارجوزة للشاعر نفسه في مدح جد الرشيد « أبي جعفر منصور »
فسر الرشيد الى هذه الالتفاتة البارعة .

ثم سأله عن قصيدة للشاعر « عدي بن الرزاع » في مدح « المنيد
ابن يزيد الأموي » والتي مطلعها :

عرف البيار توها فاعتادها

فراح الأصمعي بحري في اشادها . فكان الرشيد يمدحه عند كل سب
مها ويقول له : ماذا قد ألمد عندما سمع هذا البيت ؟ فيجيبه الأصمعي .
وكانه كان حاضراً في ذلك المجلس ، فعجب الرشيد لحنونه وصحة
روايته . ويذكره أحياناً في قوله - وكان الرشيد قد درس احده هذه
القصيدة - ثم يسأله عما قال الشعراء الحاصرون في ذلك المجلس حين
اشادها ، فيجيبه الأصمعي بما كان قد جرى . فيقول : احسنت .

ثم انتقل الحبيبة الى شاعر آخر كان يحفظ أكثر شعره وهو « ذو
الرمة » وقال له : هل رويت للشاعر ذي الرمة شيئاً ؟ قال الأصمعي .
الأكثر : امير المؤمنين .. قال الرشيد . والله لا امثلك سؤال امير .
ولا كان هذا عيباً ، ولكني اجعله سبباً للمذاكرة ، فإن وقع عن غرضك ،
وإلا فلا صيق عيبك ذلك عدي . ثم سأله معنى بيت عريب لهذا
الشاعر ، فطلق الأصمعي في مسيره ، وثق بالشواهد والأدلة واحجج .
وما زال كذلك حتى قال له الرشيد : اصمت .

ثم تحول بعد ذلك الى ذكر الشعر « اشبح من مررد » ومثله عن قصيدة من قصائد فاضلها الأصمعي له .

وهكذا ظل رشيد يثني والأصمعي يخيّب . والفصل من يحيى بصعي ، وعنى أحداً على أقوال هؤلاء الشعراء مداعمة الرشيد . عتراضت حقيقة تشير الى مدونة العرب وسداحهم ، فيرد عليه الرشيد مداعمة عن المكر العربي ومعرضة لثبوتها الحارسية .

ودام الخمس طويلاً حتى قال الرشيد للأصمعي : « أمست ، وسعير رب دلائل .. فند وفت . فامعت مشد . وحدثت محسناً في أدبك ، معتر عن سرار حديثك » . ثم يهين ، ويدر حده . فمستكوا منه حتى زال عن عرسه ، وول : يا سلام ، على مديح حده . وجد ، صريح ، فقال : « يا رشيد الأصمعي سعيك ثلاثين ألف درهم في يده هذه . فقال لشمس : يا رشيد : لا أنه محسناً من المؤمنين ، ولا أمر به أحد مثله بدعوت به قتل ما أمر به أمير المؤمنين . ثم أمر به بسعة وعشرين ألف درهم . . فخرج صريح وفي يده مبلغ من الف . ثم حده هذه قبل ذلك (١) . كانت هذه الحصة شبه منحوت صعب حرج الأصمعي منه ، حده حدة وغوف . وهي في الحقيقة مداعمة تاريخية . فبسه له ، بهرت بحري حبه . وفتحت فمه بأوسعاً وهو شبه حده معدلة طرفه ومبصته نحو الشيرة ونجد والعي .

وبعد أيام قبله من أجمع ثوب عذبة والأصمعي حده رشيد في محسن عده بهراً ، وحدثت بعض الأحداث : أن قال لأبي عذبة : يا معمر ، يعني عن عذبة كذا ، حسناً في صفة اصيل ، قال : نعم : قال الأصمعي : ان

(١) بعد مررد : ج ٣ ص ١٢٨ .

يسمح أمير المؤمنين أن يحصر فرساً فيقوم كل واحد ما ويضع يده على
أعضائه واحداً واحداً ويسميه ويشد ما قيل فيه .. فامر الرشيد بالحصر
فرس وحضر : قتل الأحمي لأبي عبيدة : ثم قسم .. أحمي : قتل
أبو عبيدة : أ. ست يضرب ، واتا هي عة أخذتها عن العرب . فقام
الأحمي ، وصار يضع يده على كل عضو منه ، ويقول اسمه ، ويشد ما
قلت الشعراء فيه ، حتى آتاه . فذل الرشيد لأبي عبيدة : ما يقول وفي
قال « ق » : قد أتت في مصر وأخذت في مصر . وامي أحمي فيه
شيء ، يسميه ، وامي أحمي لا يرى من أين جاء به (١) .. وفي
رواية : أن الرشيد قال للأحمي حين استقى من دمه : « حد الفرس
بث » (٢) .

وقبل أن يعود امرئ عسده إلى البصرة ، دعاه الفضل بن الربيع إلى
محبه وأكرمه من ماله الخاص : ثم استحصل له من عبد الخليفة منحة
كبيرة ترصيه وتخفف عنه وقع بث الدجة على نفسه . فعاد إلى البصرة ،
ووفي الأحمي في بغداد أكون بجانب أمير المؤمنين (٣) .

في مجالس الرشيد

كان الرشيد من أشد الخلفاء عداً شطيم مجالسه والحفاظة على نظمها
وآدابها ، رغم كثرة وموعها واحلاف القواعد في نقده .. أهم
وأحطرها « مجلس الأسرة » الذي يطر في شؤون السيمة العيب المعصية

(١) تركة الأبناء : ١٤٥ .

(٢) ابن حنبلان ج ٢ ص ٣٤٧ - رأيا هذه الرواية في عدة مصادر ، وقد رجع لها
أن هذا الحادث جرى في مجلس الفضل بن الربيع لا في مجلس الرشيد .

(٣) ابن خلكان : ج ٤ ص ٣٢٧ .

بأمر العرش والبيعة بولاية العهد وما شابه ذلك : وهو مجلس استشاري لا يحضره غير الشخصيات الكبيرة من أسرة بني العباس ، ولا يعقد إلا في المناسبات الخطيرة القليلة الوقوع .

وهذا « مجلس النظر » في شؤون الدولة العامة ، وهي كثيرة تعقد باستمرار للنظر في أمر من أمور سياسة الدولة ، كإرسال الجيوش للحملات والفتوح ، أو لاختار ثورة في ناحية من نواحي المملكة ، أو في تعديل إداري وتقليل بين الولاة والعزل ، أو تعيين شخص جدد في مناصب خطيرة ، إلى آخر ذلك . ولا يحضر هذه مجلس غير وزير النفوس - وكون عدة من البرامكة - ومن طب حرمهم من ذوي الاختصاص في الأمر الذي عقد المجلس من أجله ، للمشورة وأخذ رأي .

ثم المجلس الخاصة ويدعى « مجلس ارشاد » التي تعقد له في أوقات فراغه ، وهي على أنواع : منها ما يكون حلاً للنقود والعلم ، ومنها ما يكون للأدب والشعر : وعصها كون حلاً بولاية ورحل الإدارة وفوائد الخوص . وهي أشبه بمجلس ثقافي علمية لا تنبع من ثمرات بعيد منها الرشيد عنها أو رأياً أو حجة . ومن لها وقت معين يعقد فيه ، ويكتب لجميع له تسبعت بين فترة وأخرى كما سمح وقته بذلك .

وكل طبقه من طبقات هذه المجلس الخاصة من معين ينحلي به عند الحضور . وكون ارشاد رئيس ذلك مجلس انعقد ، والمدير لدولة المباحثات والكلام فيه ، فلا يتحدث أحد من الحاضرين إلا إذن منه ، ولا تخري المنطرات إلا بموافقه وبعد سؤال يتيه هو نفسه على أحد الحاضرين ، أو على جماعة منهم ، أو عليهم جميعاً . ولا يسمح لأحد أن يتجاوز حدود الأدب السنوية ، ومن يخطئ يعاتب أو يعف أو يطرد

من المجلس .

تكلم الأصمعي مرة في أحد هذه المجالس ولم يراع قواعد الآداب فقال له الرشيد - بعد انقضاء المجلس - : « يا عبد الملك ، انت أحفظ منا ، ونحن أعقل منك . لا تعلمنا في الملا ، ولا تسرع الى تذكيرنا في احلا ، واتركنا حتى نتدبك بالسؤال ، فإذا نفت بالحوار قدر استحقاقه فلا تزد . وإياك والدار الى صديقنا وسدة العجب مما يكون منا . وعمدا من العلم ما نوح اليه على عدت الناس وفي اعضاء الخطب وفواصل الخطابات . ودعنا من محاضرة حوشي الكلام وثرائب الأسعر : وإياك وإطالة الحديث الا ان نستدعي ذلك مث . ومتى رأيت صديقين عن الحق فرجع اليه ما استطعت من غير تقرير مسبق ولا اصجر طول التردد . » فقال الأصمعي : يا امير المؤمنين ، اني ان جئت هذا الكلام أخواج مي الى كثير من البر (١) .

ومن محله ايضا ما يسمى « مجلس المصاحبة » او المؤانسة ، وهو مجلس يعقد احيانا في النهار في الساحة التي يحس بها الخليفة مع بعض أو مثل فكري : فيدعوا اليه من بين نخبته وزوج اليه نفسه من أحد الأمراء المقربين أو العلماء الدارين أو الأدباء أو الشعراء أو غيرهم . ويتكون هذا المجلس عادة من شخص واحد أو شخصين أو خمسة نفر . ولا يشترط في هذا المجلس اناس خاص ، ولا يفرض فيه قيود شديدة للمجالسة . وهو أشبه بمجلس « الصبر والسدنة » التي تعقد عادة في انبيل وتكون فيها حرية الكلام والتدبر والشرح واسعة كل السعة . وكان الرشيد قد حصص لهذا النوع من المجلس ست مال خاص سماه « ست مال

(١) الفريري : ٥٩ .

السرور « بقدر اسح والأعطيات الى هؤلاء السهار والتدما انقريين كلا
ارتاحت منه .

ثم بحس انه وواعه ومصحكين والعب بالشرح وغيرها فلها طاع
آخر وحديث يطول شرحه ولا حاجة هنا الى ذكره . . بيد ان الذي
سحق له كرهه ، هو أن الرشيد كان من أسعد الحفدة حصاً في كثرة
من جمع في بلاده من نواح عترة ومنسي بك الحصرة الإسلامية
المجيدة . يقول الحافظ : « اجمع به اصب احد وغزل ، فكان وريره
دهية اسيسة والدي يحمي بن حمد واهل الفضل وحضر الدار لم ير
مشبه به . وسرور : وكان قصه نو يوسف القاضي صاحب الفتاوى
وفقه دمه ومؤلف كتاب (اخراج) ادر في وثقه : وميته عم أبيه
المدني بن محمد سامي ، ومن فواده يراد من مرشد اشقي وهرقة بن
س . ومن حلاله الأصغر عبد الله بن قريش صاحب النوادر والأخبار
وعبد من حدث وحكي : وحجبه الفضل بن ارمع وهو أبيه الناس
وتدبره مدام : ومن أطائه حبريل بن حبشون ، ومن شعرائه
ابو لعبه ومرو بن ابي حنيفة وأبو نواس ، وهم أمراء الشعر في
عترة ، ومن معيه ابراهيم النوصي ومه اسحق : وعصره رز ، وزامره
برصوه ، ومصحكه ومؤنه اس في مريم اسدي « (١) وعبر هؤلاء
آخرون كثيرون وقد حدثت الأخبار عن أسماء عشرات من اعيان والعلماء
والأدباء ورحل السيف وأراي والأدابة .

ولا سعد عن الواقع اذا شهبها بلاط الرشيد هذا سلاط « لويس
ارابع عشر ملك فرن وأكبر عاهل في اورونا بين عامي ١٦٤٣ -

(١) ربيع تعداد : ج ١٤ ص ١١

١٧١٥ م) وان كان الرشيد قد سبقه بألف سنة تقريباً . فقد اجتمع لكل منهما في بلاطه عباقرة العصر وقادة الفكر . فوزير لويس الرابع عشر « مزران » داهية اوربا السياسي والاداري انه يحيى من حله في زمانه في معظم الوحوش : وشعراؤه « راسين ، ولافونتين ، وبوالو » كثري العاهية ، ومروان بن ابي حنيفة ، واني واس في حكمهم وعرفهم واستاجهم : وادباؤه في نقد من الشعر « روشموكو ، ولازوير ، وميشه » اشبه ، بكسائي ، ويحيى بن المبارك اليزيدي ، وعمرو بن كنون الحدي ، وحلسه « مولير » في مسرحياته الفكهة الظريفة قريب الشبه . لأصمعي في روايته وحواديره عن الاعراب .. وقد اطلق الفرنسيون على عصر لويس اسم « عصر الشمس والنور » كما اطلق العرب اسم « العروس » على ايامه من ارشيد لمحاها وبهجتها وورقي العلم والأدب والفن فيها . على ان اسم اصمعي في بلاط ارشيد من العباقرة والقواد كثر في جميع في قصر لويس رغم الفرق في الزمن .

بدأ الأصمعي في أول عهد اسمه سلام ارشيد ينحصر بحسن العلم والأدب مع غيره من زملائه ؛ ثم صار يشترك في اسطرات والحسن حول الموضوعات التي يجيدها . كما سجت امرض . وكان كعادته ، لا يفتش الا فيما يعلم علم ايقين ، ولا يصر على رأيي الا بعد التوفيق من صاحبه ، فكان التوفيق حذقه في اكثر امورف : فانتهت اليه الأطر وصر بحسب له في هذه الاحتمات حسب . ثم بدأ ارشيد ، شيئاً فشيئاً ، يدرك قيمة الأصمعي السبع ، وسفت اليه حين يهدي رأيه . ويصغي لكاه الى سحر اشده في امر . وبعد ما عاش مع الآخرين ، حتى صار يحب كل الأعجاب سبقه ومسبقه وحرارة علمه وحقه وروحه وسرعة بديهته . قبل :

سأل الرشيد يوماً عن كلمة « محرم » في بيت الشاعر « الراعي » :
قتلوا ابن عمان الحبيبة محرمًا ودعا فلم أرَ مثله محدولا
فقال الكسائي : كان محرمًا بالخج : قال الأصمعي : هذا خطأ ؛ فأصر
الكسائي على رأيه ؛ فقال الأصمعي : فقولهم :

قتلوا كسرى بليل محرمًا تركوه لم يمنع بكفن
هل كان كسرى محرمًا بالخج وهو غير مسلم ؟ قال الكسائي : وما
معي (محرمًا) هذا ؟ قل : معناه لم يحل من بعده ما يوجب القتل .
فأفزع الكسائي وول له الرشيد : « ما تطلق في الشعر ، يا أصمعي » : ثم
التفت إلى الحاضرين وقال لهم : « لا تعرضوا له في الشعر » (١) .
وفي مجلس آخر ، قال الرشيد : اشدوا ما قيل في وصف العقاب ؛
فكفت القوم ، ولم يأتوا شيء ، فقال الأصمعي : احسن ما قيل فيها :
بانت يورقها في وكرها سم وباهض يحبس الأقوات من فيها
وقول امرئ القيس :

كأن قلوب الطير رطبًا وبابًا لدى وكرها العتاب والحشف الذي
فقال له الرشيد : « ما فعل (احبار) القوم في شيء إلا وحسدت
عندك فيه شيئاً » (٢) .

وانشد أحدهم أبيتاً حتى وصل إلى :
وذاك هدم عار بواشرها نصمت بأذى بولاً جدعا
فقال له الأصمعي : صحمت ، إنما هو (جدعا) بالذال لا بالذال
ومعناه « سيئ العداء » وأصر أشد على قراءته ، فقال الأصمعي : هو كما

(١) البيراني : ٥٩ - تاريخ بغداد : ج ١٠ ص ٤١٦ .

(٢) ديوان المعاني : ج ٢ ص ١٤٢ .

قلت لك ولو سمعت بألف شبور . ثم احتكما فكان الصواب فيما قال
الأصمعي . فقال له الرشيد : « انت شيطان الشعر » (١)
واشد الكسائي في حصرة الرشيد اياتاً لشعر « افنوس النغلي »
حتى وصل الى قوله :

ام كيف يمنع ما يعطى العنوق به ربحان ام اذا ما صن باللس ؟؟
قرأها (ربحان) بفتح الون فقال الأصمعي هي بضم الون ؛ وتحدلا
في ذلك ، فحكم من كان في الخمس بصفة قول الأصمعي (٢) .
ودر الحديث مرة حول معنى ست غرب وحلف الجلسون في
تفسيره ، وجاء دور الأصمعي في الكلام فصره بغير م فصره الآخرون
وأتى بمعنى حدد في تفسير كلمة . وأوضح ذلك بترادوت أمطه ، وروى
الأشعار التي جاءت فيها تلك الأمط حتى أتم المطوب . ثم يحف الرشيد
اعجابه بعلومه وقال له : « ان العريب عندك ايس بعريب » قل الأصمعي :
الا اكون كذلك يا امير المؤمنين ، وقد حفظت للحجر سبعين اسماً ؟؟ (٣)
وبقول الأصمعي : كما عند الرشيد ، ونخصره ابو يوسف القاسي :
وكان الحديث عن صلة اللغة بالاجتهاد الفقهي ، فسألت ابو يوسف عن
الفرق بين « عقلت القليل » و « عقلت عنه » فصره بغير م فصره الآخرون
(عقلت القليل) اذا ادبت ديتة ، و (عقلت عنه) اذا أزمته دية
فأدبتها عنه .. فاستحسن ذلك (٤) .

ما كان الأصمعي محبوباً بين ملأه رحى العلم والأدب قبل ان يحصر محاسن

(١) الزهر : ج ٢ ص ٢٢٨ .

(٢) كتاب المجالسي : ٧٢ .

(٣) الزهر : ج ١ ص ١٨٩ - لصاعبي : ٢٥٧ .

(٤) نزهة الأبناء : ١٦٥ .

الرشيد معهم . ولكنهم ما كانوا يعرفون فيه تلك الكفاءة والناقة
التي بدت منه أخيراً بينهم ، وقد استعان هو بكل ما لديه من
هبات طبعية خلقت انظارهم اليه فلم يمتص طويلاً وقت
عليه حتى برزت شخصيته بينهم ، فأحبوه وفروا به ، وأكرموا في حضوره ،
وتمدوا في عيابه ، ورتبوا احاجوه ورسوا اليه من بدعوه ، أو سئواله
بمشكلة اسعصت عنهم ليجيب فيها . . قيل إن الرشيد سأل يوماً عن
صدر البيت ابي عجزه :

« ومن سأل الصعلوك أين مذاهبه ؟ »

فلم يحب أحد من حاضري مجلسه : فقال : أين الأصمعي ؟ قالوا :
مرص في سبه ، قال : احملوا اليه ألف دينار لتفقه وسد حاجته واكنسوا
بهذا اليه . فحمل الرسول اهل والسؤال ، وأتى دار الأصمعي بها ، فرد
الجواب على الرقة بقول : اشد ، حلف الأحرار لأبي الشاش الأعراي :
ودوية يبيء يحشى بها ابدى سرت نبي الشمس فيها ركانه
ليدرك ثراً أو لكسب معاً جزيلاً وهذا الدهر جم عجائبه
وسئلة أين ارحيل وسائل ومن سأل الصعلوك أين مذاهبه ؟
وروى القصيدة كلها (١) .

وارداد اعجاب الرشيد به على مدى الأيام ، حتى صار يعتب عليه اذا
تعب عن محسه وقتاً ما ، ويشير اليه بالجلوس اذا نهض القوم وانفصوا ،
ليجلوسه وتحدث معه : وسأخبره اذا رز ، ولا يعصب عليه . . يقول :
دحيت على ارشد ومحسه حافل - وكنت قد عت عنه زمناً فقال : ما اغفلت
عما يا أصمعي وأحملك لحصر ما !! فت : والله : أمير المؤمنين ، ما

(١) لمرمر : ج ١ ص ١٠١ .

« لاقتني » بلاد بعدك حتى أتيتك : فأمري بالخوس ، وسكنت عني .
فلما خلا المجلس نهضت ، وشار الي بالبقاء حتى لم يبق عيري ، ثم قال :
يا أباسعيد ، ما معنى قولك « لاقتني » ؟ قلت : امسكتني ، وانسدت :
كفالك كف ما تبيع درهماً جوداً وأخرى تعني بـ ...

قال : « هذا حسن ، وهكذا فكن ؛ وقرنا في الملا وعلمنا في الخلا ؛
فانه يفتح بالسطر ان لا يكون ... » فاما ان أسكت فيعلم الدس ابي
لم افهم اذا لم أحب ، وأما ان ... حيث عبر الخواب فيعلم من حولي أي
لم افهم ما قلت » (١) .

ولكن هذه المسكاة في اللاط الرشيد ، وبك الخطوة عنده ، لم توصيا
الأصمعي كل الرضا ، فقد كانت نفسه تحس شيء من وطأة القود
المفروضة على الحصرين في آداب هذه المجالس العممية ، والفيد سواعد
الكلام فيها ، والتحفظ من الوقوع في الخطأ أمام ههنا الخليفة الأسبق
بالعاطة ، السريع الانتفاة الى هموات محدثيه ، ولكل لسان هموة اذا
طال حديثه ... سأل مرة عن مسألة يعرفها فقال ساهياً : « على الحسير
سقطت ، يا أمير المؤمنين » فنجاه فوراً : « استطكت الله على رأسك »
فنجعل الأصمعي من غلطته (٢) .

نم ان الأصمعي - كما رأينا - اشتهر بالطائر المرد ، قلما يعني حياً
في قفصه كما يفرد طليقاً في ارجاء روضه ؛ فلم يستطع في مجالس الرشيد هذه
المقيدة ان يطلق على سجيته ، وتنقل كما تشتهي نفسه من لون الى لون
في الأدب ؛ حتى فتحت له ابواب مجالس الصحة والسمر والمؤاماة ، حيث

(١) تاريخ بغداد : ج ١٤ ص ٩ .

(٢) محاسرات الأدباء : ج ١ ص ١١٧ .

سمع الحرية ونعدم الكائف وترفع القيود وعذق النسخ والهدت من
 بيت مال السرور : « فقل على ديا الرشيد مرج النسر مرتاح الفكر ،
 تائق تمواهبه ، ويملاً احواء قصر الخلد سواده وروايه ومدحه واشاده
 الشعر الحيل ، وكل ما كان يدحرجه لعنه وسجل به على العير ، حتى تمكن
 من قلب الرشيد وبال اعجابه الى حد قوله له : « لا حس لديا لا يكون
 فيها مثلك ، يا أصمعي » (١) .

قيل انه كان عتي في إقامه سواده في محالس الرشيد هذه ، ويتألق
 بحمال صوته وحسن القائه فهو اليه الأسماع . وقد سب اذرة منها الى
 قبيلة معينة تكلم بلهجتها كأنه واحد منها او اعتراني من بينها : واذا
 عراها الى اعتراني محمول ، أسسها ثوب السداوة ، وأصغى عليها خشونة
 الصحراء ، أفضه وعذره ووصفه للأسيه ، واذا رواها عن عص اهل
 الحضر كساها ثوباً من أول احضرة وترق المدينة ، واسعمل اصطلاحات
 ذلك البلد الذي يروني الحكاية على لسان اهلها . واذا أشد شعراً احتار
 اساسه له ، ثم يتقبه فكأنه بعينه بدئت الصوت السحر . وهو من أمهر
 لسان في حلق المناسبات ما يريد ان يقول او يسد ، ومن أروعهم في
 تغيير شجون الحديث الى ما يريد عرضه على سامعيه من رأي او فكر ..
 فمن عه الخاطى . « .. الأصمعي أعذب من أحدث وحكى » ورامله
 اسحاق النوصلي في بلاط الرشيد اعواماً فقال : « عذائب الدنيا معروفة ،
 منها الأصمعي » (٢) .

وكاد ينخرم الحدث اسدق في ميرة كل من هرون الرشيد والأصمعي

(١) ديوان المعاني : ج ١ ص ٣٠٤ .

(٢) الزهر : ج ٢ ص ١٢٧ .

بأنها شخصان خلق كل منهما لاتمام سعاده صاحبه اروحية . والأصمعي العمي
علمه وأدبه تطمح روحه كل الظموح الى نوع الشهرة والحمد والتخلص من
الحاجة والفقر والوصول الى الثراء والعلى . وقد وجد في شخص الرشيد ومحاله
وسخاء بذه صلاته .. والرشيد صاحب الحمد والسلطان والمثل ، يتعشق الشعر
يعلمه ، ويضطرب للبادرة وبغدرها حق قدرها ، ويستمتع بالملحة ويصحبك
بأب روح فنية وذكاء متيقظ وقد : وقد وجد في الأصمعي حبساً نادر المثل
في تقواه ونظامه لسانه ، وغرارة علمه وأدبه ، ووفرة روايته وتصلبه في
الشعر والموارد والأحاديث : وصطفه وأحبه ، وقرنه منه وعمره بخوده وعطائه ؛
سمح له بتعلمه متى أراد وفي أي وقت شاء : ولم يمل أحداً من رملانه
لغناء بمثل هذا غير أساده ومؤدبه مد الصعر « على من حمرة الكسائي » .
وإن أس بالاصمعي أكثر منه .

ولم يخذ الأصمعي هذا اللطف والأحسن من قبل الرشيد ، فأحبه
كل قلبه ، واحلص الصحة والوفاء حقاً ، ولم يحجم عن رياره ومسامحه وبدل
لديه اسمه من رأي وعلم وأدب . وقد رأسه مدح الله أحياناً في وقت
ملمه ، وأثناء مرضه ، وساعة حربه وتمكيره . وينحس له الحوارى اللاني
يد تسرهن أو شراهن للخدمة . ثم رأيه بطبع عبي بعض اسراره
باصية ، ويقتي به وبين أقرب الناس اليه : ويقوم معه اذا أقام ، ويرحل
أرحل ، ويحج اذا حج ، ولا يفارقه ولا يبعد عنه الا في فترات متقطعة
تضييها الضرورات والظروف الملزمة .. كل ذلك مع الاحتياط بأداب المحاسة ،
والاحترام لمقام الخلافة .

والأصمعي روايات كثيرة لا تحصى ، حدثنا فيها عن صلاته بالرشيد في
سنة بغداد والرقعة ، وفي أسفاره الى حوانب دولته ، عدا الغزوات والحروب ،

ون الأصمعي لم يكن من رجالها .. وفيما يأتي بعض تلك الروايات التي
 لا تخلو من أيد رأب هذا ووصف للصلة التي ارتبطت بين الرجلين :
 قال : دحلت على الرشيد مرة وهو يأكل الفالودج ، فقال : ايه يا
 أصمعي ، ماذا قل الأعراب في هذا ؟ قلت : يا أمير المؤمنين وأين للأعراب
 مثل هذا ؟؟ وكان أصيب طعنه من وصفه « مزرد بن ضرار » :
 وما مصت أمي تزور عيها هجمت على العكم الذي كان تمنع
 حلطت صاعبي حطه صاع ثرة الى صاع سمن فوقها يترسع
 وذلت أمان الأثافي كنها رؤوس رجال قطعت لا تجمع
 وقلت لظني اشري اليوم اسه حتى آس مما تحف وتفرع
 ور كست مصموراً بهذا دواؤه وأن كست غرناً فذا يوم تشع
 فصحت ودفع الصحن الي وقال : كل يا أصمعي ، هذا يوم نشع (١) .
 ودحلت عيه ومأ ، وهو محموم ، قال : اشدني شعراً مليحاً .
 فقت . أرسباً فحلاً يردد أمير المؤمنين ، أم شجياً سهلاً ؟؟ قال : غرلاً
 بين السهل والفحل . فأنشدته للعديل بن العرخ المجلي :

صحا عن طلاب اسبر فل مشبه وراجع شمس الطرف فهو خميص
 كاثي لم ارج الصا و بروقي من الحى احوى امقتين غصيص
 دعاني له يوماً هوى وجاهه فؤاد اذا لقي المراض مريض
 مستنسات بالحديث كنه بهل عر رقهين وميض

فقال لي : أعدها ، فما رلت أعيدها عليه حتى حفظها .
 واستأذنت بالدخول عنده مرة ، فوجدته يقرأ ورقة وسكي . فلما رأته

(١) المقدم الفريد: ج ٣ ص ٣٨٥ .

(٢) الأغاني: ج ٢٠ ص ١٩ .

قال : اجلس ، فجلست ، فقال : أرئني اكي ؟ قلت : نعم ، قل :
اما والله لو كان لأمر الدنيا ما رأيت هذا : ثم رمى الي القرطاس وقال :
اقرأ ، فاذا فيه شعر لأبي العتاهية يقول :

هل انت مصير بمن حديث منه نداه مصى دسا كره ؟
وتمن ادل الموت مصرعه فبرأت منه عشائه ؟
اين النبك وأن غيرهم صاروا مصير ت صائره
هل ما بدا لك ان حال من اديت موت آخره

ثم قال : يا اصمعي ، كذني والله أحطت بدت دون الدس - وكان ارشيد
غزير الدمع شد مؤعظة (١) .

وفي ذات يوم ، أمطرت السماء بعد احساس ، فسش الساس ،
وكنت اسامر الرشيد وحدي . فقال : اعطك شيء تماسة بول امطر بعد
احبابه ؟ قلت عدي ما افوله ، وأحشني ان يسمعه جعفر بن يحيى ؛
قال : ما هو ؟ قلت : حدثني اعرابي قال : اصاب سة بحدة ، وعندما
رحل عي وله كلب ؛ فجعل الكلب حوي حوعاً ، فشد صاحبه يقول :
تشكى الي الكلب شدة حوعه وي مثل ما ، سكل او لي اكثر
فقلت لعن الله ناتي بعينه وبصحي كلالا فعداً يامر
كأني امير المؤمنين من المعى وأنت من المعى كذت جعفر
فأعرق في الصحك وقال : قانه الله من اعرابي (٢) .

ودخلت الى محله اما ومحمد بن علي المعروف رثي حفص الشطرنجي ،
فلم يحده ، وجلسا ينتظره حتى خرج عيب وهو كالمعير النفس ، فحس

(١) السعدي : ج ٦ ص ٣٥٩ .

(٢) المقد الفريد : ج ٢ ص ٣٠٤ .

وقال : ايكي قل يت وأصناف المعنى امي في نفسي فيه مني عشرة آلاف
درهم : قتل ابو حفص :

مجلس يلف السرور اليه لمحب ربحه ذكراك
كل دارت الوجاحة رادته حبياً ولوعته فملاك
قل : احسنت ، قتلت :

لم ينك امي دن تحصري وتفت امي عن سواك
قل : احسنت ، ثم قل هو :

فمست ان عشيت الله معاً على نبي ترك
قنا : . امير المؤمنين انت انعم ما فحوثره بك ، فصحت وقت : لا ،
انا حوثر كما لكما (١) .

واحتف ارشيد يوماً مع عسي من حفر العسي في اي اوط
اطب ، فتن الرشيد : هو رطب (القرب) وقل عسي : هو (السكري) ،
وقررا لاحكام الى ، وأرسلا رسولهم شدي ، فصحت : ولكي قل ان
ادخل عسي من الرسول عن سب دعوى فحدي ، لأمر ، فدخلت ،
فصحت علي اسئلة وطب الحواب قتلت : ان (القرب) أخود من السكري ،
وقد ك في البصرة صدياً بعد دوى فبحس نوى القرب ، دنير ونوى
السكري دراغر فمطوي نواه من القربا واحد عشرين من سائر النوى ،
فصحت الرشيد هذا الحكم العمل بالأداة (٢) .

وبعث اب الرشيد من ارقه وأنا في بغداد ، فوجهت اليه دأمر من

(١) تاريخ بغداد : ج ١٤ ص ٩ - كان ابو حفص لاعب شطرنج ماهر وهو مولى المهدي بن

مصور . وقل : اسمه عمر بن عبد العزيز .

(٢) محاصرات الأدب : ج ١ ص ٣٨٣ .

اسه الأمين ، فمد دحت عليه ، قل : قد اشقت اليك ، وعدي
 حاربان اهدا الي ، فريدك ان تمتحني : فمتحني وفصت احدهما على
 الأخرى : ثم حدثه مويلاً وسببه ونقبت حبه وست منه غطاء حزلاً (١) .
 ودخلت عليه يوماً ، وكنت قد انقضت عنه نصرته حولاً كاملاً ،
 فسلمت عليه بالخلافة ، فأومأ الي بالجلوس قرباً منه ، فجلست قبلاً ثم
 نهضت ، فأومأ الي ان أحسن ، فجلست حتى حفر اسن : ثم قل : يا
 أصمعي ، الا تحب ان ترى ونبي محمد وعبد الله ؟ قلت بلى : يا امير المؤمنين :
 فدعا بهم ، فقبلا صبيين صغيرين ، وهما يومئذ نيب عهد له ، فسلم علي
 أبيهما بالخلافة وحلب ، وفربي عطرحتها الأدب فصحت : قل : كيف
 ترى أديب ؟ قلت : يا امير المؤمنين ، ما رأيت مثلهما لكانهم : فصمعي الي
 صدره ، وامرهما بامهات : ثم التفت الي وفي عليه عزة ووقار : يا أصمعي ،
 كيف بهما اذا طهر عاديها ، وبدأ بسننها ، ووقع شهب بهما حتى
 تسفك الدماء ، ويود كثير من الأحياء انهم كانوا موتى ؟ فصكت ولم
 أجب وعلمت ما في نفسه من هواحسن نحوها (٢)

وأخرى ارشيد اخيل يوماً في ارفة ، فمد عدت صدر الي مجلسه في
 صدر الميدان حيث توافي اليه اخيل ، ووقف على أريكته حتى طمعت ،
 فادا في أوائها سواق من أفراسه ، فقدمها فرسان في عان واحد لا يمد
 احدهما صاحبه : فتأملها فقال : فرسي والله : ثم تبين الآخر . فقل :
 وفرس المؤمن . وجاء الفرسان يمشكان أمام اخيل ، وجاء فرسه السابق ،
 وفرس المؤمن ثابته ، فسر الرشيد بذلك سروراً عظيماً . ثم جاءت اخيل

(١) برهه الأله : ١٦٣ .

(٢) - لنديري : ج ١ ص ٦٤ يقول الخليفة المؤمن بعد موت ابيه ومقل احبه الأمين :

ان ابني كان قد قال ذلك للأصمعي لأنه سمع من عيسى بن جعفر اخي ربيعة : ان كان
 سكره بعضنا انا والأمين .

بعدهما : فطلعت الأذن بالوصول إليه ، فدن لي ، وقال : ما عندك يا
أصمعي ؟؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، كنت أنت وابنك اليوم في فرسيكما
كما قالت احساء :

جري ايه وفلا سقا سقارب غارب الحصر
وهما كنهها وقد رزا صقران قد حطا على وكر
رزت صحيفة حد وانه ومضى على غوائه يحري
أولى فولى أنت يقاره لولا جلال الس والقدر
فرداد سرورا على سروره ذاك (١) .

وقال ارشد يوما لروحه ريذة وهو سدهب : « يا أم نهر »
وكنت كسب « أم حمر » ، فاستعرت من هذا الداء وظنت انه قصد
بذلك شئ لم نسمه ، فرسيت الي تسألني عن ذلك ، فقلت لرسولها : قل
لها ان معنى « حمر » في اللغة هو النهر الصغير وان أمير المؤمنين اراد
ذلك عن طريق المداعبة ؛ فذهب الرسول واخبرها بما قلت ، فأرسلت الي
هديه ثمنه (٢) .

وتحدث ارشد يوما في اخبار بني امية ، فذكرت له ان « سليمان
ابن عبد الملك » كان شرها اكلوا بها ، يحس ويحصر بين يديه
الخراف المشوة ، وهي كما اخرجت من سبورها ، فيرد احذ كلاها فتسمه
الحرارة ، فيجعل يديه على طرف حلسه ، ويدحبا في حوف الخروف
فيأخذ ما يريد . فقال الرشيد : قاتلك الله ، ما اعلمك بأخبارهم ؟؟
اذكر انه عرست علي ذخائر بني امية ، فظرت الى ثياب يمنية مذهبة ،

(١) مروج الذهب : ج ٦ ص ٣٤٨ .

(٢) كتاب المعارف : ٣٢٨ .

وأكلها ودكة بالدهن ، فلم ادرك ذلك حتى حدثتني بالحديث ؛ ثم قال :
عليّ ثياب سمين ، فأتي بها ، فصر ، الى تلك الآر مظهره . فكسني
منها حلة مذهبة (١) .

الفوائد الثلاث

ودامت صلة الأصمعي بدار الخلاف خمس عشرة سنة . بدأها حين
اسبب الأمن والاستقرار في دولة الرشيد عام ١٧٣ هـ ، وأنها على اثر
حدث مكة المكرمة في اواخر عام ١٨٨ هـ .. وهي أحسن فترة في تاريخ
خلافة الرشيد ، وأهم حقبة مرت في أيام دولة بني العباس على الإطلاق.
والي سموه « العروس » سمح به وفق نور احصارة فيه . عاش
الأصمعي خلالها كمنه ما يكون العاش ، وسعد به كمنه ما يكون
السعد . في بغداد على شاطئ دجلة حين يكون الرشيد في بغداد ، وفي
أرفة على صدف الفرات حين يصيب احبته فيها ، وأحياناً على احبته
مواكب السفر في حراسن ، وفي البوادي العربية والمدن الحجازية التي
كان يزورها ، الرشيد للرحح في كل عامين مرة .. ولم يقطع هذه الصلة إلا
بعد ان اود الأصمعي منها فوائد ثلاث « علميه ومدة واحتماة » .

يقول « احمد بن يحيى » المعروف بـ « ثعلب » الذي كان معاصره (٢) :
« قدم الأصمعي بغداد ، وأقام فيها مدة ، ثم خرج منها يوم حرج وهو
أعم منه حيث قدم بصعاف مصعفة » (٣) . ذلك لأنه اتصل بنصل

(١) ابن حنبل : ج ١ ص ٤١١ .

(٢) بولي ثعلب عام ١٩١ هـ - وهو احد علماء الكوفة وصاحب كتاب « بحار ثعلب » .
لنداول في عهد .

(٣) تاريخ بغداد : ج ١٠ ص ٤١٧ .

محافل الرشيد العلمية - سوانع عصره وآيت زمانه ، وكلهم اساتذة احلاء
لا يقل واحد من عن الأصمعي نفسه ثقافة وادراكاً . وما كانت محافل
الرشيد التي اسطمت هؤلاء العاقرة غير اسواق علمية ادبية سامية لا يعرض
فيها الا الحيد النادر من الاتاح الفكري ، ولا يثر على لسانها غير الثمين
من عصارة قرائح الشعراء والأدباء الذين نصبت عقولهم فحاووا قصر الخلافة
يسجعون انباء والمجد .. فكان الأصمعي ينقط بك الدرر الفريدة من
أسنة هؤلاء ليعطيه الجدة يدوي في دونه حل حروجه من حصرة
الرشيد ، ويخترها دون كد او عناء في سبيل البحث عنها وسقيحها او
صحيحها كما فعلنا نحن نأخذ من الأعراب

قول عمرو بن كلثوم العبدي (١) : سني الأصمعي في در الرشيد :
ان الأسب لمكة اصبح وشيها اصبر : : قت « ما شفت بالهجير
مؤه ، ومتر عن هريجه شؤه ، من النيرة القصور ، الدررة الظهور ،
انقصسة الكسور » . قل : ذي نوع من الري اصوب وأكس ؟؟
قت . « البره اسووه اعطة ، الى عن ين سب رة » . فمن معها
المعة عناه اسده وانطه .. في شقها فسق ، ولديج في حرفها حريق ،
واساد في حرطوميب دقيق « فقي الأصمعي بالهنا سطر الى ولا يحير
حواء (٢) .

وفي رواية للأصمعي : انه كل محصرة الرشيد ، فحيه له بعد الملك
ان صالح العباسي مكناً بالحديد ، لسة كانت منه ، فعاتبه طويلاً وحدثه
بما كان يحس به نحوه . وكان يحيى بن خالد حاصراً ، فقال لعبد الملك :

(١) يعني هو احد شعراء والمخطيء القصصاء ، وكان يدوي الرعة ، مرتد على الرشيد
ومدحه ، وله معه حوادث واحار .

(٢) العهد الجديد : ج ٣ ص ١٥٣ .

بلغني منك حقوق ! فقال عند انك . « اصلح الله اوزير ، ان يكن
الحقد هو لقاء الخير والشر عندي ، فابها لتقايان » فتمت الرشيد الى
الأصمعي وقال له : « حررها ، فوالله ما احتج احد للحقد مثل ما احتج
به هذا » (١) .

ولما نكس محسن الرشيد سعفد في قصر اخلد حين يكون في بغداد ،
أو في قصر الخلافة حين يكون في اريقة فحسب ، ونكسها كانت تعتمد له
ايما سار وحيثما حل . وهذا ركب الى الصيد وعسكر في مدنه من السوادى
جاووا له بأعراب ينشدونه الشعر والأرجز وحتى اهداء ، ورتا قصوا له
السوادى والأحبار . وإذا دخل مدنه من امدن وكان فيها بعض القباء أو
القباء ، عقدوا له الحرس ، وأجروا اسمه اسطرات في مسائل شتى . .
قيل : انه دخل المدنه المنورة دت مرة ، وسأل عن فيها من القباء والعدو
فذكروا له عدد منهم وفي مقدسهم الامم « ملك من أس » وسدده
مع بعض العدو ، وضرب منه ان قرأ له كتابه « المود » فردد ، ثم اوعر
الى قصي قصه ابي يوسف ان سخره في مسنة قتيبة فوفس « ملك »
واوعر الى أحد العدو فاضطره بدلا منه . . والأصمعي حاصر سمع .
والذي يجب ان لا نساها هنا بأن الأصمعي لم يعبر شئ من عدد -
السابقة في عهد القاء أواجه من يد حتى خلال هذه الفترة التي قصدها في
صحبة هارون الرشيد ، الا في الساعة التي يكون فيها تحصره . . يقول :
خرجا مع الرشيد الى اريقة فقال لي : هل حمت شئ معك من كس
يا أصمعي ؟ قلت : نعم ، حملت معها ما خف حمه ، قل : كم حمت ؟
قلت : ثمانية عشر صدوقا ، قل : هذا ما حنفت ، فوتمت كم كس

(١) مروج الذهب : ج ٤ ص ٣٠٣ .

تعمل ؟ قلت : اصعبها يا أمير المؤمنين ، فجعل يعجب من علي (١) .
 وشيء آخر يندر بالذكر ، هو ان الأصمعي لم يقطع صلته بالبصرة أثناء
 اتصافه بدار الخلافة ، ولكنه كل يوم الغرض السانحة كغزو الرشيد لبلاد الروم
 او لغزو عن الحيرة في سبيل سمر عبيد تعلق امره بشؤون الدولة ،
 وبعود هو ان البصرة ، وندر اموره وشؤونه الحيرة : ويتصل بحج المسجد
 الجامع ويعد على صحبه فيه وعلى خلافه ، وربما عقد معهم المجالس او
 أتى مدله من محضرات حرسه : ثم توجه الى امره ويتصل بأهله
 الذين كان يقيمهم ، ويسألهم عما حدث بينهم من الفوائد : وادا وحده
 الوقت كما ركب دقه وتوس في الوادي الى القنابل الي ألف ريارتها
 في مضي ودر في البوت التي عسر عليها زمناً ، ويجمع منهم الفوائد
 المعوية ولأدبه الخدمة : ثم يعود مسرعاً بعد ذلك الى البصرة ليشد
 راحته مدياً ان عدد حبه يكون الحيرة قد آت من سمره بعد غيبة
 طالت او قصرت ، حسب الظروف .

كان يعمل دمت عن رغبة وشوق الى الاستمرار في الحسب العلمي
 جده ولأدنى امره يصيبه ان يرويه الي بين يده ، ويقدم انما
 وطرفه على اساطير الحسب الفكرية في قصر الخلافة ، وينجمل بها كشيء
 حديد له مداه الروحانية وثمة الأدبي .

وما كانت سنوات اللقاء مع الرشيد في مجالس سمره او سمره محدودة
 خلال الأسبوع الواحد : كان الأصمعي يصرف في باقي اوقاته الى حضور
 محاسن بعض الامراء ووجوه الدولة في بغداد حيث يجتمع العلماء والأدباء
 والمفكرين ، فتحري البحوث ومناظرات في المسائل العلمية ، فكان اكثر

(١) الأعيان: ج ٥ ص ٦٨ .

ما يحضر من تلك الاندية مجلس صديقه الباهلي « سعيد بن سلم » اسي
كان يقيم اكثر اشهر السنة في بغداد . كما انه كان يتردد أحياناً الى بعض
المساجد هناك ، فسمع المحاضرات في حلقات اكابر الشيوخ ، أو يلقي هو
على الدس دروساً في فروع اختصاصه ، فينتف حول حقيقته جمع عفير من
العلماء وطلاب العلم^(١) .. وهكذا محله لم يقطع أبداً عن الدرس والتدريس
والأفدة والاستددة حتى قيل . انه خرج من حداد وهو أعلم منه حيث
قدم بأضعاف مضاعفة .

✽

أما العائدة لندبة ، فقد كان الاصمعي ماهراً في استدراك كرم الرشيد
وحووده ، لمعرفه بالسواحي التي يستطيع ادخال السرور منها الى نفسه ، ولبراغته
في اختيار الاماسات السامحة في ذلك . ولكنه لم يكن وحده منفرداً في هذا
الأمر ؛ بل كان عطاء الرشيد هدفاً لكل رجل احبته على الاطلاق ، سواء
أكانوا من ذرائع البرامكة ، ام من امراء البيت العاسي ، من اجل الحيف
والادارة والفسكر .. وكان الرشيد يعبر كل هؤلاء بغير عفاة ، فحسب صحبة
منحه لهم حسب شخصياتهم ومراهم ومهامهم وقرهم منه . وفي مقدمتهم
وررائه البرامكة الذين كانوا في اول أمرهم ينوحوون عطاءه ، ثم شاركوه
بعد ذلك في ملكه من وراء سر . وبقى بعدهم امراء بيت العاسي
الذين كان الرشيد يكرمهم ويكرمهم ويقول : « هم أهي وأغتر بهم » .
ولم يكن الفصل من اربع نفل من هؤلاء نصيباً من العائدة ؛ وإنما
ابو يوسف القصي فكان حظه وافيّاً من هذا النول ، وأومر من باقي رجال
العلم والأدب الذين كانت مدينتهم صغيرة وانكسر مسيرهم حسب الفرص

(١) نزهة الألباء : ٢٢٦ .

والتناسبات .

ولم يزاحم الأصمعي في صيد الدراهم غير اسحاق الموصلي ، وهو وان لم يكن كالأصمعي في مواهبه وظرفه ، ولكنه كان زيادة على علمه وثقافته ينظم الشعر ويخبره ويلحجه أحياناً وبعينه للرشد ، اذ كان - بعد أبيه ابراهيم الموصلي - رئيس مدرسة للعلماء في عهد أبي العباس . وكان الرشيد يأنس بجمع الأصمعي واسحاق في مجلس واحد للسر فقط ، لا للعلم ، لأن الأصمعي لم يحضر مجالس الطرب .

بقول الأصمعي : دخلت ا ، واسحاق الموصلي على الرشيد ، ورأيناه عيسى النفس مهموماً ، فحدثناه وسربنا عنه ، واشده اسحاق من نظمته قصيدة يقول فيها :

وأمره بالحل قب ف اقصري فذلك شيء ما اله سبيل
أرى الناس خلان الكرام ولا أرى تحيلاً له حتى انتهت حليل
ضالي ضال الكثيرين تجملاً ومالي كما قد تعلمين فيل
وكيف احاف القراو اعدم العي ورأي أمير المؤمنين حميل
قال الرشيد : لا تخف ان شاء الله ؛ ثم قال : لله در ابيات نأينا بها ،
ما اشد اصولها وأقل فصولها ؛ وأمر له بخمسين ألف درهم ، فقال له
اسحاق : وصحك والله يا أمير المؤمنين لشعري أحسن منه ، فعلام آحد
الحائزة ؟؟ فصحك الرشيد ، وقال : اجعلوها لهذا القول مئة ألف درهم ..
قال الأصمعي : فعلت - سومت - ان اسحاق احذق مني بصدد الدراهم (١).
وكان بين الأصمعي واسحاق صفة طويلة ، بدأ تاريخها منذ قدوم
الأصمعي الى بغداد ؛ ولكل واحد منهما مع صاحبه سواد وسكات طريقة ،

(١) الأعرابي : ج ٥ ص ٢٨ .

ومراحة خفية في النودد الى ارشيد ولأسحاق كل يوم سأن مع
الأصمعي ، فإذا رضي عنه مدحه واطب في مدحه ودار فيه « عجائب الدنيا
معروفة منها الأصمعي » (١) ، وإذا غصب عليه من ماله وسقه لسانه ،
وهجاء شعره . وكان الأصمعي يبعث له عند رثاء ، وترعى الفرص
ليوقع به وقماً خفياً كسفه ولا شق عليه .. كان - مثلاً - يعطيه حزة
من قصيدة طويلة ولا يعطيه نقيها : او ينشده اسماً رقيقة ولا يعطيه اسم
صاحبها : فيدخل هذا عند الرشيد وينشده ما احدث عن الأصمعي فيطرب
الرشيد ويسأله عن نقيّة الشعر او عن اسم الشاعر فيقول لا ادري ، ويكون
الأصمعي حاضراً ، فيحجب على كل ما سأل الرشيد ، فيخرج اسحق وقد
امتلاً عيظاً عنه .

وكان اسحاق يوماً عصاً على الأصمعي ، فسمع « اب » ا ، ربيعة «
احد الأمراء راره في سبه ، فطلب الأصمعي منه ان يقرضه مالا
ويبعث له بهدية ، ففعل ذلك : فأرسل اسحاق الى اب ربيعة اياتاً
يقول فيها :

أليس من العجائب ان قرذاً	اصيغ ناهياً بسطيل
ويرزعم انه قد كانت يفتي	اما عمرو ويأله الخميل
اذا ما قال : قال ابى ، عجباً	ما نتي به ولما يقول
وما ان كان يدري ما دبير	انوه اذا سألت وما قيل
وجلله « عطاء الملك » عاراً	تزل اراسيت ولا تزول
نصحت اباً ربيعة فيه جهدي	ومع الصبح احياناً ثقيل
قل لأبي ربيعة اذ عصاني	وحد به عن التصد السيل

(١) الزهر : ج ٢ ص ٢٥١ .

قد ضاعت مروءتك فاحتسبها وضاع الفص والسيف الصقيل (١)
وعلم الأصمعي بهذه الأبيات وما فيها من قسوة في المهاد ، فأجابه
بهذه الأبيات الرزية الساحرة ، كعادته في مقابلة الخصوم :

أئن حسنت للشرب الكرام : ألا رد الخليلط جمال الحي فافترقوا
وقيل : أحسنت ، فاستدعاك ذاك الى ما قلت ، ويحك لا يذهب لك الحرق
: قيل : انت احسن الناس كلهم وابن الحسان ، فقد قالوا وما صدقوا
فما هذا تقوم السادات ولا شئى عليك اذا ما ضحك الخسرق (٢)

ومنها كمن من أمر ، فقد كان الأصمعي يشعر بأنه أمام معين لا
يصب من كرم الرشيد وبذله ؛ فكان شغوفاً متلهفاً الى ادخال السرور
على قلبه ليفتح بذه له ، ولم يترك فرصة تغفلت منه دون ان يشتتها
وسد حرجها . وقد وصل به الحال الى ما وصفه لنا هو ، فقال :
« سمعت يسير من الشعر لم احفل بها ؛ فقلت : حفظها على كل حال
حذر من نقائهم في الدوائر ، فحفظتهم . واني عند الرشيد يوماً ، وعنده
عيسى بن جعفر العباسي : فأقبل على « سرور » الخادم وقال له : يا
سرور ، كم في بيت مال السرور ؟؟ قل : ما فيه شيء . فقال عيسى :
هذا بيت احزن ، فاعلم الرشيد لذلك ، وأقبل على عيسى ، وقال له :
والله لمعلمين الأصمعي سلفاً على بيت مال السرور الف دينار . . فاعظم عيسى
واسكر . فقلت في نفسي جاء موضع البين ، فشدتها الرشيد :

ادانئت ان تلقى اخاك معساً وحداه في الماصين كعب وحاتم
فكشفه عما في يديه فانما تكشف أخبار الرجال الدراهم

(١) الأبيات : ج ٥ ص ١٠٨ .

(٢) الأبيات : ج ٥ ص ١٠٧ .

فتجلى عن الرشيد ، وقال لسرور : اعطه على بيت مال السرور الف دينار آخر .. فحدث بالبين التي دسار ، وما كان اليتان عدى بساوين درهمين (١) .

*

نحاسب هذين المثنين - العلمية والأدبية - ائاد الأصمعي من صحبه للخليفة الرشيد « الشهرة والوجاهة » : فكان يرى في محاسنه ست مبراً عالياً يسمع منه صوته الى اقصى اجواء العلم والأدب في روايا املكه ، اذ كانت تنقل اليها أحوار المناطرات العلمية والأدبية والطرف والبنادر التي بطرب لها الرشيد ، عن طريق رجال الحاشية والمعنيين بشؤون الفكر . وكان الأصمعي يحسن اختيار رواياه وآرائه وطرائفه التي سبب انقده ، التي يعلم بأنها تروح وتشر بسرعة بين الناس فسقطها الأس في كل مكان . وكان هذا اقصى ما يسره ويفرحه .

بدلك اصبح الأصمعي عنماً معروفاً في احوه املكة الاسلامية . بعد ان كان ذكره لا يتعدى الدوائر المحدودة في المصرية وحدها . ومن هنا جاءت الوحدة التي كل بصوالها ، معرفه العامة والخاصة ، وصار القسريون بوجه خاص بيطروا اليه باحترام واحلال ككجلس للرشيد بحسب لادبه ، وصدق للامانة اصحاب الخل والعقد في الدوه ، ورميل لأبي يوسف قاضي القصة ، وغيره .. والدس مند القدم عظمون صاحب اللطاس او من كان من احصاه ، فكيف وقد نال صاحبنا هذا المنجد خدارة واستحقاق ؟؟

*

(١) الأصلي : ح ٣ من ١٨٣ .

على ان الأصمعي وصل الى ما وصل اليه بالطرق المستقيمة ؛ ولم
يخرج في محاولاته تلك عن حدود الزبارة وكرمة العلم ، ولم يعرض نفسه الى
ما يشبهها قطعاً في سبيل الحصول على هذه الثمرات التي اقتطفها من بلاط
بني العباس طوال الأعوام الخمسة عشر التي لبثها فيه ؛ اللهم الا ما كان
علب فيه احياناً على امره قوة قاهرة .. وقلما حصل ذلك .

كان حصيد عطاء الرشيد كما عمل غيره من زملائه ، لا بطريق
البراعة ومع الصمير ، بل بعلم والأدب والندرة والملحة ، وهذا امر لا يؤاخذ
عنه احد . ثم انه كان يقلل السج والهدايا من امراء بني العباس والبرامكة
في اول الأمر كما هو متوف عند العلماء والشعراء في ذلك العهد .. وهو
مع ذلك لم يكن في يوم من الأيام عريضة للعث به ، شهادة الرشيد الذي
قل يوماً لأحد حلائه حين اراد العث به : « انه لا يحمل العث » (١) .
وكان - رغم طول صحبه الرشيد - لا يحضر بحس الطرب والفناء ،
سرا على قاعدته رجل ادين من العلم في ذلك الزمن ، وخشية ان يصيبه
شيء من عث تلك المحاسن التي كان يحضرها المنصور وانصحكون الساحرون
الذين كانوا احياناً لا يثقون وودع العلم . وأما صلته بإسحاق الموصلي -
وهو من المعين - وحضورهما معاً نخصرة الرشيد ، فكان لأجل السمر
لأدبي فحسب ، لأن إسحاق هذا كان من علماء زمانه في شتى فروع العلم
والأدب (٢) ؛ ولم يجد في احبار الأصمعي معه انه حضر يوماً مجلس غناء له
مع ارباب العزف والصرير .

(١) الأغاني : ج ١ ص ١٤٣ .

(٢) ابن حنكاه : ج ١ ص ١٨٣ - كان إسحاق الموصلي عباً ديباً وله باع في الفقه أيضاً .
قال عنه الحليفة المؤمنون : « لولا ما سبق لأسحق على ألسنة الناس ، واشتهر بالفناء
لولبته القضاء ، فانه اولي واعف واكثر ديناً وأمانة من هؤلاء القضاة ... »

يبد أن نوع الأصمعي هذه المسألة عند إرشيد ، واسترساله معه بروايته
الطريقة ، وبنواذره الطريقة عن الأعراب ، وملحه الأدبية ، حصل خصومه
وحساده وشائيه ، من رملاته العديدة ، والأدباء الذين ، يصعدون إلى مكائنه ،
يتقولون فيه ويرشقونه بأسمائهم . فرغم بعضهم أنه كان يتعدى حدود الوقار
العلمي إلى مذاهب الطرفاء في محسن السلاطين ، لأصاحت إرشيد والأفادة
من بذله ونائله . ونسبوا إليه حوادث وأعمالا هو في الحقيقة براء منها ،
وتحدثوا عن ساءه بما لم يقل ، ودعوا - مثلاً - أنه روى عن نفسه ،
قال : « دحيت على هرون إرشيد فوجده معصياً في امرئ ، فقتل »
ما أطاك الأصمعي ؟؟ قلت : أحصيت : أمير المؤمنين . قال : فما أكلت
عليها ؟؟ قلت : (سكرانة وخبز حنة) . قال : ربيب نحورها : ثم قال :
أشرب ؟؟ قلت : نعم ، واشتد .

اسقي حتى تروني مملاً ويري محمد بن أبي حرب (١)

هذا وامثاله شيء لا نعتقد صحته عند ، هو عند الأصمعي
من التقوى والصلاح والتمسك بالدين ، وإحسانه عن كل ما يربب الانتم
والخطيئة : فكيف نقول مثل هذا القول بيري . من كنه ، وأبدي لا
يصدر مثله إلا عن الرادفة والدارفين .^{٢٠} وه كان الأصمعي ممن شرب السيد
وان حبه بعض فقهاء العراق ، لأنه كان لا يقبل ، لأحسانه ولقيس في
مثل هذه الأمور . وبمسك ، مخصوص على طريقة صكر المحدثين ،
كما أسما .

وقد وجدته في بعض كتب المؤرخين من نسخة ، أنه كان ما من آل

(١) لعقد العريد : ج ٤ ص ١٧٢ .

البيت العلوي ، في محاسن ارشيد ، ارضاء له وقرباً منه . (١) والحق اننا
 لم نجد في بحث عن سيره ما يدل على صحة هذا الادعاء . وقد عرفناه
 عن الناس عن كثير الناس ، فكيف عن قوم لم صلة نسب بالرسول
 الأعظم ؟ ولكن الذي وجدناه هو انه كان يحمل زعماء العلويين ويحترمهم ،
 غير انه لا يرى رأي الشيعة فيهم ، وربما كان يتظاهر بتقديم بني الناس
 عليهم في الحق والخلافة ، وهو - كما سمع - في عهد كثرت فيه انتفاضات
 العلويين وثوارهم على سبط بني الناس ، وفي خلافة الرشيد نفسه . .
 وليس في مداه مثل هذا الرأي بيل من آل البيت .

وان كان الأمر . فمن لا يرغم بأن الأصمعي كان رعيماً دساً ، ولا معصوماً
 من الخطأ ، راغداً في دينه مصرفاً الى عبادته وتقواه ؛ ولكنه - كما وصفاه -
 رجل دين وآخرة : يحب المال ويحب بطرق مشروعة لا تمس دينه ولا تخرجه
 عن تقواه . وحسب الشهرة والسعد ولكن لا يفصلها على آخره . . ثم
 إن لا شئ من أعماله كدس تجري في بلاط الرشيد ، وفي بعضها شيء
 من الاعراف فيزداد كثرة عن جادة الشرع لا يسلم المشتركون فيها من
 الأثم ؛ سيره - عندنا - الأصمعي كان ممن يحاول جهد طاقته الابتعاد
 عن خطئها . . وقد لا يحج دائماً .

أثره في مصرع البرامكة

لا شئ في - مصرع البرمكة حدث - رجي حطير . وقد دهمت

(١) في رسالة لاني بكر بن حورزمي : ان هارون الرشيد لا يعطي ولا يبدل نوالاً الا لمن
 يشتم آل بني هاشم ، ويصر مدح النواصب مثل مروان بن ابى حفصة والأصمعي . . .
 وليس الأمر في الحقيقة كذلك عند الرشيد ولا عند الأصمعي ، ولكن الأمر لا يتعدى
 حدود تقديم آل الناس على العلويين بالحق في الخلافة . - انظر ضحى الاسلام : ج ٤
 ص ٢٩٢ .

آراء المؤرخين فيه مذاهب شتى ، ولعلت الاهواء والبرعت في تأويله
وتفسيره أيما لعب : خاصة وان الرشيد لم يجر احداً بسبب هذا الحادث
حتى توفي .

والأصمعي عاصر حكم البرامكة هؤلاء من البداية حتى النهاية : وكان
قريباً منهم وصديقاً لهم في بادىء الأمر ، ثم تغير عليهم وحاصمهم .
مع من حاصمهم ، وعمل مع من عمل على ازاحتهم من عتق المصممي
وايصالهم الى تلك الأسرة الدامية . . . فلا بد لنا من الاسرار قليلاً في
وصف تلك الحركة السياسية وذكر عواملها واملاسات التي حدثت بها .
لكي نستطيع فهمها وسوح ، ولنتبين - الدور الذي لعبه الأصمعي .

كان الرشيد - يوم مصادمته بالحلقة - قد أعطى عيسى بن حسان
البرمكي حاكم الوراقه ، وقال له كلمه المشهورة : « يا ابي : انت احسن
هذا المجلس ببركة رأيك وحسن تدبيرك ، وقد فلتت أمر اربعة .
واخرجته من عتقي اليك . وحكم بما ترى ، واستمع من شئت ، واعبر
من رأيت ، واسط من رأيت فربي ، سر ، صر معك في شيء (١) .

فبعد يحيى بيده بك السفنة المثلثة ، وحسوف في شؤون مدونه
قدر ما أوتي من حرم وتدريبه واستأثر أحد فيما يصعب سر « حيران »
أم الرشيد ، التي كان يخلو به ان يدخل في الشؤون العامة . والتي كانت ش
بيحيى ثقة تامة ، وقد سادته ، في اخص التقريب على الحسن بن هرون
الرشيد الى كرسي الخلافة ليكون هو - يره انطق في تصرفات المداد .
فكان أول شيء فعله في ادراته ، ابعاد اوثق الرجال الذين اعانوا
الخلافة السابق « موسى اصدي » في حصونه ضد أخيه الرشيد ، ونحوها

(١) الصوري : ج ٣ من ١-٣ .

اتراع ولاية العهد مه : ومن يسهم الفضل بن الربيع صاحب الهادي
ووريره ، وسعيد بن سلم اساهي أحد أركان حاشيته ، وعلي بن عيسى بن
ماهان أحد رجال دولته ، وغيرهم . . ثم توفيت اخيرا عام ١٧٣ هـ
ساعد يحيى الأيمن في شؤون القصر ، فحلت محلها « ربيعة بنت جعفر »
زوجة الرشيد ؛ وكانت تعطف على الفضل بن الربيع ، فعملت على اعادته
حاجبا للرشيد ؛ ثم عاد الآخرون شتاء فشتا الى حاشية البلاط (١).

وكان الرشيد يحب اخوه بالرضاعة ، « الفضل وجعفر » ، وندي يحيى
ابن حمد الترمكي حبا صادقا ، وقرهبا معه ولا يفترق عنهما او عن
احدهما الا نادرا . وازاد اوهما ان يدفع بهما الى الحكم عنه ؛ فقل
حاجب الوزارة في اول الأمر الى امه الفضل ونقي هو اسد . الأعلى بين
شده ووريره احمد ؛ ثم نقل احمد من الفضل الى . اخيه جعفر ،
فقرى هذا من قلب الرشيد اكثر من قبل حتى صار يحس على العرش
خسسه وحسرت انقضاء اسمه .

وفي اواخر الامامة الثلاثة يتفقون سبهم احمد في فترات محبلة ،
ويزرون شؤون الدولة سعوى والنسوز ، يحفظون اسرار الدولة وادارها
لأنفسهم ؛ وارشد معهم في عية الثقة والاضمان والرض ، نعت لم
يقت ان احمدهم الا تقدر ما بهما بعضها ؛ مضربا الى سريره وحججه
وأسدده وحسسه وندده .

ولم يكن الترامكة في سيرة حكمهم يحرفون الى ما يسيء سمعهم او
يغت الثنت في شرفهم ويدعو الألس الى القول فيهم . فسارت سمية

(١) طبري ج ٣ ص ١٠٨ - كانت ربيعة يمية في حصن حدها اسصور ، وكان الربيع
بن يوسف وريره ، يحدها هو واه الفضل ويعبدان رعاها وهي طقنة ، فحفظت
للفضل بن الربيع تلك يد اليها .

السوة على احس ما يرام مدة حجة اعوام ، حتى اثرت مشككة ولاية العهد بين ولدي الرشيد « عبد الله المأمون ومحمد الأمين » (١) . وحلاصة ذلك ان الرشيد ، حين توليه الخلافة لم يكن له ولي عهد . فراد ان يأخذ البيعة لأحد هذين الولدين ، خوفاً من موت محتمل يداخه وليس له ولي عهد يجمع الشمل بعده ، ويبعد احتمال وقوع اشتقاق وتفرق في الدولة .

وفكر بأخذ البيعة لعبد الله المأمون ، عتدته أكبر من اخيه الأمين . «سنة اشهر . وكان ام الأمين زبيدة وقتت دون ذلك ، وأصرت على روحها ان يحضر اسمها للأمر ، راعية منه ان هاشمية حرة لا حر ، ثم وكه . فوقف جعفر بن يحيى البرمكي في وجه زبيدة ، يدافع عن حق المأمون ، مدعياً بأنه هو الأكبر ، ولكنه كان يخفي في نفسه سداً آخر ، هو ان ام المأمون «مراجل» جارية ورعية من عصره .

فانقسم جو البلاط الى معكرين : هذا يؤيد فكره زبيدة ، ويكون من اكثرية امراء بني العباس ومعهم الفصل من الربيع وشجعت اخرى تكره البرامكة ؛ وذلك يؤازر جعفر بن يحيى ، ويكون من عصر ورعية وغير فارسية من صنائع آل برمك .. وكان الفصل من يحيى - حومند - يجانب الأمين لأنه كان يشرف على تربيته ، كما كان جعفر يشرف على تأديب المأمون وتنقيفه .

ولكن الأرملة لم تطل ، إذ دعا الرشيد يحيى بن حاد - وكان قد وقف موقف الحيد من الأمر - فسأله وتحدث معه طويلاً ، فسأله عليه بعضاء ولاية العهد الأمين من زبيدة ، وبنظر حتى كثر الصعير

(١) لقب عبد الله بالمأمون ، ومحمد بالأمين بعد اخذ البيعة لهما بولايتهما العهد .

وعمر كل منها يومئذ لا يزيد عن خمس سنوات - وتظهر الفوارق ،
بينها فيجتاز الأصلح لـ (١) . وانتهى الأمر بأن يبيع الأمين ؛ فهدأت
العصبة على أثر ذلك سعة أعوام أخرى ، حتى استثيرت من حديد .

وفي جو البلاط - خلال تلك الفترة - هادئاً إلى حد ما ؛ وليس
فيه إلا ما كانت تخمخ به ربيعة أحياناً ضد حصر البرمكي وحده ، وما
كان يهمس به الفضل بن الربيع في آذان حلفائه من كلمات تشير إلى
تدمره من استبداد البرامكة بشؤون الدولة .. والظاهر أن هؤلاء الوزراء
الثلاثة بدأوا يستبدون في الأمر شيئاً فشيئاً حتى ملكوا القصور والأثراء
الطائل والضياع العمرة ، وسرفوا في الدعوى لأنفسهم بدلهم واعطاهم
الأموال الطائلة على حساب بيت المال طمعاً ، فدحهم الشعراء بما لم يمدح
به أحدهم نفسه ، ورسخت أقدامهم في سلطان المنكح وامتدت حدودهم
فها أي حد بعيد ، ففروا صناعهم ، وعيوا أعوانهم في المناصب ،
واشأوا بكلمات مسلحة في حراس دوائرهم تحت اسم الدفاع عن
خسود السرفة للدولة (٢) . فبدأ الساهرون على مصلحة الدولة بهامسون
يسهم عن وصل إليه هؤلاء من مرة حظيرة . وكان الرشيد لم يسه إلى
ذلك . وه قتل من أحد مهب كان مصححاً وقرناً لديه أن يقول كلمة
سنة على ورائه هؤلاء .

فقد - فيما مضى - أن الأصمعي قد عدد (عام ١٧٣ هـ) أي
في زمن هذه المشكة بزمين ؛ وكان قد عدد هذه الخمسين يومئذ ، وقد
أكملت عقبيه ومصبح مكيرد ؛ قد تخرج عنه في زرع حين أرمت بل

(١) أخبار : ٥٩ .

(٢) انظر كتاب لصري سنة ١٧٨ هـ وما بعدها .

مرة ، فقيت صله البرامكة على اتم ما يكون ، حافظاً لهم حفاوتهم به
حين قدومه الى بغداد (١) : ذاكراً مساعدة الفصل بن يحيى له في اول
مقنته مع الرشيد في تلك الليلة التاريخية - كما أسب - . وأحسبهم
محمود . واحتلف اى محاسنهم ينزروهم ويرزونه ؛ وأعدقوا عليه من حلال
كرمهم فساد هو نذكرهم ، ومدح جعفر بن يحيى بيتين من الشعر ولم
يكن قد مدح قبل ذلك أحداً من الناس

إذا قيل من لى والى من الدس ؛ قبل الذى جعفر
وما ان مدحت فتى قله ولكن بي رمتك جوهر (٢)

وألف كتابه « النواذر » وأهداه له ، على خط ما كان يفعل بعض العبداء
والأدباء في ذلك العهد ، فذكره جعفر بن بل وعطاء وغير .. ولم تكن صله
بيحيى بن خالد أضعف منها بولديه هذين .

هكذا كان الأصمعي في وثام تام مع البرامكة في الأعوام الأولى من
وجوده في بلاط الرشيد ، يوم كان هؤلاء يعملون ، خلاص في إدارة
شؤون البلاد . ولم يشعر نخوهم شيء من زعم كرهه للعصر الفرسى ،
ومقته للشعوبيين الذين كانوا يحسبون بهم وسأول من العصر العربى
أحياناً في محاسنهم . فما بدأوا يسحرفون في سيرتهم الى الحسب الذى
ذكرنا ، صار هو يعبر عليهم ويسحرف عنهم شيئاً فشيئاً .. ولم يكن
بعيره هذا بذئير همت الفصل من الرسع وسعد بن سلم الدهنى وتبرها
فحسب ، بل بدافع شعوره القومى اصفاً وحنه لرشيد الذى احبص الود

(١) اقام الفصل بن يحيى مأدبة ضخمة للأصمعي حين قدم بغداد حصرها عدد كبير من العلماء

ووجوه الناسة — انظر ترجمة الألباء : ١٤٠ .

(٢) طغيات النعاة : ٣١٣ .

والوفاء له : ورنما كان ايضاً تعامل الخرص على الصالح العام .
 وبقى الذمر دفيناً في الصدور ، لا يستطيع احد ان يسوح به امام
 حبيبة الثاب المحط رعين الرميكة وآدامهم ، حتى كان عام (١٨٢ هـ)
 حين اثرت مشكلة ولانة العهد من حديد ولم يقل المارح كيف
 استشرت بعد ان هدأت واستقرت تحت الأمان : ولكن سير الحوادث
 يدل على ان جعفرأ الترمكي كان في حواءه مع الرشيد بشيرة دائماً نحو
 الفرق بين المودين في الدماء وحفظ الدروس والأمن والتصرفات التي
 تصدر عنها ، وعرض امه الامور المنجهد اذدى على الأمين الذي
 كان نفسه دلال امه له وشفتها عليه وتلبية رغباته في كل شيء . فاورت
 رشيد فكرة انتزاع البيعة من الأمين واعطائها لأخيه (١) .

وسمعت ربيعة بالخير فطار طائرهما ، ووقفت على قدميها امام الرشيد
 صريح في وجهه ، وتجمع حولها لحوول دون تحقيق ما يريد : وانفصت
 المشكلة من حديد ولكن بصورة اشد وأتعف من سبق ، وأسفر العداء بين
 أم الأمين سيده القصر ، وجعفر بن يحيى وزير الرشيد وأكر شخصية في
 الدولة بعده . ونائب كل فريق بحره ، وحصر الرشيد بين صفطين ،
 وراح يبحث عن مخرج لهذا المرق العظيم الذي وقع فيه .
 يقول الأصمعي : بينما انا ادخل على الرشيد ذات ليلة لأسأله ، اذ
 رأيته قلقاً يقعد مرة ويضطجع اخرى ، ويبكي ثم يبتعد .

قلد امور عباد الله ذاتة موحد الرئي لا نكساً ولا برما
 فلما سمعت ذلك منه علمت بأنه يريد امرأ عظيماً ثم قال للخادم :
 علي بن يحيى بن خالد ، فما لث ان جاء : وحلما نتحدثان ، فسأله الرشيد

(١) انظر الطبري ، سنة ١٨٧ هـ .

عن رأيه في فكرة انزع ولاية العهد من الأمير واعطائها للمأمون بعد أن طهر صلاحه لها أكثر من أخيه ؟؟ فطلب يحيى أن يكون المجلس خالياً ليدي رأيه ، وأشار لي ارشيد : فتسحيت حاشاً بحيث اسمع كلامهم . فما رآني مساحة ومسطرة طويلة حتى مضى الليل ، وافترق على أن عقد الأمر للمأمون بعد الأمير (١) . . . وبعد ذلك زعم قبيلة أخذت السعة من الناس بولاية العهد الثانية للمأمون .

فكانت تلك فكرة حاضرة ، في تلك المواقف والمعضلات بين الأخوين فقط . من أنقذ الأخوة واصطنع متباعدة في حواشي حيفة بين المنكرين الذين يخبر لبعض المؤرخين أن يسموهم بالمنكر العربي والمنكر الدرسي أو الشعوبي ، وهم حزبا ريذة ومن معهما وحيد جعفر بن يحيى . . . ولم ينص طوال وقت حتى انتعشت الوشائات والسمائن والأحبار بوعيتها صادقة وملفقة ، حول البرامكة وأعمالهم .

وكان أول من كشف الرسيد في أمرهم ريذة ، في صنع تلك أول الأمر وهذا قولها : فراحت مع العرض وعندهم منهم وقول له : لا استعريق في بحر عميق من مودتهم والثقة بهم ، وتشير بكل ما تسمع ومن يصل إلى أذهان عن أعمال هؤلاء وسعة مودتهم وثرانهم وسيطرة صانعهم على مناصب الدولة . ثم فحمت باب القصور للمؤامرات والانتعاشات ، وراحت تساند مؤامريها من حصوم البرامكة استكبدت رعمة الفصل من الزرع ، وجعفر بن موسى والشاعر أبي العتاهية وغيرهم (٢) .

وكان الأصمعي حتى ذلك العهد قد سحر عليهم وقطعهم ، وتغيروا هم

(١) مروج الذهب : ج ٢ ص ٢٢٣ .

(٢) مصادر هذه الأخبار : الطبري وابن الأثير ولعمري وغيرهم .

أصاً عليه وقطعوه ، وطبقوا أنسة صانعهم فيه ، فاتهموه بقتل الوفاء
ونكران الحيل وحده العمة (١) . فلما استثيرت قضية ولاية العهد للمرة
الأنسة هذه كان هو بجانب الأمين لعلهم بأن بيعة المأمون قوة لجعفر
ابرمكي وسد نفوذ اميرس في البلاط العباسي . ولما توترت الأزمة بعد
دلت من حين مال الى ناحية الفضل بن الربيع وجاهر بكرهه للبرامكة
وحدثت اميرس اميرس العباسي الصامت الى الأذقان ، وقال فيهم على
من استلعت التي كانت تحيط بهم :

إذا ذكر الشرك في محس أضادت وجوه بني برمك
وانت بليت آفة عنهم ابوالأحادث عن (مردك) (٢)

ومن وان كما شك في ان يكون الأصمعي قد نظم هذين البيتين ، لما
وهم من بهمة البرامكة ناشرك وهم من المسلمين ، وتكفير المسلم حرام
ما كان كانت شهيد عدول ، وليس هذا من شأن الأصمعي قطعاً ؛
غير ان اسودب الآية تدل على انه كان من ابغض الناس لهذا النفوذ
اميرس اميرس دولة راسد . وانه كان من اكثر خطاه الرشيد تحذيراً له
من نفوذ البرامكة وسجنه على الحبس منهم ان وجد الى ذلك سبيلاً .
فمن المصدر : ان الرشيد سجن عليه ، وبصعي الى هذه الضجة
لبي نور حوله هم وايت ، وموياً : ثم صار يحس ويومي لعص
حاصته الى ما وصل اليه هؤلاء الوزراء الفرس من ثراء ونفوذ ، وبدأ
يعير عبيده ولكنه لم يبدئهم ، يستهيم او يحسهم ، ثم صار ييث حولهم
العون والأرصاد ، فنتبه الأحرار بما يسته . . قيل ان احدهم حادث

(١) علاء : ١٧٣ .

(٢) ابن حنك : ج ٢ ص ٣٤٨ — (ومردك) هذا رئيس مذهب عومي من مذاهب
الفرس ، يدعو الى القوضى الخلقية — انظر كتاب الملل والنحل .

جعفر يوماً في امر القرى الكثيرة التي امتلكوها ، وطلب منه ان يمنح بعضها
 الى ولد الرشيد ، فقال جعفر : « .. والله ما أكل الرشيد الحرام الا
 بعضها ، فإن حدثته منه تأخذ بعض ما نملك ، فيعود عليه الوبال
 سريعاً » .. وحدثه خبر آخر : ان جماعة من العرس في مجلس جعفر ،
 كانوا يتحدثون عن ابي مسلم الخراساني وكيف صب دولة بني امية فقال
 جعفر : « اي فخر رجل يقلب دوله ويأتي بدولة اخرى بعد ان يفسك
 مئات الآلاف من الأرواح والأفئدة ؟! ولكن اسحر من يفعل مثل ذلك
 دون اقامة دم » (١) . الى آخر ذلك مما يطول شرحه .

وأخيراً عزم الرشيد في نفسه ، ودون ان طبع احداً على عزمه ،
 التحصن من حصار البرامكة ، فترك بغداد وسكن اربعة .. وفي عام
 (١٨٧ هـ) بعد ان انتهى كل ما يلزم بالأمر (٢) ، سار على الحج ،
 وقرر ان يأخذ معه ولديه الأمين والمأمون فيكتب عنهما في مكة العهود
 بعده مدي احدهما على حقوق الآخر : وأرسل الى ولده في الأندلس ان
 يوفدوا الى الحج وجوه بلادهم ليوافوه في مكة . ثم سار نحو مكة من اربعة
 ورسى في نهر بغداد وهما مدحبا ، فحرق به سائر البرامكة ورحل الدولة الا
 من بقي في مكانه لحفظ الأمن .

وبعد ان حج وكتب العهود على ولديه ، وبلغ ذلك سائر عمال
 الأندلس في المملكة ، عاد ادراجته الى العراق . فلما وصل نهر الفرات ،

(١) القنبري : سنة ١٨٧ .

(٢) كان الرشيد قد ارسل احد عماله « علي بن عيسى بن ماهان » وهو حاكم البرامكة ،
 الى خراسان ليستعمل القرى المسخرة التي كان البرامكة قد نظموها هناك . ثم انه ترك
 بغداد وسكن في الجبل فقتل من الخش فيها وجله من الفرس ، وبعثهم
 « لكرسه » . وقدم بأمر حري ، حول شرحها ، في تصفية حساب البرامكة قبل
 ان يوقعهم .

نزل ناحية « العُمر » قرب مدينة الأنبار وهي قرية من بغداد ، ومعه
 وليا عهديه وجميع الترامكة ورجال الحاشية ، وفيهم الأصمعي . وبعد
 أيام من اقامته هناك ، أرسل الى أحد رجاله المخلصين له « السدي بن
 شاهك » رئيس الحرس في بغداد ، فجاءه مسرعاً فأمره أن يذهب
 معه من حذده ويحرس دور الترامكة في جانب الرصافة ، ولا يدع أحداً
 يخرج منها . وأن يذهب لكل طارئ يحدث ، حتى يأتيه أمره . فعاد
 السدي الى بغداد وبعد الأمر . ثم دعا الرشيد في مصيف تلك الليلة
 حذمه العبد « مسرور » وقال له : كيف أنت مي ؟ قال : لو أمري
 أمير المؤمنين أن أدخل هذا السيف في بطني وأحرقه من طهري نعمت ؛
 قل : فذهب الآن ، بدون تردد ولا تأخير ، الى حيث نزل جعفر بن
 يحيى ، فاقتله في الحال وجثتي رأسه قد أنزل عنك عصبي . فذهب
 مسرور مع بعض الجند وبعد أمر سيده ، وحمل رأس اليه ، فمر بوضعه
 في الماء ، وعطسه . وأوعر الى أحد قواده فلقى القنص على سائر رجال آل
 برمك ، عدا محمد بن يحيى الترمكي الذي كان الرشيد من حاشيه ؛ وساقهم
 جميعاً الى سجن الرقة حيث قصروا عليهم فيه بعد زمن طويل ؛ ولم يعرض
 للنساء والأطفال .

يقول الأصمعي : « أرسل الي الرشيد في ساعة متأخرة من تلك الليلة ،
 فحئت وأنا لا أدري ما أحر . ودحت عليه فوجدته بنحمر كالوحش
 امترس . فلم رأني قد اجلس ، فجلست ؛ ثم قال تقدم وارفع الغطاء
 عن هذا الوعاء ، فتقدمت ورفعه ، فوجدت فيه رأس جعفر ، فجاشت
 نفسي . فقال : يا أصمعي :

لو أن جعفر هب أسب أردى من تهجه طمّر ملحم

ولكان من حذر النور بحيث لا يرحو الحق به العقب القشعر
 لكنه لما تقارب عهده لم يدفع الحدائق عنه منجم
 فكنت ولم أكنم ، قال . « الحق نعمت ، يا أصمعي » .
 فخرحت وقد علمت أنه دعائي في تلك الساعة لكي ينشدني هذه الأبيات
 التي نظمها ، حتى أدعها على لسانه (١) .

وممن لا تقسم بعبيل الأصمعي هذا ، إذ لا يعقل أن يكون الرشيد
 في تلك الساعة الدامية محصورة بهم بداعة أبيات من النعرقه ، وكس
 نرى بأن الرشيد تذكر الأصمعي ، دون غيره من رجاله الذين كانوا معه
 في تلك الآونة الحاسمة ، لأسباب عديدة ، منها أنه أراد أن يريه أنه
 قد تحصن من كائس البرامكة وحطهم الذي كان الأصمعي يحسره منه
 ويشير إليه - في المناسبات الكثيرة - تنويعاً بوجوب أحد الحرم تحفه .
 وتؤيد رأيه هذا روايات عديدة ، تقول أحدها : أن الأصمعي ، بعد

خروجه من عند الرشيد في تلك الليلة ، نظم أسبعا يقول فيها :

أبى العزور هل لك عمة في آل برمك

عرهم عن قدر الله حسب (المشرك)

عمة لما ترد أنت ولا هل أب لك (٢)

إلى آخر ذلك مما ينسب إلى أنه كان شاعراً نحات هؤلاء ، دأب
 عروهم ، خائف من طغيانهم على دولة الرشيد وعشيم تتراتهم .

تركه بلاط الرشيد

لم يثر على خبر للأصمعي ، بعد نكبة البرامكة ، يفيد بأنه بقي بجانب

(١) سيرة : ٦٦ .

(٢) سيرة : ٦٦ - كلمة (المشرك) فارسية ، قال ربيعة محضة تحب علمها در

بيت المال ، أو كل دراهم إذا كانت كثيرة .

الرشيد . ولا يستطيع الجزم بأنه عاد الى البصرة بعد مقابلته له ليلة مقتل
 جعفر بن يحيى وقوله : « الحق بأهلك يا أصمعي » .. والأخبار التاريخية
 تخدش ان الرشيد سكر الرقة بعد ذلك الحادث وترك بغداد نهائياً ، ولم يعد
 اليها حتى توفي بعد ستة أعوام قصاها بالسهر على الأس والاستقرار في
 جواس دوله ؛ فحج وسافر وتنقل في البلاد ، وغزا الروم في شتاء بارد وفي
 اشق كلفة ، فاصيب بمرض في حوّه واماسته « حتى اربع » فأمهكت
 حده وصحته . وكان آخر امره ان نشبت ثورة « رافع بن الليث » في
 حراسا ، فرسل لها الجيوش ، ولكنه لم يطمئن للنتيجة ، فرحف اليها نفسه
 رسم وضّة مرصه ، ثمت في الطريق عام (١٩٣ هـ) ، ودفن في قرية « ساباد »
 احدى ضواحي مدينة « طوس » .

من ذلك مهم ذنب الرشيد كان في شغل شغل عن عقد المحاسن
 والسر خلال هذه الأعوام السنة ، إلا قليلاً . وقد نددت حاشيته ، اذ
 توفي ابو يوسف القاضي ، ومات الكسائي قبل مأساة البرامكة ، وتزهّد الشاعر
 ابو العصبية ، وهلك مروان بن ابي حنصه ، واشغل الفصل بن الربيع
 في شؤون وراثته وإدارة البلاد .. الى آخر ذلك .

وكان رواية وردت في كتب الأعني نقول : « كان اسحاق الموصلي
 نحذ عن الأصمعي ، ويكثر ابروالة عنه ، ثم فسد ما سبها ، فمجاه اسحاق
 وثلبه وكشف للرشيد معاييه ، وأخبره بقلة شكره وبخسه وضعة نفسه وان
 الصنيعة لا تزكو عنده ؛ ووصف له معمرأ س اشئ - ابا عبيدة - بالثقة
 والصدق والسماحة والعزم ؛ وفعل مثل ذلك عند الفصل بن الربيع ،
 واستعن به ؛ ولم يزل حتى وضع مرتبة الأصمعي وأسقطه عندهم ، وأفقدوا

الى ابي عبيدة من اقدمه « (١) . وقيل ايضاً ان اسحاق هذا أرسل الى الفضل بن الربيع اياً يحرضه فيها على الأصمعي وشجعه على استقدام ابي عبيدة ، وفيها يقول :

عليك ابا عبيدة فاصطنعه فإن العلم عند ابي عبيده

وآثره وقدمه عليه ودع عنك القريد بن القريده (٢)

فاذا صحت الرواية هذه ، يكون الأصمعي قد بقي بحاجب الرشيد ربما بعد تلك المكة . . وفي كتب « نزهة الألاء » للأشاري : « ان ابا عبيدة ورد الى بغداد عام (١٨٨ هـ) ثم عاد الى النصرة (٣) » ، وهذا يعني خلال السنة التي قتل فيها جعفر البرمكي . فيكون لقاء الأصمعي بحاجب هارون الرشيد لم يتجاوز الأشهر القليلة أو الأيام المحدودات بعد محبة البرامكة . ولكننا لا نعتقد ان اسحاق الموصلي كان السبب الوحيد والمباشر في تعيين الرشيد على الأصمعي ، واستقدام ابي عبيدة مكانه . كما عرفت الرواية المذكورة - اذ لم يكن الأمر على هذه الصورة من التراخي في شؤون الخليفة وحاشته . . بيد أن سير الحوادث يدلنا على أن الأصمعي بعد اشتراكه في ذلك الصراع السياسي ضد البرامكة ، أحاط به الأسس والوشايات والمهمة عند الرشيد ، من قبل البرامكة أنفسهم ومن صائغهم ومؤرريهم فضلاً عن حصومه وحسديه أمثال اسحاق الموصلي ويحيى بن المبرك البرمكي - مؤدب أولاد الرشيد . . والشاعر أبي نواس الذي كان قد اتصل أخيراً بحديقة وسبح محمد .

والظاهر أن الرشيد ما كان يصغي الى أقوال هؤلاء في الأصمعي ،

(١) الأغاني : ج ٥ ص ١٤١ .

(٢) ابن حنكاه : ج ٢ ص ٣٤٩ .

(٣) نزهة الألاء : ١٤١ .

لا لعله - يومئذ - بما هو أخطر من ذلك ؛ فلما انتهى من نصفية حساب
وررانه واعمر في شؤون مملكه والسر على الأمن فيها ، صار لا يلتفت
الى امثال الأصمعي ومحاسنه ؛ وربما شعر بأن وجوده يخفيه بذكره بتلك
الأيام البعيدة المتعبة التي املاأت ياغريل والقال قبيل حادث البرامكة .

ثم ان الأصمعي نفسه كان قد بلغ الخامسة والستين من عمره ، وبال من
الحاء والثراء ما صار يغنيه عن الاستمرار في طلب الكسب . . فلما حدثت
مأساة البرامكة بذلك الشكل الدامي الذي لم يكن يتوقعه ، وتعطلت مجالس
الرشيذ وزالت عنها الأسرار ، أحس بأن مهمته قد انتهت ؛ وانف نفسه
بدأت سزعه نحو الراحة والاستقرار والابتعاد عن ذلك الجو الذي غمرته
الكآمة بعد المرح ؛ فودع صاحبه الرشيذ وودع الى البصرة .

وقد بحثنا في سيرة أبي عبيدة ، فلم نجد له أثراً يذكر في مجلس الرشيذ
بعد عودة الأصمعي ، مما يدلنا على ان الرجل ، قدم (اركة) ولكنه لم
يلحق بالحديقة أو لم يترك أثراً عنده ، ولم نصل اقامته نحاسه .

القِسْمُ الْخَامِسُ

المرحلة الأخيرة

١٨٨٨ هـ - ١٩١٧ هـ

١ - الاستقرار في البصرة

٢ - مرضه وموته

٣ - ذريته

٤ - طلابه



الاستقرار في البصرة

أتى الأصمعي أخيراً عصاه في البصرة بعد أن لعب من صعب حياة السلاط وصوصائها ، وما فيها من أخذ ورد وقيود ونحفظات ، ووشيت ودسائس ؛ وآلى بعد ذلك أن لا يترح مكانه إلا ضرورة ملحة ، مصرفاً إلى حياته الأولى في الدرس والتحصيل وإتقاء المحصرات في المسجد الجامع .. ولكن الحوادث كانت تلاحقه ، والأخبار الحزينة تهم آذانه وتمزقه :

فقد مات الرشيد ، وتولى الخلافة بعده ولـي عهده محمد الأمين . ومتمص حقبة من الزمن قصيرة حتى شئت منه وبين أحيه أمون حالات حادة سكنت فيها اليهود ، ودرفت الأرحام ، وغمرت أن حرب دامية قتل فيها الأمين عام ١٩٨ هـ بسيف الأعاجم من جوش أحيه .. وتفتت أمور البلاد مضطربة بين أمون الذي بويغ ، خلافة في حرمانك وبين عمه « إبراهيم بن المهدي » الذي بويغ في بغداد .

ثم انتهى الأمر أخيراً بانتصر أمون بعد مدرك عمه له عن الخلافة ؛ واستتببت الأمور ، واجتمع النمل في بغداد من جديد ، فراد أحيه الشب أن بعد عهد أحيه الرشيد في عهده بأشؤون أمكورية واهتمامه في اختيار حاشته ورجال بلاطه ؛ فجمع حوله من أراد من نواب العلم وفحول الشعراء ورواة الأدب . ثم أرسل إلى الأصمعي طلبه للمحاضرة وسمعه على القنوم إليه ؛ ولكن الأصمعي ، الذي عرف عن سلاط الرشيد بعهده في أواخر عهده ، اعتذر للمأمون محتجاً بشيحوحه وصفه صحبه (١) . غير أن المأمون - العاهة الأدب - عز عليه أن لا يكون الأصمعي بخدمه ، فراح

(١) ابن خلكان : ج ٢ ص ٣٤٧ .

عنه بالطلب ، ووعدته وماء ؛ فصر الأصمعي على الاعتذار ، وكتب اليه
يقول : « ... اصحت لا اصلح لمدامة الخلفاء » واخبره بأنه على استعداد
للأجاة على انك كل اللقوية والأدوية اذا ارسلت اليه وهو مقيم في بلدة
النصرة . فقبل المؤمن عذره ، وصار اذا تعقدت مشكلة في محله ارسلها
اليه واستلم الجواب منه (١) .

قد كان للأصمعي في اعتذاره عن محالة المأمون اسباب اخرى غير
التي ذكرها له : منها أنه كان في عهد الرشيد - كما اوضحنا مع الجانب
المؤيد - لمجتمعات الرمكية واشياعه الذين آثروا المؤمن حقه في ولاية العهد
صد أحبه الأمين ؛ والآل وقد انتصر ذلك المعسكر الشعبي ، وبرز
في حو البلاط وحوه فارسية جديدة كانت في ذلك الصراع عوناً للرامكة على
العرب تا فيهم الأصمعي ؛ فكيف تأمن الأصمعي حاشاها وضمن صداقة
المؤمن رمماً طويلاً ؟

وهذا اسحاق الموصلي صاحب الوشايات عليه عند الرشيد بالامس عاد
الآن نديمًا للحقيقة احدد ، ومقرباً لديه كما كان مقرباً عند ابيه ، فكيف
يعود الاصمعي الى تحديد الخصومات معه بعد ان اکتوى بنارها قبلاً ؟؟
واي شيء في بغداد يسره بعد ان تغير وجهها عن ذي قبل ، وجرحتها
الناسي والاحزان ، ودمرت جوانبها الحروب الطويلة وقتت الكثير من
اعداها ، وتركتها بمأنيته اشرارها وعيارها رمماً غير قصير ؟؟ واين يكون
موضع الأصمعي لو عاد اليها وقد اصبح كل شيء فيها يوحى لنفسه ذكريات
قائمة ثقيلة بعد موت الرشيد ، ومقتل الامين ، وانزواء ريبة الأيم الشكي ،
وموت الفضل بن اربيع ، واعتزال الامير سعيد بن سلم الباهلي في داره

(١) ابن حنبل : ج ٢ ص ٣٤٨ .

بالصرة ؟؟ لم يكن امام الاصمعي - في الحقيقة - غير الاعتذار .. وعذر ،
واقام في الصرة ، ولم يارحها الا الى الحجار مرة او مرتين في سبيل الحج
وتحمد الذكريات مع صحبه ومعارفه من علماء مكة واندسة والطائف .
كان عمره عند مغادرته بلاط الرشيد خمساً وسين سنة ، وقد وخط
الشيب حواسب لحيته ورأسه (١) ، ولكنه في نشاط الكهولة التماسكة ، ولم
تكن ذاكرة البادرة قد اصيها شيء من الوهن او التعب بعد .. يقول « احمد
ابن بكير السجوي » : لما قدم الحسن بن سهل « وزير اسفون » العراق
- وقصد الصرة - قال : احب أن أجمع قوماً من أهل الأدب فيخرجون
بحضرتي في ذلك ؛ فحصر ابو عسدة والأصمعي وصهر بن علي الجهضمي
وحصرت معهم . فاسدأ الحسن فطر في رقع كانت بين يديه للناس في
حاجاتهم ، ووقع عليها ، فكانت خمسين رقعة ، ثم أمر فدفعت للحارث ،
ثم أقبل عليها فقال : قد فعلنا حبراً وطرباً في بعض ما رجو نفسه من
أمر الناس والرعية ، فأتحد الآن فيما نحتاج اليه . فقصا في ذكر الخط
فذكرنا جماعة منهم « قادة الدوسي ، والرهري » وغيرها ؛ ومررنا
بالحديث ، فانفت أبو عسدة فقال : ما العرض أيها الأمير في ذكر من
مضى وترك من هو حاضر ؟؟ ها هنا من يقول انه ما قرأ كتاباً قط
فاحتاج الى ان يعود فيه ، ولا دخل قلبه شيء فخرج عنه !! وفت
الأصمعي فقال : انما يريدني بهذا القول أيها الأمير ، والأمر في ذلك على
ما قال ، وأنا أقرب عليه : قد نظر الأمير فيما نظر فيه من الرقع ،
وأنا أعيد الآن ما فيها وما وقع به الأمير على كل رقعة على توالي الرقع .
فامر الحسن بن سهل ، فاحصر الحارث وأحضرت الرقع ؛ واذا الحارث قد

(١) يقول البيهقي كناه « ملقات العمويين » : ٥٣١٣ لم يبلغ الشيب لحيته الا الى بلع المتين .

شكها على نوالي بظر الحس فيها . فقال الأصمعي : سأل صاحب الرقعة
الأولى كذا واسمه كذا فوقع له سكدا .. والرقعة الثانية والثالثة ،
حتى مر في نيف واربعين رقعة ، فالتفت اليه نصر بن علي فقال : ايها
الرجل ، انق على نفسك من العين .. فكف الأصمعي (١) .

ولم يكن الجو الفكري في مسجد البصرة قد تغير كثيراً ، في هذه
الفترة ، عن ذي قبل سشاطه ومرحه وطلانه ومرتابه ، الا عدداً من كبار
شيوخه كانوا قد اعتزلوا التدريس بسبب الشيخوخة او الموت . كما ان حياً
صعداً من الشباب وطلاب العلم لم يعرفهم الأصمعي قد احتوا اماكهم في
حققت المسجد . فما عاد الأصمعي الى حقيقه عدد الاله طلابه السابقون
والتفوا حوله ، وتضخم مجلسه اكثر من ذي قبل بفصل اتسع شهرته وارتفع
منزلته العلمية ومكاته الاجتماعية . وقصده طالبو الفوائد الفكرية من كل
مكان . وصارت نهال عبه الأسئلة في امشاكل البعوية والأدبية من انحاء
البلاد ، بما فيها المسائل التي يرسلها اليه امير المؤمنين ائمون بن الرشيد ..
وبدأ الزمن يعيد دورته من جديد ، كأن لم يحدث من قبل شيئاً .

وحال استقرار الأصمعي الأخير في البصرة رهاء ثلاثين سنة اخرى ، استنوع
حالاته ان يتم رساله العلمية في حقيقه ، مصرفاً الساعات الطوال من يومه
الى الشيف والصديف ، في سبه ، وجمع م ادحر في ألواح ودهتره من
لغة ونحو وأدب وأحمار ، حتى تم نه شيف العشرات من الكتب الي
سجدهت سبه في مكان آخر . وكان يساعده في ذلك شبيب من اسرته
درسوا عليه وأفادوا من علمه ، منهم ابن ابيه « عبد الرحمن الأصمعي »
وابن اخته « احمد بن حاتم الباهلي » اللذان كانا يكتبان بن لده .

(١) تاريخ بغداد : ج ١٠ ص ٤١٥ .

ولم يترك المدرس والتحصيل رغم ما وصل اليه من العلم الغرير والأدب
 الخم .. يقول صاحب كتيب « محاسن ثعلب » : قيل للأصمعي :
 « كيف حفظت وسي اصحابك ؟؟ قل : درست وتركوا » (١) . كما لم
 يترك المدرس في حفته والسمع في سه حتى أثقلت الشيخوخة كاهله ..
 يقول « النوري » احد طلابه : خرجت الى بغداد فحضرت حصة
 « لبراء » ، فلما اس لي قل : ما فعل ابو زيد الأنصاري ؟ قلت :
 ملازم لبيته وحلقته في اسجد وقد اسن ، من . ذلك أعلم الس سمعة
 وأحفظهم لها . ثم قل : وما فعل ابو عبيدة ؟ قلت : ملازم لسه
 ومسجده على سوء خلقه ، قل : ان انه اكمل يقوم وأنعمهم أيام العرب
 ومداهبها . ثم قل : وما فعل الأصمعي ؟ قلت : ملازم لسه ومسجده ،
 قل : ذلك أعينهم ، شعر وأقمه لعة وأحضرهم حفت (٢) .

هذا ما كان من امر شطه في الساحة المعكرونة خلال هذه فترة
 الأخيرة من أيامه . وأما الحب النحوي فيها فلم يخفى عن دي
 قبل الا في امرين : اودع ، انه بعد ان سمعت سمعه حواء اللاد
 الاسلامية وأجواء العلم والأدب العربي فيها ، فصل مكانه الي كان قد
 وصل اليها في قصر ارشيد ، لم بعد نواحة الى مسافة احد من الس
 في هذا المجال ، وخفت وطأة الحرص عنده في سبل ان لا يعلب في مسطرة
 او مناقشة عمية أو أدبية : وصار ولاية البصرة وأمثالهم يحطون وده وصحبه
 ويشدون ارضاءه ، لقاء صله الأدبية شخص الخليفة المأمون . ولم تبت
 البصرة ورير أو أمير الا رتب في ردهته ومقنته ، وشوق الى سماع حديثه

(١) الزهر : ج ٢ ص ١٩٣ .

(٢) الزهر : ج ٢ ص ٢٠١ .

وشيء من ذكرياه مع الرشيد ؛ وقلما ورد البصرة علم أو ديب الا قصد
 المسجد وحسن في حقه الصحة لأخذ شيء من الفائدة عنه ، وربما عد ذلك
 كسباً ادبياً له ، يُقول عدداً : سمعت الأصمعي ، وحلست اني لأصمعي (١) ...
 والأمر الثاني ، هو انه لم يعد فقيراً معدماً كما كان ، ولكنه أصبح في
 نعمة من الثراء يحسده عليها الكثير من عدا ذلك العهد ؛ وبت في عي
 من عطاء احد من الناس اذا جاء ذلك العطاء ثمة وفصل ؛ وفي مثنى عن
 ابنه سره البصرة ووجهه ومذاحه في سبيل الحصول على وسائل
 العيش التي توفرته به حارة .. وقد جاء في بعض لأحمر انه بت
 سحر ومواكه والآثار في صفات كبره ، ورت كانت تلك الأثر والمواكه
 من حارات متضعة اوراقه (٢) . وقيل به صريحه حين ولال
 و . حر به تسعده شر من بي أضمع ، الذين مارسوا هذه الشهية مند
 زمن بعد ومروا فيها (٣) .

ولكنه من لا يرضى عنه حبه ، لم يترك الاستقصاء والسومة في
 معاملاته ، وربما رد بجه وامسكه رتبه في اس حر ، مع لطيفة « اذا
 شح المحيل راد حبه للمال » . ولم يمدل منزله المتواضع في حي بي
 اصمعي ؛ وعدد الى سابق عهده في اهل معبده وأهله الذي . وصار
 يركب الخمر في ارقه البصرة بعد برادين اخذه وم كان في حاشية الحيفة
 هرون الرشيد . قيل له يوماً وهو راكع على حجر رحيص : اعد براذين
 اخفاء صرت تركب هذا حجر ؟؟ فسم واشد .

(١) كان من دواعي سحر ، عند العناء من عاصروه وعاشوا بعده ، ان يقول احدهم حديثي
 الأصمعي ، ويروي عن لسانه فكرة بوليه أو بكرة . وفي كتب اللغة والأدب أمثلة
 كثيرة على ذلك .

(٢) كتاب الحلاء : ٨٧ .

(٣) رهة لأساء : ١٢٨ .

ولما انت الا طراًقاً بوردوها وكديرها الشرب الذي كان صافي
شربت برنق من هواها مكدر وليس يعاف الرنق من كان صاديا

ثم قال وهو يسوق حاره : « هذا واملك ديني احب الي من ذلك
مع فقه (١) »

ولم يكن جوابه هذا من قبيل بيت لأخوة الي اتد ستم ان سرع
بها لاحد ، نعم واحده ، ولكنه كان في اواقع قد ترشد عند عوده الي
المنيرة واداد وبعه وبعثت رسة في حب السر ، وصار محب كل
مكروه او مهي عنده من قبل الدين . . يقول او جاء الميسري : انت
الأصعي بهده - اء من فقه - قد من صبعة وعي نفسه ، وسحسه
وصار حبل السر ايه وحب صبعة ، فتمس به : انه من فقه ، ولعله
اي . ومن : انمي من قوله ، لأنني سمعت ابي شة سلام قد هي
عن الشرب ، فمصة ! ولم يقله (٢) .

مرضه وموته

كان الأصعي مريضاً بالحمى في كبره وفي سيجوحه .
وما رأياه يوماً شكا علة مزمنة في حصد ، إلا عن العوارض مرضية
الطارئة كالحمى التي اعتادها سكان المنيرة منذ تسميتها . وربما كانت هي
الحمى المنتشرة اليوم لوجود المستنقعات و (الأهوار) القريبة من هذه المدينة .
وقد يكون السر في تماسكه بالصحة ومداه هو كبره الحسني قبل
كل شيء ، فقد كان نحيفاً زير ريس ولا مفرط في السمة ، ولم يعرف شره

(١) ابن خلكان : ج ٢ ص ٣٤٧ - البتال المشاعر المعروف بأبي جبه .

(٢) كتاب تصانيف : ج ١ ص ٦٥ .

في الأكل ، ولم يكن ذواقاً للطعام محباً لألوانه الطيبة ، وربما قلد الأعراب
 في أسفاره وتنقلاته مكثفاً بشيء من التمر والسويق . ثم انه كان شيطناً
 دائم الحركة - كما رأينا - كثير النقل بين موارد العلم والأدب ومصادرها ،
 في العمرة وأطرافها وفي الوادي العيدة ؛ وفي عذره ورواحه وأسفاره بين
 عداد وزرائه ونصروه وسحر على ظهور الأبل وصهوات الخيل والحجر ؛
 ومنه ما كسب بسم قود وسحر له الشاة والمقاومة . والأسفار في
 الوادي والبحود والسهول تريح النفس ، وتدل الأحرار ، وتبعث الحيوية
 والشد . ولا تسيئ إلا من الريح الدائم ، ومحاسة المراء ، وتبادل
 الموارد وأطراف وسح هي من أمتع الأغذية للروح ، وأبعد لله . وأسمى
 بسبق ولاضطراب أسس المحطم للأعصاب .

مارس لأشبعي كل هذا في شدة وكهونه حتى المراحل الأولى من
 شجوحه . وقد رأيت يجمع حخته الأخيرة وهو قد ناهر البعير ، ولا يعتقد
 أنه حرج من ذلك لأن السر أن الخمار يحتاج إلى قطع الصحراء عرضاً
 من النمره إلى مكة ، وفي ذلك ما وه من متاعب ومشاق تحتاج إلى
 حدود مصيبة في ذلك العهد . ولكنه لم يتطع عن المراد ومارل الأعراب
 المحورة للنصره حتى بعدى عنه أنه بين ، وصار يحس ثقل الأعوام المتراكمة
 على كفيه .

رأه أحد أصحابه يوم وقد اعاد السير في زيارته لصديق ، فقال له :
 كيف حال الأصمعي ؟ قال : « حال من صاحب الدنيا حتى اتعبته » .
 وحلث يوماً بين حلاله ، فشكا لهم مرضاً حقيقاً كان قد اعتراه ،
 فقالوا له : ضريء رائئ وعذبة رجوه لك ، فقد مشدأ :

إذا الرجل ولدت أولادهـا

واضطربت من كبر اعصدها

وجعلت اسقامها تعدها

فهي رروع قد دنا حصدها^١

وكان يسير يوماً في ارضه الصخرة وحده حد حلاله ، يسير معه ،
وحار الناس يبرون به ويسلمون عليها ، بعضهم وقف ويسأله قائلاً :
كيف الأصمعي ؟ فقلت اني صاحبه اذن معه ، واشد بيت لبيد
ابن ربيعة :

وتقد شئت من احياء وطود وسؤال عدائي من كيف لبيد

ولما قارب التسعين ، تقلص ثلثه ، وقتل في محالين اصحابه ،
واقصر على سه ومسجده ، وحبس صدقه القدر لأمر سعد بن سبي الهادي
في بعض الأحسن . ولما يذكر الموت ويخفف منه ويكرر قوله : « زلي ،
حفف حسائي من بيت » : « صبر » ، « كبر » ، « ست » صعبه في
ماضيه اسمر به ، وحول صلاته كان في يتكى بالله .. ميل الى
احدهم انه امه قصيدة الأعشى التي تقول في مضمونها :

ت سعد ومني حسب حلف واحيت عذر وخديس وقرع

فقال حصره : عتوف لكم ان كنت قد صمت على هذه القصيدة ساء
من عدي ، وهو :

وذكرني و.. كان بي كنت من حوائف لا نسب والصب

فاخذوه منها لأنه دخل ت م^٢ .

وتقول ابو حنيفة سجدة .. في الأصمعي في اوجز ايمه : في

(١) الأبي ج ٢ ص ١٨٧ .

(٢) الأبي ج ١٦ ص ١٩ . وفي رواية أخرى ص ١٨٧ ص ١٨٧ في القصيدة

هو او عمرو بن

نفسى شيء اريد ان اسألك عنه ، قال : سل ، قلت : اريد ان تحدثني
بما جرى بينك وبين سيوفه من المظرة التي انتهر خرها بين الناس ؛
فحدثني عنها بالتفصيل ، ثم اعترف ان سيوفه كان على حق ، وقال :
« والله ، يا ابا حاتم ، لقد رل لي في تلك الساعة شيء من سيوفه
وددت ان لم انكلم في شيء من اعمى ، لأنه كان أسوب مني رأياً في
المسألة وقد عدته مساني (١) . »

وبخ لا علم بالذمة متى ترك الأصمعي حنقه في السجد . ولكن
الذي عذب على الفض انه تركها قسلاً ووثقه عدة اعوام ، اني قيل بلوغه
السعين ؛ وكان يومئذ قد توفي صاحبه ابو ريد الأنصاري وأبو عبيدة .
وصار بشعر ، ضعف يده في ذاكره شيئاً فشيئاً ، وبخس يوهن
في عريته فلا قدر على ادارة محس علمي كبر طلاله فيه ، ومع شانه
وضحت ثقافتهم .

وقيل انه عند موته السعين انقطع عن الدس ، فصار اصحبه ومحبه
وطلاله يزوروه في داره . ثم طمست ذاكره ، وأصبح لا يستطيع ان
يذكر ما يرد قوله في المسند الا بعد لأي وجهه ؛ ومن حق تلك
الذاكرة ان تستريح بعد ذلك الاجهد والابش .. وقيل ايضاً انه اصيب
في اواخر ايامه سوع من الهدس ، فصار يتنقط بكلمات لا يفهم معناها ،
ولكنه شئ من ذلك بعد قليل (٢) . وفي العام اربع وتسعين من عمره
امانه مرض شديد أقعده في فراشه ؛ ثم ثقل عليه وصرف عن عواده الى
ذكر الله والاستغفار .

(١) معجم الأدباء : ج ١٦ ص ١٢٥ .

(٢) عيون الأخبار : ج ٢ ص ٢١١ .

وفي ليلة من عام (٢١٧ هـ) الموافق لعام (٨٣٢ م) اعترض
ابو سعيد عبد الملك بن قريش الأصمعي جسيه ، وصعدت روحه الى بارئها ،
فاطفاً نموه مشعل من اكبر مشاعل الحصار الاسلامي . ووت أحد « الأئمة الثلاثة
الدين أخذ عنهم جل ما في ايدي الناس من النعمة والشعر القدم . . .
كله » .

وفي صباح تلك الليلة أشيع خبر وفاته . فخرجت البصرة وراءه
تودع نامة من نواع أسنن ، وعلماً من أعلام ههنا ، حدم النعمة
والأدب سبعين سنة بدون وهن ولا انقطاع ، وملاً حوها - مع من ملأ -
ظرفاً ومندحاً ووادراً وطرائف بقيت حية خالدة صده . . وقيل لما بقى في
البصرة علم أو معلم أو أدب إلا مشى - يومئذ - في حماره ، حتى
خصومه الذين اعصوه في حياته .

والعرب في أمر حماره لها كبت اشبه تمصيرة عمدة وذية سين
تلك الجماهير الزاخرة من الثميين من رجال الفكر . والأدب من ذلك
ان يخسف فيها أصدقاء الأصمعي وخصومه حول فصله وأده وآرته كما كانوا
يختلفون حول ذلك ايام حياته ، رغم جلال الموقف ورحمة الموت وحزن
الأقربين . . فقد روى « ابو العيلاء » قال : كنت أسير وراء اجبره ،
والناس بين حزين وآسف ومطرق خاشع ، وشاعر ينتم برثائه له ، وسيد
يذكر فصله ، ثم في الشاعر ابو العيلاء « الحسن بن ميث الدمشقي »
وحس في أذني ابياتاً يقول فيها :

لا در در نبات الأرض اذ فحمت الأصمعي فقد أقت لباً امداً

عش ما بدا لك في انديا هست ترى في الناس منه ولا من عمه حلقا

ثم مضى في سيره : وحينئذ بعد الشعر ابو قلاله « حيش »

عد الرحمن « - وكان سعي المذهب - وشدني همساً :

لعن الله اعظماً حملوها خو دار السلي على حشوات
اعظمًا تكره النبي وآل البيت والطيبين والطيبات
فعبت من اختلافها فيه بأرأى (١) .

وفي رواية أخرى : ان عددا من أفرقاء الأصمعي كانوا يقدمون
الصفوف وراء جازيه ، وفيهم ابن أخيه « عد الرحمن » - وكان يعتبر
من الثقلاء - فسمعه بعضهم يقول : « أنا لله وإنا إليه من الراحمين » ولم
يقب كما أزلت « . . . واء إليه راجعون » فقل أحد السامعين لأصحابه :
« ما على هذا لو استرحم كما عظمه الله » (٢) .

ثم احترق الشيعة ، معش ارقعة البصرة نحو « جنة بني أصمعي »
حتى وصوها وهماك وضع الختم تحت القبر ، وصلى عليه الدس وراء
امامهم « النحل بن اسحاق العباسي » ، ثم ارسل إلى مشواة الأخير ،
وورى فوقه التراب ، واسه عدد من كبر جلالة ومجده ، ورثاه الشعراء
من مصنفه ، فقل محمد بن ابي العباسه :

استنقذ الأصمعي فقد مضى حمداً له في كل صدقة سبهم
قصت شذات الخمس مده وودعه اذ ودع الأس والعلم

(١) ابن خلكان : ج ٢ ص ٣٤٨ - في رأينا - اذا صحت رواية ابي العباس هذه - ان
اشاعر حش من عداة من هذا - يصف الأصمعي في ذلك الموقف ، ولم يكن الحق فيه ، لأن
معنى التي خروج عن الاسلام ، ورجل كالأصمعي يعرف ذلك وهو على ما هو عليه من
الزندق والنعوى ، ثم اذا كان حش هذا يعتقد بأن الميت كان يفيض النبي فلماذا خرج له
شيع حارته ، ان م يكن منافقاً ؟؟ الحق ان هذا الشاعر اعطانا مثلاً من أولئك الخصوم
الذين كانوا يفترون على الأصمعي ولا يتورعون في اكدبهم عنه .
(٢) الديميري : ٥٥ .

وقد كان محم العلم في حياته فلم انقصت أيامه أفل العجم (١)

ذريته

تتواتر الأحبار والروايات على أن الأصمعي كان قد تزوج وأنجب ،
ولكس لم نعثر على أثر لأولاده ، هل كانوا سائاً وسين أم من الست
فقط . وقد عسا بأنه كان يكنى بأبي سعيد ، فهل كان له ولد بهذا
الاسم ، أم هي كنية محردة أطلقها على نفسه أو أطلقها الناس عليه بدون
وجود المكنى به كما هي العادة عند العرب في كل زمن ؟ ولم يجزها أحد
عن اسم زوجته أو عن سبها ، والأغلب أنها كانت باهلية أن لم تكن
أصمية في الصميم .. وهل تزوج واحدة أم أكثر من واحدة ؟

أما أنه قد تزوج وأنجب أولاداً ، فقد روى أبو حامد السجستاني قل :
قل لي الأصمعي في كدره : « كنت شاعراً مفضلاً ، ففروحت ، فوجد لي ،
وولد لأولادي وأنا حي .. » (٢) وفي كتاب الفهرست : « أنه ترك عفا
بعده .. » (٣) . والظاهر أن عفا هذا كان من الست وليس فيها سوء .
فأهل التاريخ ذكرهم كعادته في أهل ذكر النساء غير الشهيرات .

ولو كان الأصمعي أولاد من البين لشاد بدكرهم في روايته أو نعت
عهم وبوه بأسمائهم ، ولعي بترسهم وتقبيلهم فكان لهم شأن يذكر
كان لابن أخيه « عند الرحمن الأصمعي » وابن أخيه « أحمد بن حام
الباهلي » .. وأكثر من ذلك ما رواه صاحب كتب معجم الأدباء .

(١) ابن حبان : ج ٢ ص ٣٤٨ - وويل أن باطم هذه الايات هو أبو العافيه

والاصح هو ابنه لان الشاعر ابا العافيه توفي قبل الاصمعي بعدة سنوات .

(٢) الأمل : ج ٢ ص ١٨٧ .

(٣) الفهرست : ٥٥ - المعارف : ١٨٤ .

قال . بأن آثار الأصمعي من كتب ومؤلفات انتقلت بعد موته الى يد
اس اخته ابي نصر « احمد بن حاتم » الذي صار يتكسب بها - على
الشكل الذي سذكره فيما بعد - هو كان للأصمعي ابن ذو شأن لما ترك
ثروة ابيه الصلحة بيد غيره .

ودليل آخر لا يخفى من قيمة ، هو ان الأصمعي كان من كبار العلماء الخالدين
الذين تركوا وراءهم ذكراً حسناً ومجداً يصلح للمباهاة والفخر بين الناس .
ومع ذلك لم نجد ، في العصور التي اعقبت عصره ، احداً من العلماء او
الأدباء او غيرهم ادعى بأن سبه متصل شخص الأصمعي عن طريق
اسمه ، ولم يقدم احد على ذلك لانه - على ما يظهر - لم يجب
ولداً ذكراً .

والذي يقرب الى الواقع انه كان قد تزوج بامرأة واحدة لا اكثر ،
وذلك لقوله :

يا امة الله ألا تسمي ما قال عبد الملك الأصمعي

واحدة اعطيني امرها فكيف لو قت على اربع

وسدوا لنا ان هذه الزوجة قد توفيت في سن مكررة بعد ان تركت
منه عدة مات ، فلم يتزوج بعدها ، واهتم بتربية صغيراتها حتى كثرن
وتزوجن وأعن . والدليل على ذلك تلك القصة التي مر ذكرها وتواترت
فيها الروايات وهي انه « دخل ذات يوم على جعفر بن يحيى البرمكي ،
فقال له : هل لك روحنة يا اصمعي ؟ » قال : لا ، قال : فجارية ؟
قال : جارية للمهبة - اي للخدمة - ، فقال جعفر : هل تحب ان اهديك
جارية طيبة ؟ .. » الى آخر القصة ، وتنتهي بعدم اهداء الجارية له ،
وعوضه عنها بألف دينار . وقد علمنا بأن الأصمعي لم يتصل بالبرامكة

إلا بعد مجيئه الى بغداد واتصاله بـ ملاط ارشيد ، وعمره - يوم ذاك -
خمسون سنة ، كما علما ايضاً من نشاطه الجسمي انقطع في كبره (١) ؛
فلا يستبعد ان يكون قد بقي على ترويه حتى النهاية .

طلابه

ليس في الامكان احصاء عدد طلابه ، لكثرة من لازم حلقاته في
مسجد البصرة خلال ستين سنة ؛ ونكتة ما سفل هو في البلاد والبيوت ،
فلم وتعلم ، وأفاد واستفاد ؛ ولم تترك موضعاً طرقة ومكث فيه طويلاً أو
قليلاً الا ترك وراءه فيه استاذاً أو لميذاً في وقت واحد . ويس من
الصواب ان نذكر كل قائل في كتب اللغة والأدب : « حدثني الأصمعي »
أو « سمعت الأصمعي » سمياً له ، ونكتة عرف بعض هؤلاء الذين لازموا
مجلسه في مسجد البصرة ، أو درسوا عنده حقاً في امكن أخرى ، فأصبحوا
فيما بعد من مشاهير علماء اللغة أو النحو أو الأدب أو الأحرار . نذكر منهم :
ابو حاتم السجستاني (٢) « سهل بن محمد » ، وهو عربي من حشم ؛
وكان اماماً في اللغة والأدب والأحرار ، تنق العروص واحراج المعنى منه ؛
وله شعر رصين جيد . وقد ذكر ابن حبان عدداً بلغ الثلاثين من
مؤلفاته ، وجلها في اللغة من «ب (المعاني المجتمعة في أصل مشترك) مثل
كتاب الوحوش والسيوف والجراد وغيرها ؛ ومنها ما يبحث في التاريخ
والسير مثل كتاب « المعمرين » وشمل على احرار مائة وعشرة من
مشاهير المعمرين في الجاهلية والاسلام (٣) .

(١) البصائر والنفائس : ٥٦ .

(٢) توفي ابو حاتم عام ٢٤٨ هـ .

(٣) ابن خلكان : ج ٢ ص ١٣٧ .

لارم ابو حاتم حقة الأصمعي بما طويلاً وأخذ عنه معظم علومه .
وكان أطول من لارمه وشعره من بين طلابه ، وأكثر من روى
عنه ، ولم يفرقه حتى توفي ؛ فكل باسطة الى الأصمعي وقرب منزلته منه
اشبه بالأصمعي من اساده في عمرو بن العلاء . وله أخبار وروايات تم على
صحة وصداقة متينة لم تنقص عراها قط حتى فرق الموت بينهما . وقد
أخبر أنه كان يجلس تحت سرير مرضه في أيامه الأخيرة ، فيحادثه
ويسأله عن كل شيء فيجبه الأصمعي على كل ما يسأل ولم يستثنه حتى في
مرض موته .

ولم نشأ ابو حاتم حلقته في مسجد البصرة الا بعد وفاة استاذة .
وهو من أصح وأوثق من روى وتحدث عن الأصمعي وآرائه ؛ وقد ألف كتباً
كثيرة جمعها من محسراته وما أخذ عنه فكانت صحبته الطويلة هذه
للأصمعي سبباً من اسبب شهره وبصحة حقه والتفاف طلاب العلم حوله
لاعتبارهم اياه اشبه بسم رسالة ديث الأصمعي العظيم . وقد سعى على يد
ابي حاتم عدد من احدهم عصرهم في اللغة والأدب امثال « محمد بن
يزيد المبرد » و « ابن دريم » وغيرهم .

والرياشي « العباس بن الفرج » (١) وكان من علماء اللغة والنحو ،
كثير الاطلاع في حذر العرب وتاريخهم . لارم الأصمعي طويلاً وأخذ
عنه سائر العلوم ، وروى الأدب والأخبار . وكان اختصاصه أكثر ما
يكون في اللغة ثم النحو والأخبار . ونخرج على يده عدد من شخصيات
ذلك العهد مثل « ابراهيم الخزازي » المعروف في بلاط الحليفة الهادي ،
« وابن ابي الدنيا » وغيرها .

(١) توفي الرياشي عام ٢٥٧ - قتل في معركة بروج .

وابو عمرو الهروي « شمس حدوده » (١) . وكان لهوياً أخصاً ، حافظاً للغريب من الشعر . درس على الأصمعي وأخذ عنه اللغة التي احتص بها فيما بعد ، وأخذ النحو والأدب . وله مصنفات كثيرة في اللغة ، أهمها معجم في اللغة بدأ به بحرف الجيم ، على ترتيب كتاب العين للخليل بن أحمد . ولم يسبقه أحد إلى مثل هذا المعجم ، ولكنه ضاع وبقى جزء فقط . ابو هفان « عبدالله بن احمد بن حرب » (٢) . وكان هوياً شعراً ، ومقتراً صيق اجل . أخذ اللغة عن الأصمعي ودرس الأدب عنه . وله كتاب « احراز الشراء » وكتاب « صناعة الشعر » وأشعر كثيرة حدها في كتاب معجم الأدباء (٣) . وأخذ عنه « يوت بن المزروع » و « احمد بن ابي طاهر » وعندهما .

و « علي بن ابييرة » المعروف بالآزم (٤) . وكان لهوياً وحوياً . يستغل وراقاً نسخ كتب العلماء وهي مصححة . عيه استدعى بن صريح كتاب الرشيد لنسخ الكتب العلمية المصنفة من قبل علماء ذلك العصر والتي كانت تحفظ في قصر الخلافة . ولعل هذا اشعار كثيرة بقي بعضها حتى يوم هذا (٥) .

وابو عمرو الجرمي « صريح بن اسحاق » (٦) . وكان فصحياً عاباً بالنحو وباللغة . وهو من اش اصرة ، أخذ النحو عن يونس الجوهري ولغة والأدب عن الأصمعي ، ثم قدم بغداد فدرس النحو أيضاً على الأحفش

(١) توفي ابو عمرو الهروي عام ٢٥٥ هـ .

(٢) توفي ابو هفان عام ١٩٥ هـ .

(٣) معجم الأدباء : ج ١٢ ص ٥٥١ .

(٤) توفي الآزم عام ٢٢٢ هـ .

(٥) معجم الأدباء : ج ١٦ ص ٧٧ .

(٦) توفي ابو عمرو الجرمي عام ٢٢٥ هـ .

ومن مؤلفاته في النحو كتاب جيد يدعى «الفرح» ومعناه فرخ كتاب سيبويه المعروف باسمه . وله أيضاً كتاب مختصر في النحو وكتاب «الأبنية» في اللغة وكتاب «العروض» (١) . وكان مديباً ورعاً حسن المذهب . وقيل أنه درس ديوان المدليين على الأصمعي وروى عنه الشيء الكثير . وتخرج على يده عدد من علماء ذلك الزمان .

وأبو عثمان الناري «نكر بن محمد بن عثمان» (٢) . وهو من أشهر النحاة في عصره وإلى أسبى علم النحو . وله مؤلفات كثيرة منها كتاب «الألف واللام» وكتاب «التصرف» وكتاب «العروض» وغيرها ، ولكن لم يصب منها شيء . درس على الأصمعي اللغة والنحو والأدب والأخبار ، ولارمه طويلاً وروى عنه الكثير . وعاصر الناري الحليفة العباسي «الوائق» و «المتوكل» وحسبها . وعنه أحد الكثير من نسخة ذلك العصر (٣) . وابن السكيت «يعقوب بن اسحق» (٤) وهو من نخبة الكوفة ، نفي الأصمعي وأحد عنه اللغة والأدب . وله تأليف كثيرة أشهرها كتاب «اصلاح المنطق» وكتاب «هذيب الألفاظ» وقد تخرج على يده عدد كبيرون في النحو واللغة والأدب والأخبار (٥) .

وأبو عمران «موسى بن عبد الملك» (٦) . وكان من جملة الرؤساء وأوصل الكتاب وأعيانهم . حده جماعة من الخلفاء وكسب لهم . وكان إليه (ديوان السواد) في عهد المتوكل . وله ديوان رسائل وأشعار

(١) ابن حنكلا : ج ٢ ص ١٧٨ .

(٢) توفى الناري عام ٢٤٩ هـ .

(٣) ابن حنكلا : ج ١ ص ٢٥٤ .

(٤) توفى ابن سكيت عام ٢٤٤ هـ .

(٥) ليريقي : ٨٥ .

(٦) توفى أبو عمران عام ٢٤٦ هـ .

كثيرة لا تزال آثارها باقية في عصر كتب الأدب . أخذ عن الأصمعي ،
وصاحبه في بغداد أيام كان هذا في بلاط الرشيد (١) .

والتوري « عبد الله بن محمد » (٢) . وكان من كبار عباء النحو
واللغة والأدب . ومن أعرفهم بأخبار العرب . أخذ اللغة وغيرها عن الأصمعي ،
وقد لارمه طويلاً وتحدث عن أحاره (٣) .

« يحيى بن واقد الطائي : ولد سعداد واسقل إلى البصرة فتوسطها ،
وأخذ عن الأصمعي النحو واللغة . وكان ثقة صدوقاً احبب إليه الشيوخ
وتخرج عليه عدد كبير من الناس . وله مؤلفات لم نعتز عليها (٤) .

« إبراهيم بن سفيان » المعروف باريدي سببه إلى جده الأعلى ريد
ابن أبيه : وكان نحويًا لغويًا راوية ، قرأ النحو على سبويه ، وأخذ
اللغة عن الأصمعي . وكان شاعرًا ولا تزال آثاره الشعرية في عصر كتب
الأدب . ومن تصانيفه كتاب « النقط والشكل » و « تنسيق الأخبار »
و « أسماء السحاب والرياح والأمطار » وغيرها (٥) .

وربما كان عدد من أخذ الأدب والشعر عن الأصمعي من الطلاب
أكثر ممن أخذ عنه اللغة والعلم لما اشتهر به الأصمعي في ذلك الوقت من
رواية غريب الشعر وتفسيره وتقدمه ، ومنهم :

« القاسم بن سلام » النكفي : كان أبوه عدداً رومياً من
اهل (هرات) . استعمل أبو عبيد بالحدث والأدب والفقه . وكان دساً

(١) اس حكاك : ج ٤ ص ٤١٩ .

(٢) راحة الالاء : ٢٣٢ .

(٣) معجم الادباء : ج ٢٠ ص ٣٨ .

(٤) معجم الادباء : ج ١ ص ١٥٩ .

ورعاً متفصلاً في اصف علوم الاسلام والقراءات والفقه والعربية والأخبار .
وهو يصح ان يعد من رجال الحديث لولا ان كنهه كان لها شأن لعوي .
روى عن الأصمعي ، وألف بصحة وعشرين كتاباً ، وهو أول من ألف في
غريب الحديث ولم يصلنا من كنهه غير كتاب « غريب الحديث »
و « غريب المصنف » و « الأمثال » و « فضائل القرآن وأدبه »
و « المواعظ » (١) .

« عمر بن شه » ويكنى ثني ريد ، ويدعى « ابن ربيعة الميري » .
من البصرة شاعراً اُحارناً راوية صادق الدهشة ، وقد ألف ما يريد على
اثنين وعشرين كتاباً في وصف البصرة والكوفة ومكة وأمرائها وغير ذلك ،
صغت كلها إلا كتب « الحمرة » وهو يشمل على احوال العرب العرباء
وشيء من ايامهم وأشعارهم وحروبهم قبل الاسلام مع الفرس والروم واليمن
وهو من قليل القصص التاريخية (٢) .

« محمد بن سلام الجمحي » من اهل البصرة . كان عالماً بأسرار
والأخبار . ألف كتاباً في طبقات الشعراء المحدثين وطبقات الشعراء في
الاسلام . وهذا الكتاب اقدم ما وصل اليها من كتب الطبقات ، ومن
مرجع طلاب الشعر الى عهد غير بعد . وقد احدث منه صاحب كتاب
الأغاني وأبو عبيد الله في كتابه « الأغاني » وارجح والسيوطي . وله
كتاب اخرى مفقودة ، منها كتاب « موت العرب » و « مسجع
الأشعار » (٣) .

« هشام بن ابراهيم » المعروف بالكركدي . حاشي الاصمعي ، وكان

(١) ابن خلكان : ج ٣ ص ٢٢٤ - توفي عام ٨٢٢٣ .

(٢) ابن خلكان : ج ٣ ص ١٢٧ - توفي اس شه عام ٨٢٦٢ .

(٣) جرحي زيدان : ج ٢ ص ١٠٨ - توفي ابن سلام عام ٨٢٣٢ .

عائلاً باللغة وأيام العرب وأشعارها . روى عنه خلق كثير منهم « الفصل من
الحيات » . وله تصانيف عدة أشهرها كتب « الوحوش » و « النبات »
و « الحشرات » ، « حقيق الخيل » وله محاسن مع العراء والأدباء
سجعت أشعاراً كثيرة (١) .

« أحمد بن حاتم الشامي » المعروف برؤي نصر ابن أخت الأصمعي
وأقرب الناس إليه . وفيه يقول : « ما يصدق علي إلا أبو نصر » .
وكان أبو نصر يروي عن حاتم كنهه كلها . اقدم تعداد شيوخه إلى
سمراء . . يقول « أبو العباس ثعلب » : دخلت على عقوب بن السكيت
وهو يعمل كده « اصلاح انطق » فقال : أبا العباس رعت عن
كدي ؟ قلت له : كذلك كبير . وأما عمت سندريش للقيس .
فقال : سر معي أي أتي تتر صاحب الأصمعي . فقصت معه : فوجدت
في الطريق ، قال . فوجدت أبا نصر عن بنت شعر فحار حواء
في أرضه . وفيه أعداد عليه : قلت : لا فعل . وفيه منه أحودة ،
وقد أحلتك سعض . فوجدت دجند عليه منة عن التت ، فسر له : يا
مؤاخر . انت وعدنا وأما قرئت حتى رموني بك ، عدي عشرون حواماً
في هذا . فحجل من ذلك وحرحاً . قلت له : لا مقدم لك هـ هـ ،
أخرج من « سر من رؤي » واكتب لي عما أحس اليه للأسفل منه
وأعرفت إيد . . ولأني تتر من التآيف كتب « الشعر والبست »
و « اللبأ واللبن » و « الأبل » و « آيات المعاني » و « الشقي
الأسماء » و « الرزع والنحل » و « كتب الحيل » و « الطير »

(١) معجم الأدباء : ج ١٩ ص ٢٨٥ .

و « ما يلحن فيه العامة » و « الجراء » (١) .

(عند الرحمن بن عبد الله الأصمعي) ابن ابي الأصمعي . كان من اللغويين الأدباء . وقد اشتهر في روايته المأخوذة عن عمه . وكان يلازمه في حلقاته ، ويصاحبه في بعض أسفاره حتى قيل أنه كان راويته الحص به ويكاد لا يروي إلا له فيما كان ابن سمه أو صر يروي لأخرين من العلماء عدا خاله . وعن عبد الرحمن أحد عـدد من العلماء كانوا يقصدونه لأخذ رواية عنه عنه ، لأنه كان ثقة . وقيل انه كان من الثقات . وله كتاب (معاني الشعر) ومن كتاب الأصمعي الذين اشتهروا أخيراً بالحديث والفقہ :

« محمد بن عيسى » المعروف بترمذي . وكان أحد الأئمة الذين قدموا في علم الحديث . صنف كتب (الجمع والعلل) تصنيف رحل من . وله كتاب بصرى مثل . صدق : وهو مبرر عي . نقول السيوطي انه درس على الأصمعي وأحد عنه اللغة (٢) .

« سليمان بن معد » (٣) المعروف بابي داود السجستاني المروزي . وكان محدثاً نحويّاً دخل بغداد وأحد عن الأصمعي وغيره . ورحل في طلب العلم وحاجب بلاداً كثيرة ؛ وكان ثقة وله معرفة تامة باللغة .

وقد سبق ما أتت ذكره في كتابنا هذا أسماء بعض من أخذوا عن الأصمعي كثيراً أو قليلاً أمثال الإمام مالك والإمام محمد بن إدريس الشافعي . وعمرو بن نحر الجحط ، ومحمد بن القاسم المعروف بابي العيص

(١) معجم الأدباء : ج ٢ ص ٢٨٣ - توفي أبو نصر عام ٢٣١ هـ .

(٢) طبقات اللغويين للسيوطي : ٣١٣ - توفي الترمذي عام ٢٧٥ هـ .

(٣) توفي سليمان عام ٢٥٧ هـ .

واسحاق الموصلي ، والعباس بن الأحف ، وأبي نواس وغيرهم .
وإذا تفحصنا كتب السير وجدنا عدداً آخر كبيراً ممن درسوا عليه وأخذوا
عنه أمثال : عمرو بن معدة وزير المؤمنين ، وصر بن علي الجهمي ،
وأبي جعفر بن هصح ، ورجاء بن الخارود ، ومحمد بن عبد الله بن
ريحوة ، ومحمد بن اسحاق الصعائي ، وعقوب بن سفيان القسوي ، وشر
ابن موسى الأسدي ، وأبي العباس الكندي ، وأبي عثمان بن قيس ،
وأحمد بن محمد اليزيدي ، والعباس بن رستم ... ولكل من هؤلاء ،
تاريخ معروف .



القسم السادس

دراسة آثارة

١ - اتاحه :

- تصانيفه ومؤلفاته .
- نقده وآراؤه في الأدب ، واقواله .
- شعره .
- نوادره عن الأعواب ، ومدرسة القصة .
- الوان نوادره .

٢ - منقولاته ورواياته :

- روايته للشعر
- روايته للأمثال والحكم .
- روايته للطرائف والملح .
- روايته للأخبار التاريخية .
- روايته لسير الشعراء .

٣ - الأصمعي بعد موته .

- قصة عنتر ، وغيرها .



دراسة آثاره

مات الأصمعي ، وترك وراءه تراثاً ضخماً في العلوم التي اهتمت بها ؛ فكان ذلك عاملاً رئيسياً من عوامل جلوه . وهذا التراث على قسمين : منه ما كان من إنتاجه كقولنامه ، وآرائه النسبة في الأدب والاحتجاج ، وأشعاره التي نظمها في المساجد . ومنها ما كان رواية عن الغير في اللغة والأدب والشعر والأخبار وغير ذلك مما كان من اختصاصه .

وليس باستطاع احصاء الكتب القديمة والحديثة - على اختلاف اتجاهها - التي نقت واقتست من تراثه هذا . ولا يعو في القول اذا زعمنا أنه يكاد لا يوجد مؤلف قديم - في اللغة أو الأدب - من شيء من إنتاجه أو روايته ، سواء أذكر اسمه عند أم لم يذكر .

يقول بعض العلماء : « لا عربة من لم يدرس الكتب الأربعة : ليس والتبيين للحافظ ، والأعاني لأبي الفرج الأصمعي ، والألماني لأبي علي القاسمي ، والعقد الفريد لأبي عبد الله . وقد نحت في هذه الأسرار الأربعة نحتاً دقيقاً فوجدنا الحافظ قد نقل عن الأصمعي في كتابه هذا نحواً من ستين رواية أو رأياً أو حديثاً ، ووجدنا في الأعاني ما يقرب من مائة وخمسين مرة ذكر فيها اسم الأصمعي ؛ وأما كتب الألماني وكتب العقد الفريد فيكاد لا يوجد فصل فيهما من رأي له أو رواية عنه ، حتى ينص الباحث فيهما ان كلا من مؤلفيهما اعتمد أكثر ما اعتمد على تراث صاحبا هذا .

وقل كذلك عن أهمية كتب الأدب العربي الأخرى امثال : عيون الأخبار و « أدب الكاتب » لابن قتيبة المتوفى في القرن الثالث الهجري ، و « ديوان المعاني » و « كتاب الصناعتين » لأبي هلال العسكري في

القرن الرابع ، و « المدة » لابن رشيح القيرواني في القرن الخامس ،
و « نزهة الألباء » للأشعري في القرن السادس ؛ وغير هؤلاء في القرن
السابع والثامن والتاسع ، وحتى علماء القرن العاشر أمثال السيوطي وغيره
من أصحاب المؤلفات الكثيرة ، وكلهم قد ورد مهمل الأسمعي وغرف
مه . . هذا عدا المعاجم القوية القديمة الطائفة برواياته وآرائه ومذهبه ،
أو بآثار طلابه الذين لارموه طولاً وأخذوا جل ما في مؤلفاتهم عنه .

من هذا كله يصل الى القول بأن الاحاطة بآثار الأسمعي الكثيرة
ودراستها دراسة علمية ليس بالأمر الممكن ؛ لذا اكتفي هنا بالالمام ببعضها ،
واعطاء صور متنوعة منها تريباً ما بذله هذا النافع المبقر من الجهود الجارة
في خدمة العلم والأدب ، في الحائتين « : الاساج » و « النقل ورواية » .

تصانيفه ومؤلفاته

بلغ عدد ما وصلنا حتى الآن من اسماء كتبه عن طريق المعاجم
ومؤرخي سير العلماء والأدباء ، نبهاً وخسناً ؛ وقد تكشف لنا
المستقل عن اسماء اخرى ما تزال محبولة . . وانوسف ان جل هذه
المصنفات التي عرفنا اسماءها صانع ، ولم يصل الى ادبنا منها غير النزر
اليسير ، طبع البعض منها ، وبقي البعض الآخر في نسخ خطية تنتظر
من يطمحها .

ذكر لنا (ابن حنك) في كده (وفيات الأعيان) ما بقي من
هذه الأسماء (١) :

١ - كتاب خلق الانسان ٢ - كتاب الأجناس

(١) ابن حنك : ح ٢ ص ٣٤٩ .

٢٠ - كتاب السلاح	٣ - كتاب الأنواء
٢١ - » اللغات	٤ - » الهمز
٢٢ - » مياه العرب	٥ - » المتصور والممدود
٢٣ - » البوادر	٦ - » الفرق
٢٤ - » اصول الكلام	٧ - » الصفات
٢٥ - » القلب والابدال	٨ - » الأنواء
٢٦ - » جزيرة العرب	٩ - » الميسر والقذاح
٢٧ - » الاشتقاق	١٠ - » خلق القوس
٢٨ - » معاني الشعر	١١ - » الحيل
٢٩ - » المصادر	١٢ - » الابل
٣٠ - » الأراجيز	١٣ - » النشاء
٣١ - » المحلة	١٤ - » الأحبية والبيوت
٣٢ - » السمات والشعر	١٥ - » الوحش
٣٣ - » ما انفق لفظه	١٦ - » فعل وافعل
واختلف معناه	١٧ - » الأمثال
٣٤ - » غريب الحديث	١٨ - » الأضداد
٣٥ - » بواير الأعراب	١٩ - » الأنط

وبعد أن ذكر اس حكايا هذه الأسماء قال : « ... وغير ذلك »
اعتقاداً منه بوجود غير هذه الكتب للأصمعي ولكن لما تطلعه اسمائها ، أو
انه اكتفى بذكر هذا العدد خوف الإطالة . وقد جاء في كتاب « الفهرست »
لابن النديم ما يؤيد هذه الأسماء ، ويضيف إليها ما يأتي : (١)

(١) فهرست : ٥٦ .

٣٦ - كتاب الأوقات

٣٧ - « الدلو

٣٨ - « الرجل

٣٩ - « القصائد الست

٤٠ - « الخراج

٤١ - « السرج واللجام والشوي والعنال

٤٢ - « النسب

٤٣ - « الأصوات

٤٤ - « المؤنث والمذكر

٤٥ - « أسماء الخمر

٤٦ - « ما تكلم به العرب فكثرت في أفواه الناس

٤٧ - « الأصمعيات

والظاهر ان ابن الدم اصلاً لم يخص اسماء كل مؤلفاته . فقد وجدنا

في بعض كتب الأدب واللغة اسماء اخرى نسب الى الأصمعي ، مثلاً :

٤٨ - كتاب رجز العجاج - رواية الأصمعي - (١)

٤٩ - كتاب شرح ديوان رؤية بن العجاج (٢)

٥٠ - كتاب شرح ديوان دي الرمة

٥١ - كتاب الأنواب (٣)

وقد طبع أخيراً كتاب من رواية أبي حنم الجبتي عن استاذ

(١) حريز الأدب : ج ١ ص ٨٤ .

(٢) حريز ريدان : ج ٢ ص ١٠٢ .

(٣) الأسماء : ج ١ ص ٢٤٦ .

الأصمعي ، هما :

٥٢ - كتاب النخل

٥٣ - كتاب الكرم

وفي المكتبة الوطنية الفرنسية في « باريس » كتب في ساحة حطية
نقلت عن أبي حاتم السجستاني أيضاً ، وقد أحده عن محصرات القه
الأصمعي في بغداد ، وعنوانه :

٥٤ - العرب من أبناء هود .

وقد عثرا أيضاً في بعض كتب اللغة والأدب على مجموعات من الكلمات
اللغوية ، مقتصة من آثار الأصمعي ، مدقة مدبرة في معنى ، فكأن
أحدث عن كتاب واحد عي تصحيحه . ففي كتاب « إرهر » لسيوطي
مثلاً نجد مجموعة من هذه الكلمات ، حول مددة (اللسان) وسمائه وأوصافه
مذ روله من الصرع حتى آخر ما يمكن أن يحصل فيه من خمر وفساد ،
يدل على احتمال وجود كتاب للأصمعي عنوان « المن » ولكنه لم يذكر
بين الأسماء التي عثرا عليها (١) .

ومهما يكن الأمر ، فإن معظم كتب الأصمعي قد فقدت وحسب ، ونقلت
أسماء بعضها في أدب . وحل هذا الناق الذي عثر . على أسمائه لا يعرف
طراز تصحيحه وما هي أبحاثه بالدقة . اليوم إلا ما كان قد اقتبس منه في مؤلفات
بعض المؤرخين عن عهد الأصمعي . . فكأن « الأحاس » مثلاً ، صانع
مفقود ، ولكن السيوطي اقتبس فضلاً صغراً منه في كتابه إرهر ، فوجد ،
فيه أربعة عشر معنى لكلمة « عين » وحدها ، فدل هذا على أن الكتب

(١) الزهر : ج ١ ص ٢٦٦ .

قد صنف على قاعدة « تعدد انعاي للكلمة الواحدة » (١) ؛ وهو أسلوب قريب جداً من أساليب المعاجم اللغوية الحالية عندنا . ويقول السيوطي : ان الأصمعي أول من اطلق كلمة « الاجناس » على هذا النوع من الصنف اللغوي . (٢)

ويقول الدميري في كتابه حياة الحيوان : « رأيت كتاب - غريب الحديث - للأصمعي في نحو مائتي ورقة ، مكتوب بخط الحسن السكري » (٣) ولم يحدث أكثر من ذلك عن هذا الكتاب . . . وجاء في روضة الالباء : ان كتب « الوادر » صنفه الأصمعي واهداه الى جعفر بن يحيى البرمكي . ويحك ان لا نخطئ بين كتاب « الوادر » هذا وكتاب « نواذر الأعراب » ، لأن الأول في اللغة ، والثاني مجموعة قصص صغيرة ذات معان اجتماعية ممددة رواها الأصمعي عن الأعراب (٤) .

والظاهر ان كتب « الخراج » مصنف في اللغة ، يبحث في اسماء الخراج ونواعه ، ولا يبحث في الخراج من الدحية الفقهية التي عني بها ابو يوسف القاضى في كتابه المعروف . . . والأصمعي كتاب « شرح ديوان دي الزمة » وهو كتب ادب كما يدل عليه عنوانه ، ولا يستبعد ان يكون الأصمعي قد صنف هذا الكتاب وعني به ، وقدمه لمعلمه شارح الرشيد الذي كان يسوق اشعار هذا الشاعر وزمط معظمها - كما ذكرنا سابقاً - .

(١) الزهر : ج ٢ ص ٢١٩ .

(٢) الزهر : ج ٢ ص ١٨٩ .

(٣) حياة الحيوان . ٧٣ -

(٤) روضة الالباء . ١٠٥ - يقول الأشاري راجعاً محمد بن يحيى عن كتابه اسم او مر في اللغة على مثال نواذر الأصمعي الذي عمله جعفر البرمكي .

وفيا يأتي اسم كتب الأصمعي التي وصلت أيدينا اليوم

١ - وجز العجاج : رواية الأصمعي : ولا يزال الكتاب في سعة خطية لم تطبع ، محفوظة بالمكتبة الخديوية بمصر . (١) .

٢ - كتاب الغريب أو « عرب الحديث » وسعته الخطية لم تطبع أيضاً ، مودعة في مكتبة الأسكوريال في إسبانيا . (٢) .

٣ - كتاب الخيل (٣) وينحدث فيه الأصمعي عن أسماء أعضاء الخيل وأعمارها مع ذكر ما قيل في ذلك من أشعار . ثم يبحث عما يستحب من حلقة الفرس ، وما كرهه منه ؛ وفي صلة مشي أحل وعدوها وألواها وشياتها - أي علاماتها من عزز وحول - ؛ وفي أسباب أحسن العربية المعتقة المعروفة بالعدو والطرء . ويذكر بعض الحكايات عن ذلك .

٤ - كتاب الشاة (٤) : وبدأ به عن حل الشاة ، وتعدد اسمائها اسم الحل وبعد الولادة ، وعن عمر الشاة ودرجتها في السن ، ثم عن اسمائها عند الحل ، وأنواع الحل ، وحلقة الشاة وعيوبها ، وما سحبت منها ، وتركيب قرونها ، وأسماء قطعانها حسب العدد .. والكتاب صغير جداً .

٥ - كتاب الفروق (٥) : منتج الداء ونسكين الدف : وقد جاء فيه ما خالف الإنسان فيه من الهائم . ويبدأ بالفم ، ثم الشفة ، ثم الأنف ، فالظفر ، فالرجل ، فالصدر ، فبطني ، فالعرج ، ثم الخط ، والبصق ،

(١) جرجي زيدان : ج ٢ ص ٢٧٦ .

(٢) أنظر جرجي زيدان : ج ٢ ص ٢١٩ .

(٣) طبع في « فينا » عام ١٨٨٨ ميلادي من قبل الدكتور « أوجوست هابر » .

(٤) طبع في « فينا » عام ١٨٨٨ ميلادي من قبل الدكتور « أوجوست هابر » .

(٥) طبع في « فينا » عام ١٨٨٨ ميلادي من قبل الدكتور « د. د. هابر » .

والعرق ، والخموس ، والتفوط ، ثم العلة - أي البلوع - والنكاح والحل والولادة ، وأسماء الأولاد ، ثم أسماء جماعات الأشياء ، وأنواع أصوات الطير والبهائم والوحش .

٦ - كتاب الدارات (١) : وهو كتاب صغير نقله عن الأصمعي تلميذه أبو حاتم السجستاني . يذكر فيه أسماء خمس عشرة دارة مع أشاد بيت أو بيتين لكل دارة . ولم يذكر هذا الكتاب في الأسماء التي عثرنا عليها بين كتب الأصمعي .

٧ - كتاب الوحوش (٢) : وفيه أسماء الوحوش وصفاتها . ويبدأ بأسماء الحمار الوحشي وصفته وأعضائه . وأسماء النقر وصفاتها وأسماء أولادها مع ذكر ما قيل فيها من شعر أو رجز ، وذكر أعضائها ولبنها وأسماء قطعها : ثم أسماء الطاء وصفاتها وأسماء أولادها : وأسماء الوعول وصفاتها ، وأسماء العمام وصفاتها وصفاتها ؛ والأسود وأسمائها وصفاتها ، والذئب وصفاته ، والصع وأوصافها ، والتعلب وأسمائه : والأرانب وصفاتها .

٨ - كتاب النبات والشجر (٣) : يحدث في أول فصل عن النبات عموماً ، وأسماء بعض الست الذي يست في جزيرة العرب . وكذلك عن الست من الأحرار وغير الأحرار من قول وأعشاب ، وفصل آخر في أسماء المذكور من الست ، وآخر من غير المذكور ، وفصل في أسماء الحمص ، وفصل فيما يست في السهل ، وفصل فيما يست في الرمل من أشجار وعيرد .

(١) صمغ في بيروت عام ١٨٩٨ ميلادي بإسماء الأب لوس شبحو اليسوعي .

(٢) طبع في « صا » عام ١٨٨٨ بواسطة الدكتور « رودولف خير » .

(٣) صمغ في بيروت عام ١٨٩٨ بواسطة الدكتور « أوجيت هامبر » .

٩ - كتاب النخل (١) : وبدأ بصدر النخل وسعفه ، وحمل النخل وسقوطه وطلعه وادراك ثمره ، وتغير ثمره وفساده ، وصراحه اذا ألقي ، وطول النخيل ، وأجاسها ، وعذوقها ، وأغرائها ورفع ثمرها .

١٠ - كتاب الكم (٢) : وهو رواية أبي حاتم المجسني . وبدأ فيه بأسماء شجر العنب وصروب العنب ، وحوائطه ، وسقيه ، وحده ، ومراحل بصوجه ، ودرعه ، وعرسه ، وعموه ، وأنواع خدمته والأعضاء به في شجره ، وأسماء نوى العنب ، وعصره وأسماء حموره وألوانها ، وأسماء الحل الذي يعمل منه .

١١ - كتاب الأبل (٣) : ويتحدث فيه عن حمل البقرة وتعدد اسمها أثناء الحمل ، وأسماء الخوار في مراحل نموه ، والمذوح من صفات الأسل والمذموم .

١٢ - كتاب خلق الإنسان (٤) : وفيه أسماء أعضاء الإنسان وأعماله ورواجه وولادته .

١٣ - كتاب « الأصمعيات » : (٥) وهو مجموعة قصائد حسب روايتها إلى الأصمعي ، وهي سبع وسبعون قصيدة . وقد روى بعضهم أن الأصمعي أراد أن يكمل « المنصيات » التي جمعها انفصل الصبي ، ويريد سلبها . كما أن بعضهم يروي أن المنصيات هذه التي بين أيدينا لم يجمع هذا الجمع

(١) سمع هذا الكتاب في الأصمعي الدكتور هاشم علي وجه لطلب ، ورأى كتابه في سنة ١٩٠٢ م .

أبي حاتم : اطرح كتاب البقرة للأب شيخو اليسوعي .

(٢) طبع في بيروت عام ١٩١٤ م . الأب شيخو اليسوعي . وقد طبع فيها عام ١٩٠٢ م .

(٣) طبع في بيروت عام ١٣٢٢ هجري .

(٤) سمع في بيروت عام ١٣٢٢ هجري .

(٥) طبع في « ليرك » عام ١٩٠٢ م بواسطة الأستاذ « اسورب » .

من الكبر الا بزيادة الأصمعي فيها .. ونقول محمد بن الليث الاصبهاني :
« املى علينا ابو عكرمة الضبي امصليات ، وذكر انها كانت ثلاثين قصيدة
فقط ، وكان جمعها لأمير المؤمنين - المهدي - فقرئت بعد ذلك على الأصمعي
فبلغ بها مائة وعشرين قصيدة » (١) . ويقول الدميري : انها ليست بالمرصية
عند العلماء لقلة غرابتها واختصار روايتها . (٢)

١٤ - كتاب « ما اختلفت العاقله وانفقت معانيه » : وهو كتاب لغة
يدل عليه عنوانه : اخذته اربعة عن ابن اخيه عبد الرحمن ، ونقل عن نسخة
مخطوطة في القرن التاسع الهجري ، ويشتمل على ثلاث وارسين صفحة طبع
في دمشق عام ١٣٧٠ هـ .

نلاحظ في هذه الكتب المطبوعة ان بعضها احدث عن تلميذه ابي حاتم
السجستاني اندي كان من اقرب طلابه اليه واكثرهم ملازمة له ، واخذ
بعضها الآخر عن عبد الرحمن ابن ابي الأصمعي ، مثلاً عن خاله ؛ مما يدل
على ان معظم تصانيفه التي عني بتأليفها نفسه قد فقدت بعد موته بقليل ..
وقد أخبرنا صاحب « معجم الأدباء » قال : انتقلت مؤلفات الأصمعي بعد
وفاته الى ابن اخته « احمد بن حاتم الباهلي » المعروف بأبي نصر ؛ فكان
ينقلها معه وسكسب بها . وفي ذات يوم دعا « الخصب بن اسلم » ابا
نصر الباهلي هذا الى مدينة « اصبهان » ليحاضره ويميد من عنده ، فقبل ابو
نصر معه مصنفات الأصمعي هذه التي كان يحفظ بها ؛ واقام عبد الخصب
في اصبهان مدة قصيرة من الزمن ثم عزم عن الحج ، وذهب لذلك ؛ ولكنه
احضر عنه من يودع هذه المصنفات حتى يعود ؛ فحضر ابو عميدائه بن

(١) معجم الاسماء : ج ٢ ص ٢٧٦ .

(٢) فهرست : ٥٥ .

الحسن وطلب منه ان يئله على رجل امين يودعها عنده ، فقال له عبدالله :
اودعها عند « محمد بن العباس » مؤدب اولادي ، فهو رجل مؤتمن لا
يعرف بسوء ، فلم اؤ بصبر الدفاتر اليه وخرج . ولكن محمد بن عبدالله
ابن الحسن اعطاها لمن نسخها من الناس بدون علم استاده ولا ابيه ؛ فلما
قدم اؤ بصبر الباهلي من حجه وعرف الأمر قامت قيامته ؛ ودخل على
عبدالله بن الحسن وذكر له ما فعل اؤ ، وما كان يأمل في دفاتره من
التكسب بها - وكان اؤ بصبر هذا سليل اللسان - فجمع له عبدالله من
اهل البلد عشرة آلاف درهم ، ووصله احصيص من أسلم بعشرين ألفاً ،
فتناولها ورجع الى البصرة (١) .

يبدو لنا ، من هذه الرواية وما نعرفه عن نحل الأصمعي ومن حوله
من أسرته ، بأن عوامل كثيرة تصافرت على اصعدة آثره ونايحه : منها
أنه هو نفسه كان يصنع نكسه على الناس ، فلم يكن ممن يسمح للوراقين
بنسخها وتوزيعها على طلبة العلم حرصاً منه على الاحتفاظ بثروته العلمية التي
كانت سر شهرته وراثته ، وإن كان يسمح لطلابه بتدوين ما يبقيه من ناس
محاضراته .. ومنها انتقال مؤلفاته بعد موته الى رجل مخرج الى التكسب بها
من اجل العيش ، ومثل هذا يصنع عادة بما لديه على الناس خوفاً من
انقطاع المورد . فكان من جراء ذلك ان بقيت هذه المؤلفات دودة بين
طلاب العلم . فلما تبادت السنين ونشت الفتن وتمزقت دوة بني العباس
وحدث ما حدث من الحروب والعارات والتخريب على ايدي الغول صاع
اكثر تراث الحاصرة الفكرية عند المسلمين ، ومن يسبها آثار الأصمعي .

غير ان الذي عوض ما بعض الشيء عن هذه الخسارة ، هو ان ذلك

(١) معجم الأدباء : ج ٢ ص ٢٨٥ .

العدد الكبير من الطلاب ، الذين لارموا الأصمعي اعراماً طويلة ، تقوا عنه
 الشيء الكثير مما كان يلقى في حقيقته ويحصره في محالسه ، من آراء
 وروايات وبنوادر وأشعر ، ودونوا قسماً من كتبه أثناء اطلاعهم عليها ، وتقوها في
 في الواحهم ودقارهم وادحوا في تصانيفهم ، فانتقلت بواسطتهم الى طلابهم
 ومن أتى بعدهم من العلماء ، فسحبوها هم ايضاً في آثارهم اللغوية والأدبية
 وندمحت بعدهم وتورعت بين معاصري اللغة وكتب الأدب والشعر . . يقول
 السيوطي مثلاً . « .. وأما القسم من سلام النكبي ، فني شديد فنه مصنف
 حسن الأسلوب ، إلا انه قليل الرواية ، وقد سمعت في كتابه - العرب
 المتصرف - على كتب عمه رجل من بني هاشم جمعه لنفسه ، وأخذ كتب
 الأصمعي فبوت ما فيها ، وأضف اليها شيئاً من غيره الى ربه وروايات ابن
 الكميين . . وكل القسم هذا ممن أخذ عن الأصمعي » (١) وهذه الرواية
 المنقصة معطاة صورة عن مصير آثار الأصمعي وكيف دانت في حظيرة
 المحفوظات المعوية ولادية التي من اسم اليوم .

ومهم نكن ، من نظرة فحشية على اسمه كنهه ابي دونها هب نذل
 على ان انقسم الكثير منها كان في اللغة ، وقد صيغت على طريقة « جمع
 الكلمات المتعددة في المعنى » وهي الخطوة الثانية التي خطاها العرب حتى
 صيغوا المعجم المعوية على الشكل الذي بين أيدينا . فقد بدأ علماء اللغة
 في جمع أول ما بدأوا على طريقة « جمع مفردات كنه المعنى » ثم صاروا
 يجمعون « متعددة في المعنى » كما فعل معصرو الأصمعي ، ثم تطورت
 بعد ذلك الى أسلوب المعجم الحديث في « جمع الكلمات حسب أحرفها
 الأولى ، وأعطى المعنى المختص لها » . على ان الأصمعي وبعض معاصريه

(٢) ليرمى : ج ٢ ص ٢٥٧

امثال اخيليل بن احمد وغيره بدأوا بالخطوة النشطة هذه كما جاء في كتب
« العين » لخليل ، وكتاب « الاجناس » للأصمعي ، ولكن هذه
الطريقة لم تكتمل الا في العصور التي تلت .

ولم يؤلف الأصمعي في النحو كما فعل غيره مثل « عيسى بن عمر
الثقفي » و « سيويه » وامثالهما ، ولكنه كان يصرق الى القواعد النحوية
اسماء غيره للشعر العرب ورواه في فقه اللغة . وفي اسماء كسبه الصائغة
ما يدل على انه ألف في بعض جوابات النحو كتاباً خاصة ، ولكنه لم
يعمد الى اتياف فيه ووجه عدم .

ومما ينبغي في الادب فعددها فن منها في اللغة ، وقد جاء في اسماء
كسبه التي سرفت ، عدم منها ، ككتاب « معاني الشعر » و « شرح
ديوان ذي الرمة » و « شرح ديوان رؤفة بن العجاج » و « الأصمعيات »
و « القصائد الست » و « بحر العجاج » وغيرها . وزاد في الادب
اكثر مما ذكر ، ولكن اسماء كسبه هذه صاعدت مع الاسماء الاخرى .
وقد رأينا رؤف في سائر اعمدة عمدة الاخرى التي احصى بها او لم
يها بما واسع .

نقد وآراء خاصة واقواله

والأصمعي آراء خاصة كان يبدى اسماء عقده باللغة وادب والشعر
والمقارنة بين الشعراء ، واقوال حادثة شبه الحكماء او المواقف او غيرها
اثناء محاضراته في حلقاته او احتكاكه بالناس في مجتمعه ومجالس اصحابه .
وهي قيمتها تسحق العادة والتسجيل لانها الوان من الانساج الفكرية .
غير انها كثيرة لا يمكن حصرها بعد ان تبعثرت في بطون الكتب .

وتتأقدها العلماء والأدباء في مؤلفاتهم . وفيما يأتي صور من هذا الإنتاج
نقتبسه من بعض كتب الأدب القديمة :

يقول « التوزي » : سألت الأصمعي : من أشعر الناس ؟ قال :
« من يأتي بالمعنى الخيس فيجعل له بلفظه كبيراً ، أو الكبير فيجعل له
بمعناه حسناً . وأشعرهم أيضاً من ينقضي كلامه قبل القافية ، فإذا احتاج
إلى القافية أودى به معنى » قلت : نحو من ؟؟ قال : قول ذي الرمة :
قف العيس في أطلال مية فاسأل رسوماً كحالات الرداء المسلسل
فتم كلامه بالرداء ، فلما احتاج إلى القافية جاء بكلمة المسلسل ، فزاد
شيئاً . وقوله أيضاً منها :

أظن ابدي يخدي عييك سؤاف دموعاً كسذير الحن المعصل
فتم كلامه بالحسن ، ثم قال المعصل ، فزاد شيئاً .

قلت ثم من شعر هذا ؟؟ قال : الأعشى حيث يقول :

كطرح صخرة يوماً ليوهبها فمصرها وأوهى قرنه الوعل

فتم كلامه بـ « مصرها » ، فلما احتاج إلى القافية قال : وأوهى
قرنه الوعل « فزاد معنى . قلت : وكيف صار الوعل مفضلاً على كل ما
يصلح ؟؟ قال : لأنه يحط من قوة الحذل على قربه فلا يصوره . (١)

- وسئل مرة : أي بيت تقول العرب أشعر ؟ قال : « الذي يسابق
لفظه معناه » (٢) .

- ويقول « ابن حني » : كان الأصمعي يعيب الخطيئة ويقول :
وحدث شعره كله حيداً فذل على أنه كان يصعده ، وليس هكذا الشاعر

(١) كتاب صناعتي : ٣٠١ .

(٢) عقد عمريد : ج ٣ ص ١٤٢ .

المطوع الذي يرمي الكلام على عواهنه ، جيده على رديته « (١) .
وكان يمدح النافذة الديبائي ويقول : « هو قليل الكيف ، عدم
ثوب بواف - اي بذرهم - ، ومطرف بالآلاف » (٢) .

وكان يقول : ابرع بيت قالته العرب قول اي ذؤيب :
والعس راعة اذا رغسها واذا ترد من قليل قمع
واحسن ما قيل في الكثر قول حميد بن ثور اخلاقي :
أرى بصري قد ناني بعد صحة وحسك داء ان يصح وتسل
واحسن من ابتدأ مرثية هو أوس بن حجر في قوله :
ابتها النفس أجلي حزعا ان الذي تحدرين قد وقعا
واعرب من ابتدأ النافذة الديبائي بقوله :

كلبي لهم يا اميمة دصب وليل افاقيه بطيء الكواكب
واحسن ما قيل في اللون قول عمر بن ابي ربيعة :
وهي مكنونة تحير مها في اديم الخدين ماء الشباب
وما اعرف احداً احذه فاحسن فيه مثل « احمد بن ابراهيم » حين قل :
اغيد ماء الشباب يرغد في خديه ، لولا اديمه قطرا (٣)
واحسن ما قيل في صفة ارمح قول اي زيد : (٤)
واسمر عربوع يرى ما رأيت بصير اذا صوته للمقتل
وارثي بيت للعرب قول احدهم (٥) :

-
- (١) المرمر : ج ٢ ص ٣١٠ .
(٢) عيون الأبحار : ج ١ ص ١٩٢ .
(٣) ديوان المعاني : ج ١ ص ٢٢٢ .
(٤) ديوان المعاني : ج ٢ ص ٨٠ .
(٥) ديوان المعاني : ج ٢ ص ١٧٥ .

ومن عجب ان ست مسشعر الثرى وردن بما رودتني متمما
ولو ابني اصفتك الود لما ابت خلافتك حتى سضوي في الثرى معا
مثل مرد : مددا اراد امرؤ القيس بكلمة « جوف العير » في بيته :
وواد كجوف العير قعر قطعت به الذئب يعوي كالخليل المعيل
قل : العير ، هو الخمر ، وقصد بهذا التشبيه ان الوادي كان قفراً كما
يس في حوف حجر ما يؤكل اذا صيد . ثم قل : ان كلمة « حوف
العير » سصل قصة تذكرها العرب : وذلك ان رجلاً من العريقة كان له
سود وواد حصص وكان حسن الطريقة ، فخرج سود تشعيسون وصاحبهم
صاعقة احرقهم ، فكمروهم بالله وقال : لا اعد رباً أحرق بي ؛
واخذ بعبادة الاصنام ، ودعا قومه اليها فمن اتى قبله ، فسقط الله على
واديه ناراً فأهلكه وخرب واده ؛ والوادي بلعة اليمن الجوف : وكان
اسم الرجل المذكور « حمار بن موسع » فعلمت العرب عن ذكر كلمة
حمار الى ذكر العير ، لأنه في الشعر احب واسهل محرراً ، فقل : حوف
العير ، اي وادي ذلك الرجل المسمى : حمار بن موسع (١) .

وقرىء عليه قول السبعة الديلمي في وصف ثور وحشي :
يخمد عن اثنتين سود اسافه مثل الأماء الفوادي تحمل الحزما
قل : ان وصف الأماء في مثل هذا النوصع «ارواح لا باعدو ،
لأنهن يخفن بخطب اذا رحس . وقد قل الأحمش اتعبي :
بطل ٣ رس العام كذب اماء يرحس «عشي حواطب (٢)
وقرىء عليه شعر السبعة في وصف عبور جميلة :

(١) سراج الأدب : ج ١ ص ١٣٠ .

(٢) المعقد الفريد : ج ٣ ص ١٥٦ .

بطرت اليك نحلة لم تقصها نحر السقيم الى وحوه العود
 فقال : هذا قبيح ، ولا سطق على الدوق السليم ، لأسه جسم مطر هذا
 السقيم بوحود عائديه حوله . وافضل منه قول عدي بن الرقاع :
 وكنها وسط الباء اعارها عينيه احور من جاذر جسم
 ولسن أفصده العس فرقت في عيه سة ولس ستم (١)
 وفريء عيه ابصاً ارجورة في السجم في وصف القرمس ، فلما وصل
 الى قوله :

يسبح أخراه ويطفئوا اوله

قال : هذا خطأ ، لأنه اذا مسح احراه كل حجر الكجاج اسرع
 منه ، واتد بوصف الخواد أنه يسبح اولاد وسحق رحلاه ، ثم قرأ :
 وخير عدو الذكور من اصيل ان شرف ، وخير عدو الاناث ان مسط
 وتصني ، كعدو الذئب (٢) .

ويقول الطرمح اشعر الدس في قوله صف ثور وحشياً يعدو :
 محاب حلة رجد لسرايه قدداً واحنف ما سواء البرجد
 يلدو وتصمره اللاد كنسه سيف على شرف يسلي ويغمد (٣)
 ويقول : كان ذو الرمة اشعر الدس اذا شه ، ولم يعمق (٤) .
 ومن قوله : حتم الشعر بابن هرمة ، وحكم الخصرمي ، واس ميدة ،
 وطفيل الكثاني ، ودكين المذري (٥) .

(١) العمدة : ج ١ ص ٢٢٧ .

(٢) الأغاني : ج ٩ ص ٧٨ .

(٣) الأغاني : ج ٥ ص ١٦٦ .

(٤) الأغاني : ج ١٦ ص ١٠٩ .

(٥) الأغاني : ج ٤ ص ١٠٤ .

ان شعر ابي العتاهية كساحة الملوك يقع فيها الجوهر والذهب والتراب
والخزف والنوى (١) .

وقد ذهب امية بن ابي الصلت في شعره لعامة ذكر الآخرة ، وذهب
عترة لعامة ذكر الحرب ، وذهب عمر بن ابي ربيعة لعامة ذكر
الشباب (٢) .

ويقول :

(الرحاف) في الشعر كالرخصة في الفقه لا يقدم عيبها الا فقيه .

(البليغ) من طبق لفصل واغاك عن المقصر .

(المطابقة) مساواة معنى لمعنى .

(الايفال) سرعة الدخول في الشيء .

(التشبيه) هو المقارنة في المعنى ، فالخوار مثلاً ان تكون العين

سوداء كلها كعينون الظباء والبقر ، ولا حور في الاسان .

(الالمت) هو ان يكون الاسان مقلداً على شيء ثم يلتفت الى شيء

آخر ، كقول حرير الخطبي .

انذكر اد بودعسا سليبي يعود شامة؟؟ سقي الشام

فكلمة « سقي الشام » التفات جميل (٣) .

وسئل مرة عن الشاعرين تتفقان في المعنى الواحد ولم يسمع احدهما

قول الآخر ، فقال : « تلك عقول الرجال توالى على ألسنها » (٤) .

ويقول : « ثلاثة تحكم لهم بالرواة حتى يعرفوا : رجل رأيت ركباً ،

(١) الأعمى . ج ٣ ص ١٤٠ .

(٢) الأعمى : ج ٣ ص ١٨١ .

(٣) المقدم الفريد : ج ٣ ص ١٤٢ .

(٤) المقدم الفريد : ج ٣ ص ١٤٢ .

او سمعته يعرب او شممت منه رائحة الطيب . وثلاثة تحكم عيهم بالندامة
 حتى يعرفوا : رجل شممت منه رائحة السيد في محل ، او سمعته تسكلم
 بالفارسية في بلد عربي ، او رائته على ظهر الطريق يذرع «تقدر» (١) .
 «خير العلم ما اظقت به الخريق واخرجت به الفريق» (٢) .
 «لو قسمت في الدس مائة ألف درهم كل اكثر لأثمى من واحد
 منهم» .

«اذا تطارف العربي كثر كلامه ، واداء تطارف الفارسي كثر سكوته» (٣) .
 «اشد الداس الاعجف الصحم ، وأحث الأفعى أفاعي الجذب ،
 واخست اخيت حيت الرمث ، واشد المواطىء الحصى على الصد ، واخست
 الذئاب ذئاب الغضى» (٤) .
 «من أمل رجلاً هابه ، ومن قصر عن شيء شانه ، ومن عيب - في -
 الذي يقصر عنه حسدا» (٥) .

يقول الديبوري : كان الأصمعي لا يقول «معداد» وهي عن ذلك
 ويقول «مدينة السلام» لأنه سمع أن (بن) معبد الصم و (داد)
 عطية ، بالفارسية ، فعناه عطية الصم . (٦)

ان رهبر من ابي سلمى والخطبة وامشى من الشعراء عبيد الشعر
 لأنهم تقحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين . (٧)

(١) عيون الاحار : ج ١ ص ٢٩٢ .

(٢) الدميري : ج ٢ ص ٢٨٨ .

(٣) عيون الاحار : ج ٢ ص ٤٠٤ .

(٤) الأمازي : ج ٢ ص ٧١ .

(٥) الأمازي : ج ٢ ص ٩٦ .

(٦) ادب الكاتب : ١٤٩ .

(٧) اشعر وشعراء : ٨٠ .

- ابو دؤاد الأيادي - في الجاهلية - وضميل والخعدي هم بقات الخيل
الثلاثة .. والعرب لا تروي شعر ابي دؤاد وعدي بن ريد ، ودنت لأن
أفادها ليست شجوية (١) .

ونقول : وجدت اهل مدينة السلام قد حنموا الشعراء بمروان بن ابي
حفصة ، وانا ارى شار بن برد احق ان يحموهم به : فليل له . ولم ؟؟
ول وكيف لا يكون كذلك وما كان مروان في حياة بشار يقول شعراً حتى
صححه بشار وقومه .. وشار مطبوع لا يكلف طبيعته شيئاً متعذراً ، لا
كما يقول انت فيحككه ايماً . وهو يصح للحد واهل ، ومروان لا
يصلح الا لأحدهما . (٢)

كان « الحكم الحضرمي » ، وبنو ، واس هرمة ، وطميل الكسائي ،
ويمكن المذري « على ساق الشعراء » ، ومذهبهم ان هرمة قوله :
لا ائتم العود بالعصال ولا ائتم الا قرية الأحول
وانه لو قل هذا جاءه راد ، وكان كثيراً (٣) .

شعره

للأصمعي روى مشهور في كيف يصير الشعر فعلاً في قرض الشعر ،
فيقول : « لا يصير الشعر فعلاً حتى يروي اشعار العرب ، ويسمع
الأخبار ، ويعرف المعاني ، ويندور في مسامع الاصط . واول ذلك ان
علم العروض فيكون ميراً له على قوله ، والحو ليصنع به لسانه وليقوم
« اعزاه » ، واللب . واما الناس ليستعين بذلك على معرفة المناقب

(١) لشعر والشعراء : ٣٨ .

(٢) الأغانى : ج ٣ ص ٢٥ .

(٣) الأغانى : ج ٤ ص ٥٠ .

والمثالب ، وذكرها بمدح او ذم « (١) .

وهذا رأي صائب ، ولكن بقصه شرط آخر رئيسي ، لا يستطيع الشاعر بدونه ان يجيد قول الشعر ، هو « الاسمّاح والسهولة ، ووحدة الطبع » وهو حياة الشعر بل روحه وبعث افرد في نفس سمعه :

اذا الشعر لم يهزرك عند سماعه فليس خلقاً ان تقل له شعر

وخير مثل على ذلك الأصمعي نفسه ، وهو من اكثر الناس رواية للشعر ، ومعرفة شعبيه ، واتقاناً للغة وادجاراً لأعظم . وهو ايضاً احد كبار رواة الاخير ، واستاذة النحو ، واساطين سب ، والعلم والحصار الناس ومناقبه ومثالبهم ؛ ويحكيه نس فحلاً في الشعر ، ولم يبق فيه - على حد تعبيره - لأنه لا يثبت الاسمّاح والسهولة في نفسه . . . يقول ابن قسبة في كتابه « الشعر والشعراء » : « ان اشعر العلماء نس فيها شيء جاء عن اسامح وسهولة ، كسر الأصمعي وابن النقع والحليل من احمد ، خلا حذف الاحمر فانه كان اجودهم طبعاً واكثرهم شعراً » (٢) .

وكان الأصمعي يعرف قصوره وضعفه في هذا المجال ، ذلك لما يكثر من نظم الشعر ، ولم يقرصه الا في النسات ، وفقد اداع عن الناس ما تحود به قريحته . ولما سئل عن سب ذلك قال : « يعني عن نظم الشعر بطري الى جيده . » (٣) وهذا صحيح ايضاً ، لأن من كان مثله في فهم الشعر ونقده ، ومعرفة عته من سميه ، والاطلاع على حوايه ودقه ، وروعته واخطائه ، لا يقوته ان يعرف نفسه فيه اذا كانت مقصراً ام مجيداً . . . قيل : انه جلس يوماً يقب شعره بين يديه ، فلم يرقه ، وصار

(١) لعمدة : ج ١ ص ١٣٣ .

(٢) الشعر والشعراء : ٥

(٣) العقد الفريد : ج ٣ ص ١٣٥ .

يهز رأسه ساخراً ، ويقول :

يا الشعر الا انت يفيء رديته علي ويأبى منه ما كانت يحكمها
يا ليتني لم اجد حوك وشيه ولم أك من فرسانه كنت معدماً (١)
وقد ذكرنا له في انحائنا السابقة قطعاً صغيرة من نظمه ، قالها في
المناسبات الكثيرة ، كرده على هجاء اسحاق الموصلي له ، وكجوابه شعراً
محمداً بن الأحمدي في محبس النصارى من اربيع ، ومدحه لجعفر البرمكي ،
ثم هجته لأن رمت و بهامه ثم بريدقة ، وابيت اخرى قالها على اثر
لكنه هؤلاء ، عد بن ربي مصرع جعفر بن يحيى ، وغيرها ، وكلها من
السر اركيئ و بن كن صحيحاً من حيث اللغة والحو والعروض .
وفي كتب الأدب قطع اخرى قالها في المناسبات انصاً لا تزيد
قيس على ما اورد : كقوليه في رثاء صديقه المحدث المكي « سفيان
بن عيينه » .

فبيت سفيان بن عيينة درست	ومسييت أثار وأثار
ومبعض قرب سدد وموعضة	وأفقيون من طار ومن طار
مست محسبه وحسب معطلة	من قضين وحجاج وعمر
من لحدثش الزهري حين نوى	ولأحدث عن عمرو بن دينار؟
لن سمعو عدة من فن : حدث	الزهري ، من اهل بيدا وامصر
لا حبه الشامت مسرور مصرته	من مارقين ومن حجاج اقدار
ومن دقة . حبه نفودهم	قود الى عصب الرحمن والدار
ومحدثين ومرة بن قد خلطوا	سة الله اهدراً زهراً (٢)

(١) المعلقة : ج ١ ص ٥٧ .

(٢) عيون لاحار : ج ٢ ص ١٣٥ .

وقوله يصف شعوره حين وقف في قصر اخلد يسطر دحوه لأول مرة
على هارون الرشيد ، وقد طال به الانتظار :

واي فتى اعيرت قلب وسع ما تصيق به العاني
تخذله النواصب عن الله الا لا ، بل تؤغه الأمان
فرب مَعْرِسٍ لَيْسَ اَمْلَى عَنِ الدَّرِكِ الْجَبْرِ لَيْسَ الرَّمْلُ (١)

وقوله حين دحى يوماً على الرشيد في محسه وكان يحدث عن حاربه
له اسمها « ديا » :

ان « ديا » هي التي تمت قلب قهره
ضمود صف اسمها فهي ديا واحده (٢)

والذي يعتقد ان الاصمعي كان متأثر احياناً ببعض الحوادث التي تمر
به ، فندور في صدره المعاني ، وتخلج في رأسه المكر والأحيلة ، وتتدافع
على لسانه الآراء ، ومستم السنين والثلاثة والعشرة ، ثم يعود الى قراءتها
بعد ذلك ويجدها ركيكة لا تستحق الرواية والشرحه على الناس : فلا
يتذكر مهمة مؤول ان الصبيح ، وكما يصوغ حولها ندرة من نوادره
المعروفة عن الاعراب مما عوتد ان يصنع ، ويسهب فيها على لسان ملهى
مجهول فمسير حيلة فصل لأخر انتهى يتعجب منه من حذو الاعراب
ومثا كلهم ، ولقد لست ، وسدسها الأسن ، وسبون في المؤتمت .
والذي ينعى امطار في بعض نوادره هذه الخبوة على شئ ، من الشعر نجد
بعض ايها المتعرب في الاسلوب والديباجة والنسج مع تلك التي نظمها
وعرفها بـ .

(١) عقد القرية : ج ٣ ص ١٢٥ .

(٢) عقد القرية : ج ٣ ص ٤٢٩ .

والعرب انه زعم تقصيره عن ادراك منزلة الفحول من الشعراء ، كان
 عظم الشعر سهوة ويرتفعه اجبا ، وكأنه لا يرى صعوبة في ذلك كما لا يرى
 الصعوبة في احداثه ، وربما كان هذا ناتجا عن كثرة محفوظاته واشادته ..
 يقول ابو العباس بن الفرج . سمع الاصمعي رجلا يدعو ربه ويقول في
 دعائه : « يا ذو الخلال والاكرام » . فقال له الاصمعي ما سمعت ؟ قال :
 « ليث » ، فقال الاصمعي :

يـدي ربه بالحق ليث . لـث اذا دعاه لا يحب (١)

وامثال هذا كثيرة لا تحصى .

نوادير الأعراب ، ومدرسة النخبة

• لكن الاصمعي اولى من روى النوادر عن الأعراب ، فقد سبقه الى
 ذلك جماعة من علماء عصره ومن جاء بعده . ان لا يوجد - في
 ذلك الزمن - شيء في لغة او رواية بالأدب والأخبار الا روى من هذه
 النوادر - ثبت : لأن الفوائد كانت تجمع من هؤلاء البدو سكان
 الصحارى ، وتروى عنهم ، وتدرس عندهم ، وتصحح بوسافتهم : فلا بد
 من كل تجمع تلك الفوائد ان يحدث بهم . ويعرف على بعضهم ، وفيهم
 الخطيب بن قتيبة ، والشيخ عمر بن الخطاب ، والأديب امرئ القيس السدوسي . ومن
 الطبيعي ان يحدث بين هؤلاء وتلك نوادر ومباح في الحد والفكر مما يعتبر
 متعة للسمع . وعنداء للروح والفكر ، كما تقول الخليل : « ليس في الأرض
 كلام هو اوسع ولا أنفع ولا أهد في الاستماع ، ولا أشد اتصالا بالعقول
 السقيمة ، ولا اقرب لللسان ، ولا احوذ تقوية للدين من طول الاستماع

(١) الامالي : ج ٢ ص ٣٠ .

حديث الأعراب العقلاء الفصحاء » (١) .

ولكن الأصمعي امتاز عن كل من سبقه كثرة روايته لهذه النوادر ،
وبتنوعها واختلاف ألوانها وصورها واخطؤها على الكثير جداً من مث كل
الحياة ، مما يجعلنا نعتقد يقيناً بأن مصب كل من صعبه وسبح حله . وهو
لون من أول الانج الأدبي الذي لا يمس الذين ولا يتصل بالكذب
ما دامت النادرة سليمة بريئة لا هي أحداً معيلاً من الناس ولا حماسة
مهم . . بقول الاسد حمد امين في كتابه - صبح الاسلام - :
« . فما في النوادر وسبح ، وما يخفى عن الأعراب فيرجي - أي
الأصمعي - في ذلك نفسه العسل . ويذكر وحده الحار - يستدعي قولاً طريفاً
ربما فيه أو احتراعاً . ولا يرى في ذلك ما يمس دمه أو يوجب له عن
التقوى » (٢) .

والذي نراه هو انه بدأ ، في أول أمره ، يروي النوادر التي كان
سمعا فيجمعها خلال عته ونحواله في القائل وبين الأعراب في كل مكان ؛
وكان يرويها في محله بأسلوب طريف جذاب . ثم الأسرع وتطرب له
النفوس . فلما شعر بصدى نجاحه في هذا ، ولس استحسن الناس ذلك
منه ، امعن في البحث عن النوادر كمنعاه في البحث عن البعة والأدب ؛
ثم صار يحنك نظره الأعراب وكل دي سكة وملحه مهم ، فحرقهم
الى الدعاية وقول كل طريف ، ويلون ذلك عنده .

وعلى مر الأيام ، صحت ثروته في الدرة كتصحبها في البعة والاذن
والشعر ؛ حتى اذا كثر اتصاله بالقدائل المختلفة ، وأيقن ههنا ، ودرس

(١) زهر الآداب : ج ٢ ص ٢ .

(٢) صبح الاسلام : ج ٢ ص ٢٩٨ .

عاداتها ومشاكلها ، وعرف مديها وأسماء داراتها ، وامتدت به الأعوام
ففيها أسرار الحياة ، وتوسعت ألبنته ، وقويت مداركه ، وتواردت المعاني
إلى أفكاره : تولدت عنده منكبة صم الدرة على شكل قصة صغيرة ،
نسب إلى الأعراب ، ويودع فيها شيئاً مما حفنت له ذاكرته من روائع
اللغة والأدب والشعر .

ومنى بذكرنا حافظته القوية وما اكتنزته من عشرات الآلاف من
الأراجير والقطع الشعرية والحكم والأمثال والأحبار ، وذكرنا قوله أيضاً
« قرأت كتاباً واحتجت إلى العودة فيه ، ولا دخل قلبي شيء فخرج
منه » أدركنا مقدار كفاءته في صم الدرة وسحب متى شاء وفي أي معنى
إراد ، كما يرسل الشعراء الأعداد أيهم الشعرية في المسببات عشق رفيقة
حياة لا نقص فيها ولا كلف . . وقد قل غير واحد من الشعراء : « لو
أردت جعلت كلامي كله شعراً » .

وكان عرب في عصر الأصمعي قد بدؤوا يترجمون الكتب عن اللغة
الأجنبية ، فيسحبونها ويبدلون في القراءة والمدرس . وكان أهم ما ترجم في
ذلك العهد - يوم كان الأصمعي طفلاً - كتب « كلبه ودمية » وهو
كتاب وضع في إصلاح الأخلاق وتهذيب النفوس : وضعه فيلسوف هندي
اسمه « بيدبا » ، مدد به وشرحه قرناً ، كتب من موث الهند يدعى
« دشمير » ، وضعه على أسنة اختراعات كخص طرقة قصيرة كتب حكم
وعبر ومناج . وقد ألف هذا الكتاببعة أصداء « السكرتية » ثم
ترجمه إلى لغة « البيت » ثم إلى العربية ، ومسيب نقل إلى المدرسة
القديمة « السبعة » . وعن هذه اللغة الأخيرة ترجمه الكاتب المعروف
« عبد الله بن المقفع » (١) لأول مرة إلى العربية في أواخر العهد الأموي

(١) توفي ابن المقفع عام ١٤٧ هـ .

أو أوائل أيام بني العباس .

فما اطلع العرب على ما في هذا الكتاب من آراء قيمة وحكم بالغة ،
اعجبوا به ايما اعجاب ، واحذوا بدارسوه ويتقوه . وكان بعضهم حسد
عدائهم من المتفجع على سقمه في ترجمته هذه ، فترجموه ثنية ، ونسدى البعض
الآخر لمصرته (١) . ونظمه بعض الشعراء تهيباً لحفظه : فكان ممن
نظمه شعراً « الفضل بن بوبحت » حادم ابي جعفر المصور : ونظمه
ايضاً « ابان اللاهقي » واهداه الى يحيى بن خالد الترمكي : ونظمه
كذلك « علي بن داود » كاتب زبيدة بنت جعفر زوجة الرشيد . . وقد
ضاع معظم هذه المنظومات ، وبقي بعضها مع ترجمة ابن المتفجع .

فلا يستبعد اذاً أن يكون الأصمعي قد نشر بهذا الكتاب وأمثاله من
كتب القصص الأخلاقية التي بدأت طلائعها تترجم الى العربية في عهده .
ولا يستبعد أيضاً أن يكون قد رأى اهتمام الدرس بهذا الكتاب واقتطع
الشديد على قراءته ، فراح يقلده ولكن بسلوب متكرر حديد ، مشتق من
صميم الحياة الاجتماعية العربية التي تعيش هو فيها : فالف كتابه « نوادر
الأعراب » الذي لم يصلنا حتى الآن ؛ وقد قيل عنه أنه كتاب صحيح
في مئات من الأوراق ، اقتست منه اكثرية كتب الأدب ، فرأيناها يحو
فيه منحنى « كليلية ودمية » بما اودع فيه من حكم وعظات وبصائر
وطرائف وملح وغير ذلك ، مما يصلح الأخلاق ويهدى النفوس ، بسلوب
ظريف تألفه الأذواق ولا تمل منه .

والشبه الواضح بين الكتابين يتركز في فواتح القصص وابتدائها . .
ففي الكتاب الاول نرى كل قصة تبدأ بكلمة « قال ديبليم الملك لبيدا

الفيلسوف .. « أو » قال دمنة .. « أو » قال كليله ، أو قال شثرة .. «
كما يبدأ الأصمعي في كل نادرة من نوادره بقوله : « رأيت أعراباً .. »
أو « حدثني أحد الأعراب .. » أو « مررت بأعرابية في .. » إلى
آخر ما هناك مما سنهوي السمع ويستميل الفكر .
ولا يمكن كتاب « نوادر الأعراب » هو كل ما رواه الأصمعي من
نوادر عن هؤلاء القوم سكن النوادي ، بل هو جزء صغير جداً من ذلك
التراث الضخم الذي أسحبه في هذا الباب . ولا يعني إذا قلنا بأن
الأصمعي ذهب شوطاً بعيداً في هذا الفن لأدب حتى قرب ما رواه من
اللغة والأدب ، وأصبح يستحق أن يدعى « صاحب النوادر » مثل قولهم
« يعوي » أو « الراوية » .. وهو كثرة ما أخرج من هذه النوادر ، كل
أرشيد إذا مر به حدث أو أسهونه فكرة عريضة في مجلسه التفت إلى
الأصمعي وول له : يا أصمعي ، ماذا قل أعرب في هذا ؟ فيجيبه
الأصمعي بادرة طريفة حسب المقام ، فكأنها كانت حاضرة على لسانه ، وربما
كانت من صغره في تلك اللحظة : شبه في ذلك مثل الشاعر السريع
الارتجال .. وهذا ما جعل خصومه يتهمونه بالكذب ويقولون « سئل
عبد الرحمن بن أخي الأصمعي : أين عمك ؟ قال : جلس في الشمس
بكذب على الأعراب » (١) .

ثم إن بعض المستشرقين المعين اليوم بدراسة آثار الأصمعي لم يعترفوا
أدباً ، ويكفون بحمله لغوياً ومحوراً ورواية أدب وإخبار فحسب ، بحجة
أنه لم يصب شيئاً من أدبته الباقية في الأدب . وكأنهم عفاوا عن هذا
الخط من أساحه : وهو - في رأينا - لا يختلف عن كتابة القصة ونظم

(١) مرقه : ج ٢ ص ٢٥١ .

الشعر ، فهو في صميم الأدب ، ومن أجله يستحق الأصمعي أن يحسب من
طاقة الأدباء ، كما يعتبر في طبيعة المعوين ورواة الشعر والأخبار ؛ بل هو
« الأستاذ الأول » وواضع الخبيرة الأسامي « لمدرسة القصة » - من العرب
التي تنحصر مراحب التاريخية على الشكل التالي .

كان الأصمعي في إلقاء نوادره - كما استب - حجة : وخاصة عندما
دخل بلاط هرون الرشيد ، وثر على - طه بك القصص الصغيرة
الرائعة عن الأعراب . فكان يمس في روايته ، ويغنى لهجات القبائل
التي تسمى اليه . ويودع فيها أسس العذب واللغة المصنعة والحكمة المدعة
والمثل الشرد والسعر العرب . . وكان الأمير الرشيد - يومئذ - مسرراً
للإداعة وندوة تلك الشخصيات المرموقة من نواحي المذكر ، يوم كانت
اصداً اضطرابات والاسح المكري وكل ما يسكر في محس هذا القصر ،
يقبل إلى الأحياء الأدبية والمهمة في جواب المسئلة . فشهرت نوادر
الأصمعي هذه ولأقت رواجاً واستحساناً ، وصارت تتردد على الأسس ويدور
في الألواح ، وشترى بعضها وسع بين الساذين كما كانت تسع وبيع
الرشيد وورائه على رفاع المضاعف (١) .

وقد حاول عدد من معاصريه ، أو ممن جاوزوا بعد تنصره أن يقدروا
في هذه النوادر ، فلم يصيبوا النجاح الذي أصابه ، لأنهم لم يوهبوا ما
وهب من خيال حبيب وعلم عزيز في اللغة والأدب ، وطرف فطري ،
ومعرفة تامة بحياة البدو سكان الصحارى . فبقيت نوادره هذه في طبيعة ما
استح في تلك العهود من هذا اللون القصصي الجميل . . ثم تطور هذا

(١) كان الرشيد وورائه من مكة يمسون في توافيقهم على رفاع المضاعف ويعملون جميعهم
مغتصة بلغة نفيد معنى قرار الحكم . وكان الأدباء يشقون تلك الرقاق مع التواقيع
كأثار أدبية . وقيل أن نواحي حعفر بن يحيى كان واحداً يباع بدينار أو أكثر .

الأسلوب في العصور التي نلت الى قصص عن الاعراب أطول من النوادر ،
تتوخى الفوائد المعوية أيضاً وتعتمد ذكر الغريب منها . وكان أشهر من
قد الأصمعي في بواره مع شيء من الإطالة « أحمد بن فارس الرازي »
المتوفى ع (٣٩٠ هـ) ؛ ولكنه لم يصل في إنتاجه الى تلك الروعة التي
وصفت لها نوادر الأصمعي .

ثم أتى - بعد ذلك - ابن بهووا طريق أحمد بن فارس ، وسلك
بعضهم سبل « المقامات » وهي قصص متوسطة تشبه « الدرر » في
اللغة الأوربية اليوم ، تروى على لسان رجل خيالي له اسم مستعار ، كما
كان الأصمعي يروى بواره على لسان « اعرابي » مجهول . . وقد نبغ في
هذا الفن « أحمد بن الحسين » المعروف باسم « بديع الزمان الهمداني »
المتوفى ع (٣٩٨ هـ) وألف كتاباً في المقامات عرف بعنوان « مقامات
الهمداني » وحي فيها الغريب من اللغة ، وتعتمد في كتابتها أسلوب السجع
المتكف . واستند الى رجل سمي « عيسى بن هشام » . . ثم قلده في
ذلك أدب . وكتب آخرون ، أشهرهم « علي بن محمد الحريري »
المتوفى ع (٥١٦ هـ) فصف كتاباً في المقامات عرف باسم « مقامات
الحريري » حا فيها نحو بديع الزمان في السجع والغريب من اللغة واستند
قصصها الى شخص وهي أيضاً سماه « أبا زيد السروجي » وحشاها بقطع
شعرية من نظمته كما كان الأصمعي يرفع بواره أحياناً بعض الأبيات . .
وحاش بعد هؤلاء كثيرون من رواد هذا الفن الذي أصبح - على مر
الأيام - مدرسة مستقلة للقصة ، يعتقد أن الأصمعي كان رئيسها الأول
والمؤسس لها .

والجدير بالذكر ، هو انه رغم ما انتج كتاب القصة والمقامات بعد

الأصمعي فإن اسم الأصمعي بقي علماً طائفاً على سائر الآخرين عند احداً
والعامة وأدب اليهود السحرة ؛ حتى صار الناس يعتقدون - حتى - في كل
ما نشر من القصص العربية ، بأنها من صنع الأصمعي . وإن الأصمعي بدأ
فيها ؛ كما ستفصل ذلك في آخر الكتاب .

الوان نوادره

قلنا ان اشاع الأصمعي في النوادر كان وادحاً ، وذكر : ان
ما حمل عليه مما صنع الأداء منها كثير أقبح . فصيح مستجيباً على
الباحث ن يعبر بين الصحيح والسجول ، وان يعرف سبب ما اقتبسه
الأصمعي من الغير فرواه ، وبين ما صنعه من غيره أنشأه . . . فم يحذ هذه
المشكلة حلاً - ير ان مركب ان المؤلفات القديمة العربية - راحة والسدد
في الأحد . فتختلف منها ما رآه منقلاً وصح الأصمعي العيس واحلافه
وسيرته التي عرف بها .

وقد درسنا مجموعة كثيرة من هذه النوادر التي يعتقد صحة سبب
اليه ، فوجدناها على نوعين : الأول منها ندرته منقصة ، واسلوب القصة
فيها ضئيل أو معدوم الا من سؤال وجواب . وأكثر ما جلب على هذا
النوع من النوادر طابع « اللغة » . لاختلافها على كلمات كثيرة صعبة
مصنعة بصيغاً شتى يسهل حفظها ؛ أو أنها تحمل طابع « الأدب »
لانتفاها على حكمة ناعمة ، أو مثل سائر ، أو جواب طريف مكث ،
أو سكة لادعة ، أو شعر جميل رقيق ، الى آخر ذلك مما يعيد الفكر
ويجذب النفس . . . ونسب هذا النوع : « حديث الأعراب » .

اما النوع الثاني . فسبب انقصة في ندرته ظاهر : لا يخرج من فكرة
وهدف وإن كان في بعض الأحيان قصيراً . وقد تكون الدرة فيه

مشحونة أيضاً بلغة العرسة القصيدة أو الشعر والأدب ، في مختلف الأذواق
من حد وهرل .. وهو النوع الذي تحدث عنه ، وهذا لأنه كان الأساس في
ماء مدرسة القصة العرسة .

وفي ما أتى أول من كلاً النوعين (١) :

حدثني عربي عن حل أشرت على قومه ، فقلت له . صف لي ،
قل : « خرجت غيب مستظيرة القمع ، كل هوائها أعلام ، وآداب
أطراف أقلام ، وفرسانها أسود آجام » .

وفت لأعرابي : صف لي ابنك ، قل : « ابنها لعظام الحناجر ،
سوط المنابر ، كوكب بهرر ، سكك حاجر . أحواضها رباب ، وأعقاب
رحاب . تنبع من الشهم ، وسدل للجنم » .

ورأت أعرابية في الددة ، فسألت عن ابنها ، وكنت أراه معها كلما
مررت بمدرها ، فقلت : « مات ، واس انصاب » ثم اشدت :

وكنت أحاف اندهر ما كل أمّا قد بولى مات حوي من الدهر

وسمعت أعرابياً في الددة يسفر ربه بعد صلاته ويقول :
« اللهم ان اسعفري ابك مع كثرة دسوي للوم ، وان تركي الاسعفر
مع معرفتي سعة رحمتك لعجز .. اللهم كم تحمت الي سعمتك وأت عني
عني ، وكم اتغص اليك بدسوي وأنا فقير اليك !! سمحل من اذا توعد
عفا ، واذا وعد وفي » .

ورأت أعرابياً مسكاً سدر الكعبة ويقول : « اللهم أمتني ميتة
ابي خارجه » فقلت له : يرحمك الله ، وكيف مات ابو خارجه ؟ قل :

(١) مصادر هذه السور : كتاب الأمي ، والأعاصي ، والبيان والنبين ، والمعارف ،
والصناعين ، وعيون الأخبار ، والمقد القريد ، وترعة الألباء ، وزهر الآداب .

« کل مدحہ ، و شرب شعلہ ، و در حق خمس ثبات نفع رسد
دفعہ » .

وحض رجل مره من الأعرب وكثر الكلام وأبلى الحطاب ،
فنه من سيم اشراي ، وقد من من طول حدث ، وسقت اني احض
وقر : « اي وثه ما ا من خطايت وثطاط في شي ، قد تمست
حرمة ، ودكارت حق ، ونعمت موجود : فحلت موضوع ، وفرضت
مقبول ، وثب فاكف كريم . وقد الكحل وسلم » .

كنت عراة فميت به - مخص في فلاح على بي فلاح " ول :
" الكذب " به على القدر .

ووفيت بعبادة متروكة وقت " يا قوم صد حردى ، وأسد
حمدت ، وحرر أهدت ، فليس من فضل خير ، وأمر بغير ، رحم الله من
رحم ، وفرض من لا خير " .

واحصى ابراهيم اى شيخ مريم ، فقال احدهم : اصحبت الله ما
يعنى صحبي هذا انه من كتب الله عز وجل . قال الآخر : كذب
وانه اى لقرىء كتب الله ، قال الشيخ : فقرأ ، فقال :
عشق القلوب ٥٥ بعد ما شئت وشاء

[illegible]

فروجوه . فليل لهم : تعيم لكم فلان فزوجموه ؟! قلوا : « ما تعيم لنا حتى تترقعا له » .

وقال اعراي لابن عمه : « اطلب لي امرأة جديدة ، فرءا حدة ، تقوم فلا يصب قبصها منها الا مشقة مكيبها ، وحلمني ثديها ، وأرمني اليها ، ورصاني ركبتيها » . فقال له : « واني يمثل هذه الا في الحزن ؟! » .

وتحصنت اعرايبة مع زوجها ، فقالت له : « والله ان شرك لا شفاء ، وان صبحتك لاسعاف ، وان شمتك لالعدف ، وانك لتشبع اليه نصف وسام ليلة خف » . فقال لها : « والله انك لكرواء الساقين ، قعواء الفخذين ، مقام الرضين ، مفاضة الكشحين . صبعك جائع ، وشرك شائع ، وروحك صانع » .

واحتصر أعرايس ، فحمل المدي عليه يخلف مطلقا والعناق ، فقال له المدي : دعني من هذه الأيتام ، واحلف بما أقول لك : « لا ترك الله لك حفاً تتع حفاً ، ولا ضماً تتع طمعا ، وحك من اهتك ومالك حت الورق من الشجر ان يكن لي فسك » . فعطاه حقه ولم يخلف . وولى أحد الأمراء اعرايباً على عمل من أعمال الرعية ، فصاب عليه خيانة ، فخرله واستدعاه ، فلما قدم عليه قال له : يا عدو الله ، أكلت مال الله ؟! فقال الأعراي : « ومال من آكل إذا لم آكل مال الله ؟! اني والله راودت ابليس الف مرة ان يعطيني فلماً واحداً ففعل » .

وجلس عجور من الأعراي في طريق مكة الى قتيان يشربون سبذاً ، فسقوها قدحاً فطابت نفسها فسمت ، فسقوها قدحاً آخر فاحمر وجهها وصحكت ، فسقوها ثانياً فقالت : خيروني عن سبكم ، أيشربن هذا ؟!

قالوا : نعم ، قالت : زين ورب الكعبة ؛ والله ان صدقتم ما فيكم من
يعرف أباه .

ودفعت يوماً في سمى بسادة الى وادي حلاء لا أس فيه غير
بيت معتبر ، فبثته اعتر ، وقد طمئت : فيمنه ، فسست ، : عجز
قد مررت كذب حمة راجح . فقلت : هل من ماء : قلت : أو من :
قلت : اذا سر الله الما في اليه فيير . فشررت ، ثم قلت لها : ابي
أراك معترة في هذا الوادي الموحش ، واعرب منك قريبون ، فلو اصصمت
الى حميمهم فست بهم . قلت : يا بني أحي ، بي لأس بالوحشة ،
وأستريح الى الوحده ، وطمئن قبي الى هذا الوادي الموحش : فلقيد
رأيت قفلاً أهلاً بأدواح وقباب ، ومع كفضص ، وحل كدث ، وفص
كالرماح ، يبارون الرياح ، ويحمون الصبح : فحل عديم : ف
مفرقة ، وصحت الأنا دارة ، والحل طمة : وكذلك سيرة الدهر
بمن وثق به . ثم قالت : ارم بعينك في هذا الملاء المتباطن ، فطارت
فاذا قور نحو الأرضين : فقلت : ألا ترى تلك الأحداث ؟ قلت :
نعم ؛ قالت : ما اطوت الا على أخ أو ابن أخ ، أو عم أو ابن عم ،
فأصبحوا قد المأت عليهم الأرض ، وأنا أترقب ما عاينهم . . انصرف
راشداً رحمك الله .

وبينا انا سائر ساحية بلاد بني عامر اذ مررت بحية في غائط ، يطوهم
الطريق : وإذا رجل في طل حبة له يشد ويقول :

كأن فؤادي كذا مر راكب حاح غراب رام بهصاً الى وكر
اذا ارتحمت نحو اليمة رفقة دعاك اضوى واحت قلبك لندكر
فلما رأي اوماً الى ، فسنه ، فقال : أأعجك ما سمعت ؟؟ قلت :

اي والله ، من : من اهل الحصار انت؟؟ قلت : نعم ، قل : من تكون ؟
 قلت : لا حاجة في سؤالك عن ذلك ، قل : اوما تحسن الاسلام
 الصالحين : وأخذ الأحقاد ؟ قلت : لي ، قل : فما يسمعك ان : قلت :
 انا اعرف من فليس ، قل : حسب القريب ، من أنهم : قلت : من
 نبي سعد بن فيس ، ثم احمد بن اعصر بن سعد ، قل : رادك الله
 قرآن . ثم وثب فترى عن حمري ، وثقى عنه اكفه ، وقيدته بقراب
 حيمه ، وقام الى ريد ففدح وثوبه ، ووجد مصيده فلقى وهم تقرأ
 ووقع عليه سم ، ثم در عليه دققة وقرنه اي . فقلت : اي ان عسر
 هذا الحوج ، قل : وما هو ؟ قلت : مشدني ، قل : صب ، فصب
 فاعل . ففقت بقيت ، وقت : وعد : قل : ووعى عين ، ثم أشد :

قد طرقت ام حشف واهي اذا صرح القوم الكرى الخروق
 في كند يحمى عسب واهي بحقه هبصت السوى خنوق
 (ولقد صدقوا) ففقت وثا من سند اسس ضا في معودة اشده .
 وبرت غموم من الأعراب محبورين ، فحضرته بد ، هم وهمهم شبح
 لهم حوال انصمت عباد لشعر وأيام الناس ، يجمع : ففقت : مشدونه
 اشدهم . وذا سمع الشعر الخند قريح الأرض قريعة تحجس في لده ، ففقت حكمه
 على من حصر مكر (ف) ففقت : واد سمع ما لا يحججه قريح رأسه تحججه
 ففقت حكمه عليه سنة (اي انشد) ان كل داعية ، وان محض ان كل
 ذا اسل : وذا احد ذلك دبح لأهل الدي . فحضرته ومما والشيخ
 حسن بسهم ، ففقت مصبه فم يجد ، فقريح الشيخ من ذلك انشد ،
 وحدثت منه شدة ، وأشد آخر فوجد فقريح الشيخ الأرض فاعطيت له مكر :
 ثم تقدم من سهم ففقت ، ففقت اي : فسمع اخود منها في وصف ليه .

كان شحيط الصبح في اخرياتها ملاء نقي من طائفة حصر
تخال بقاياها التي أسار الدجى تمد وشيعاً فوق اردية الفجر
فقم الشبح كالخور مصداً سيعه حتى حط المرك (سدد من الأمل)
وصار يصرب يمناً وشمالاً وهو يقول :

لا نمرعى في أدبي عده
ما يسفر فريث فده
اي اذا السيف تولى نده
لا استطيع بعد داء رده

ورأت على اعرابه في الددة . وقد مات . هـ ، وهي من
التملق على مثل الرصعة (اي احجر المحروقة) فقامت معالج لي
لعمري ، ففتت لها : هذه امك هي شعب عن هذا ، ففتت : والله لا
خور بي الا مقبرياً ، ولكن السدي ايب ، اسوب ، وفي اراك لودعاً ،
سدي ايب ، لأحد شعراء الأعراب يرثي امه وميهاً موم :

واي ربي للشمتين تحدي وي كضوي احصح على كسر
يرى واقعاً لم درما تحت ريشه وان ، لم يسطع بهوصاً ان وكـ
فولا سرور الشمتين كموتي ما روت عدي من واكف جري
فكذي والله ررت الأبيات في صدرها ، ثم رالت نده ونصيح
صعدي حتى قرتني ورحت من عده .

ومرنا اعرابي ونحن في المرند ، شد اسأله ، فقيل : هل رأيت
بي ؟ قلنا : صفه لنا ، قال : « كأنه دنانير » قلنا له : لم يره . فذهب
وه يلبث ان جاء بصغير اسود كأنه الجمل ، قد حمه على عنقه ، قلنا له :
اهذا هو الدنانير ؟؟ امك لو سألت عن هذا لأرشدناك ، فانه لم يزل عامة

ومنه بين المبدأ : فسد :

رحمة الله في بيوتكم
رحمن في عين والد ولده
وحاصت الأعراب منته . فمررت رحل مسهم قعد مع امرأته بقارعة
الطريق وهو يقول :

يا رب ابي قعد كما ترى
وماني فتدة كما ترى
والنفس مي حاسع كما ترى
ثم ترى رب فيما ترى ؟؟

ومررت نعلين « ليله » وذا حيطان تتدسون في الله ، وشاب جميل
الموجة مروح الحبر وعد ، فسمعت عيه ، فرد عني السلام ، وقال : من
ابن وضح أركب ؟ قلت : من الخي : فل . ومتى عهدك به ؟ قلت :
رحل . قال : من كان مسك ؟ قلت : ادنى هذه امثاقر . واتفق معه
على ظهوره . وفسس الصعداء . ففتت في نفسي تفأ حجب قلعه ؛
ثم اشد :

مضى قد امست سمعي نخله من احزن ما تروى به وتيم
وان . أكن من وطئه وثه يحال به شعص علي كريمة
ثم سكت سكته كسمعي عيه ، فصحت لأصبة فثروا بناء ، فصبته
على وجهه ، ووهي وانند :

اذا الصب اعرب رأي حشوعي وانفسي تزن باخشوع
وي عين اصر بهب القماتي الى الأجرع مطلقه الدموع
الى الخوات رأس فيث نفسي كما اس الوجيد الى الجميع

متولاته ورواياته

يقول الجاحظ عن الرواية ورواة في العهد الذي عاش فيه الأصمعي :
 « أدركت رواية المسجدين والمربدين : ومن يرويه منهم أشعر الحيين ،
 وخصوص الأعراب ، وسبب الأعراب ، والأرجاز الأعرابية القصر ، وأشعر
 اليهود ، والأشعار المصنفة ، فانهم كانوا لا يعدونه من الرواة . ثم استعدوا
 ذلك ، ووقفوا على قصص الأحداث ، والتصدد وقتل واستف من كل
 شيء . وتذهب به ، وما هم على شيء ، احرص منه على سبب العس
 اس الأعراب : ثم هو لا أن اورد عليهم حسب لأمر حسب الأعراب .
 فزهدوا في سبب سبب . ثم رأوا به مدميات ، وما يروى شدة سبب
 الأعراب إلا حدث أن قد بدأ في طلب الشعر ، أو فيني معرب

وقد حسنت إلى أي سبب والأصمعي ويحيى بن حبان وأبي ميثم عمرو
 ابن كركرة مع من حسنت من رواية المعداديين ثم أتت أحد منهم قصد
 إلى شعر في لسبب فشده : وكل حذف الأحمر جمع ذلك كله . ولم أر
 عادة للمحويين إلا كل شعر فيه أعراب : ولم أر عادة يرواه الأشعار إلا
 كل شعر فيه عريب أو معنى صعب يحتاج إلى الاستعراج : ولم أر عادة
 رواية الأحرار إلا كل شعر فيه السهولة والمثل .

ورأت عاميهم - وهم بيت مشهوتي ضم - لا يفتخرون إلا على
 الأعاط السخرة والمعاني السخيفة ، وعلى الأنطال العدة أو الحرج السهية
 والمدسحة الكريمة ، وعلى الطمع السمكن ، وعلى السك الجيد ، وعلى كل
 كلام له ماء وروى ، وعلى المعاني التي إذا صرحت في الصدر عمرها
 وأصابع من الفساد القديم ، وفتحت للسان باب البلاغة ، ودلت الألفاظ
 على مدفن الألفاظ ، وأشارت إلى حسان المعاني . ورأت النضر بهذا

الخواهر من الكلام في رواية الكتب ثم ، وعلى أنه حديق الشعر
أظهر . (١)

من هذا الموصف الموفق ، يرى من رواة الأدب والأخبار لم يتخذوا
في ذلك العهد نوعاً واحداً في الرواية ، ولكلهم كانوا يسيرون المذوق العام
استقل بين أنواع الأدب . والأصمعي أحد أقطاب هؤلاء الذين عدموا
احداً في وصفه هذا ، إذ لم تكن روايته في الأدب ولأخبار على غلط
وحد وثان خاص ، وفيها ما كان قد رواه أيام قسوة وشدة ، وفيها ما
غبي به شيء كبرييه وسطه في العلم ، حتى إذا تبع مرحلة السجوة واحدة
التم حيا في روايته معنى العلم ، الأحباء : وكل شكل دور من هذه الأدب
التي احدها طبع خاص في الرواية ، ودوق نهاره في تدوين الأخبار
وما قبل احدها أنه ما وجد الأصمعي قنصل في شعر في النسب فـ ،
حق : لأن الخاطيء أدرك أسناده الأصمعي متأخراً ، حكمه اس .

وقد وجد الأصمعي - خلال عهد من رواة الأدب والأخبار - ما تـ
شأنه من وصفه الخاطيء في حديثه هذا إلا من فيه شيء واضح ..
الرواية : كتاب الأصمعي نسخة الرواية والفتنة : واليه يحط لاء ،
والفتنة : ومنه على المعنى واضح : وهو ريادة كل معق ومصطح .

روايته للشعر

ما أشر ما روى الأصمعي من الشعر خلد ، حتى قبل : انه كثير
من حفظ وروى . . . والعجيب أنه كان يحفظ الدواوين السكاملة لعظم
الشعراء الذين كانت اشعرهم مدونة في عهده : وقد حدثنا هو عن ذلك ،

(١) محاسن الأدب : ج ١ ص ٢٩٠ .

قوله ، مائة : « درست دوازده سفری علی محمد بن حسن السعفی »
و « فرأت شعر السبعة » يعني علي بن ابي بصير من السلاء « الى آخره »
ما يدل على انه كل مدرس دروس الشعر واحد واحدا . وانه كان
- فصل حاشية - جمع أكثر هذه المداوين في صدره ، مع غيره من
قصائد الشعراء الذين جمع آثارهم كلها . وله رواية لا تحصى ولا
عد في هذا المجال .

وتنشر هذه لأشعار في نعت اسمه ، في سبيل أدب القدر
والعسر . روى لأصمعي شئ كثير من تراجم شعراء مجهولين من
الأعراب . يعرفوا ولم يروا أسوأهم . . . ومنه في مدحه في جمع
الشعر ورأى له . بحث عن فيه وسبب والاعرف الى غيره ، ونسبة
التي قيل فيها ذلك الشعر ومنه وحده . وكما نلاحظ ، بحث في
آثاره هذه بعض القطع احده في الزمان بحفنة ، . بذكر صاحبها ،
ويكنى بقوله : « قل أحد لأشرف » . ثم يشير الى انه غير من
ذلك الشعر صدقة ابن ، نحوه ونحوه . أو أنه لم يستطع
معرفة صاحبه ودراسة أحواله سبب من الأسباب .

وقد كثر الأصمعي من غيره من الرواة في جمع بعض القصائد
المرسولة لشعراء المشهورين في الجاهلية والإسلام ، ومن الجهد الكثير
في البحث عما يدور من ساحبه هذا ، فجميعه ودونه وأمدى الى الأدب
خدمة كبرى : ولكن لا نستطيع معرفة ان القصائد منها كان له نصيب
السبق في روايتها وسجيدها ، كما لا نستطيع احرم في كل ما روي عنه
من هذا انه لم يسمه أحد اياه : وقد رأيت في بعض القصائد التي رويها
أبيات تحذف في بعضها رواة الآخرون من الرواة المعاصرين .

غير ان الذي نعتقده هو ان ما جاء لنا به من شعر الأعراب من لم
تعرف اسمؤهم بين مشهير الشعراء كان من ثمرات جهده وحده لانه أول
من دونه وشي به ورواه على أساس قبل أن يصيغ . . والأصمعي
- بين الرواة - فصل كبير في ذلك بكثرة ما جمع وشعر من هذا وفيما
في صور من رواه قبل :

شدي اسراي - في أدب الصعامة - :

والذي لا علم العبد غيره ومن هو يحيي اعظم وهي رمية
تدكس أطوي المظن وانرديشني محمته من ان قال شي
واي لأستعبي أ كني ودونه وددن لدي دمن السلام بيهم (١)
ه سدي اعترافه احبت فتي وأحب شي تروح يره ففتت بعده :
أف أف اي ما ادمت بك اخوى وأصفت، حتى اوجدني لك طاهر
وحشرت بك الدس حتى اسرني محشرتي ب وريح فيمن اجهر
فكنت كفي العقص ما سني وبعجتي د رعرعه الأعاصير
فصار عيبي واستدبرت طلاله وقد نعتني من هذه الخواجر (٢)

وسمعت اعراباً شدي - في ذم اشرار الدس - .

كلاب الناس ان فكرت فيهم اصبر عليك من كسب الكلاب
لأن الكلب لا يؤذي صدقاً و - صدق هذا في عذاب
وأتي حين دني في ثياب وقد حرمت على رجل مصاب
وأحرى الله انواء شبيهه وأحرى الله ما عت الشب (٣)

(١) الأماي : ج ٣ ص ٢٧ .

(٢) الأماي : ج ٢ ص ٢٨٣ - وهذا شعر قصه برويها الأصمعي .

(٣) الأماي : ج ٢ ص ١١٩ .

وأشد أعراي - في الشب - :

ألا قات احبب يوم تقبها كدت ولم تجزع من الشب محزعا
رأت ذا عصا يتتى عينا وشمة تقع منها رأسه ما نفعها
فقت لها لا هرفي في فقت يسود المتى حتى يشب ويصلها
وللقرح العيوب حدير علالة من اجدع الخرى وأبعد مبراً (١)

ولأحد الأعراي كي انما له بدعي حسن :

افلحت ان كل ما يتت حسن وكب عبي الكاء والخرن
احول في الدار لا اراك وفي ال دار المس جوارهم عبي
بمنهم فيك يت اهم كانوا وشيبي وبينهم عبي
فان بعش حسن حركت وال جلد وأنت الحديث والمسن
فلا بسالي اذا فقت لب من ماب او من أودى به الزمن
كمت حالي وكمت حامي كل حي من الله سكن (٢)

وشهد رجل معركة (الخن) بن علي بن ابي طالب وحش عشة
فقال :

شهدت احروب وشيبي ولم تر عبي كيوم احن
اثير على مؤمن فسة وانك منه لحرق عطل
فليت الطيبة في بينها وليك - عكر - لم ترخل (٣)
ورأيت بالدية امرأة على راحلة لها تطوف حول قبر وهي تشد .
يا من بمقتله زها الدهر قد كان فيك قضاء الأمر

(١) البيان والبيان : ج ٣ ص ٨٢ - كلمة (مجرى) تعني المجرى .

(٢) العقد الفريد : ج ٢ ص ١٩ .

(٣) العقد الفريد : ج ٢ ص ٢٨٧ .

نعوأ: فمت وما هم حشر . كدوا وفداك م هم حشر
 فمر سيد، المحين سمحة حتى الأله عيك . فمر
 ود غمت صدمت : مـ ملك الحول وحملك الممر
 ودا رفدت فنت مـ مـ واد اميت فوحيت الممر
 بقة له مك لم دج مـ لا وت مـ مـ (١)

ورحل من بي كلاب - في ذكر كلابي -

سي الله دهر قد فنت مـ مـ واد لا حشة مـ مـ
 لي حدى كل الممر . مـ مـ مـ مـ مـ مـ مـ مـ
 وفي دهره والعش د دة عرة
 ما قد سما والمسا مـ مـ مـ مـ مـ مـ مـ
 وحر ل ديه الممر حـ مـ مـ مـ مـ مـ مـ مـ
 فسيه مـ مـ صاحب حشر مـ مـ مـ مـ مـ مـ مـ
 احد عن الممت امي مـ مـ مـ مـ مـ مـ مـ مـ

وقال احدهم - في حشره وتدي : كـ مـ - :

الا : (كـ مـ) قد اميت قوي
 وست مـ مـ الا مـ مـ مـ مـ مـ مـ مـ
 أوئل ان الا في آل كـ مـ مـ مـ مـ مـ مـ مـ
 ومث لو نظرت فدمت مـ مـ مـ مـ مـ مـ مـ

وقال احدهم في وصف فرس :

قد اطارق الخي على مـ مـ مـ مـ مـ مـ مـ مـ

(١) الأمل: ج ١ ص ٤٠ .

(٢) الأمل: ج ١ ص ٧٧ .

لأب أبي في دمه كثر عرجوا، تنى سدي
 قال بي بخل في شوه صرب في الأقرب ولأمد
 كانه مكر أو عس أو اس رب حدث المولد (١)
 وسبع اثرة - سد - في الصحيح - :

من ضمت حر حساً فكن حس منه ما تسر
 تسر أخير موصود به ومسر أشير موصود شر (٢)
 وأشدني آء في ر ملاق رجه :

دمت أمة - بصادف - موت من سس وثق
 مات في رة - هب - فسي وثا بدمع مافي
 دواء - لا تسبه الحس - عجب - المسراف
 والعيش من طس - بين اثنين - لا اعدى
 لو لم ارج عراقي لأرحمت نفسي باللاق (٣)

ورمخ اعراقي امرأة شريرة وهدى نفسه معها لخر وفن :
 حطت إلى الشيطان للعين منه فادخلها من شقوق في حجاب
 وقعدني منها حمري وحسي حري الله خير حسي وحديا (٤)
 وشرب اعراقي حمراً فعدته روحه فقل :

عصيت علي نين شربت صوف ولئن عصمت لأشربن بحروف
 وإن عصمت لأشربن سمجه ذهب مائه الأء سحوف
 وإن عصمت لأشربن ساقه كومة دوة العطاء صفوف

-
- (١) المقد الفريد : ج ١ ص ٦٥ .
 (٢) المقد الفريد : ج ٢ ص ١٠٤ .
 (٣) المقد الفريد : ج ٢ ص ١١٩ .
 (٤) المقد الفريد : ج ٢ ص ١١٩ .

ولئن عصمت لأشرف من سادح شهد أشم السككين سيف
ولئن عصمت لأشرف من واحد ولأجلن الصبر منه حليبي
وقد شهدت من حشر بقدر واحتمت صوت الصارح السهوف (١)

روايته للأمثال والحكم

وكانت تدهم جمع الحكم والأمثال بروايتها ككعبه جمع الشعر
بروونه من رواية من علة وأثراب ومعنى دقيق وأثر في السمع وروية في
الكلام . وقد مر على عدة العبد في عهد الأصمعي فترة من الزمن عوا فيها
لجمع هذا النوع من الأدب بروونه وشوا فيه كما ألف الأصمعي كتابه
« الأمثال » أيضاً وحذر فيه مجموعة تبيته منها . وإذا كان كذلك هذا
لا يزال صانعا فقد تمت له كتب الأدب منه جزءاً مع سبب كثير
من رواة من محله وبحضارته من الأمثال وشرح معيها وذكر حوادثها
ومسببها ، كموله :

« من استترى الدثب فقد خد » أي من ولي غير الأمين على امره
فأمره من علة .

« هذا وما نردى تبهمة » ضرب رجل يخنق قل وقت الجرع .
« خرق ، وحلت صوقاً » يقال للرجل القاسد تقع في بده مال
يعيش فيه .

« اسمع جعجة ولا أرى طحاً » أي اسمع حلة وضوضه ولا أرى
علاً نافعاً .

« كلا جاني هرش هن طريق » يضرب لأمرين يشتبهان ويستويان

(١) الامالي : ج ١ ص ١٥٥ .

في اي مأخذ اخذتها .

« حِرَّةٌ تَحْتَ قَرَّةٍ » يقال لأمر يظهر وتحت امر خفي غيره .

« ان البغاث بأرضنا يستنسر » يضرب للرجل الضعيف يعجز عن

تدبيرها وينجبر علماً .

« اصرد من غير حره » يقل للرجل اذا كان شديد الحر بالبرد .

« حَنٌّ قَدْحٌ لَيْسَ مِنْهُ » ضرب مثلاً للرجل يدخل منه في قوم

ليس منهم .

« لا يعده شقي مهراً » اي لا يعلم الشقي عداءه وحرارة على شقاوته .

« لا تعدم الحناء ذاماً » لا يخلو اي وجل من ان يكون له

ما يوب عليه .

« الدليل أحق للويل » اي الستر في الحب خير من الكاشفة .

« قبل الزمء مثلاً الكثر » يراد به تم وفوق الأمر تحت اب

بعد له المدة .

« حَرَضٌ خَشَاشَةٌ » اي عمل بما يؤده .

« بَرَّقَ لِمَنْ لَا يَعْرِفُكَ » يقال هذا للذي يتوعد من يعرفه ويعرف

عجزه ، فيقول له : اصنع هذا ممن لا يعرفك .

« لوى عنه عذاره » اي عصاه فم طعمه .

« العمد من لا عد له » اي من لا يكن له عمد ولا كاف حيه

امتهن منه .

« حر انصر » يضرب للرجل ، يُصْلَمُ فينتقم .

« حيء به من حسنت و سكت » اي من حيث كان ولم يكن .

« شراب دمع » اي معبود للأموال نانيها مرة بعد اخرى .

« لو كان ذا حيلة تحول » يراد انه أني من قبل ضعفه .
 « أحسن وذق » مثل للرجل يتعرض لما يكره فيقع فيه .
 « لو كويت على داء لم أكره » اي لو عوتبت على ذنب فعلته
 ما امتنعت .

« كمتني الصيد في عريسة الأسد » يطلب الفيمة في موضع الملكة .
 « اعود من لافظة » واللافة هنا البحر .
 « احسن من صافر » كثير الخوف . والصارف طير صغير .
 « حل سبل من وهي سقاؤه » اي من لم يستقم امره فلا تعباً به
 « يشوب ولا يروب » مثل للرجل يُخَلِّط .
 « شر الرأي الذي » يراد به الذي يحى بعد ان وت الأمر .
 « كان حاراً فاستثن » للرجل بهو اكثر مما كان هياً .
 « الحتى أضرعتني اليك » اي ذلّ للحاجة .

« هما كأسان الشط »
 « سواسية كأسا الحار »
 « كعصي عير »
 « كركتي العير »
 - معهما واحد يقال للشينين المستويين .

ومما رواه في الحكم والمواعظ والصح :
 بقل في حكم القدماء : « اعص الناس الى الله المشت » ، واشتلت
 هو ارجل الذي يسعى نحيه الى الأمام فيهلك معه واخاه وإمامه (١) .
 قال ابن عبيد . لا يزال الناس بخير ما داموا اذا اختلج في صدر

(١) السطوف : ح ١ ص ١٠٤ .

الرجل شيء وجد من يفرج عنه (١) .

أوصت امرأة أسأ لها يرد الفرس فقلت : اجلس امسحك وصتي
وبالله نوفيئك : ايك والثائم فانها تزرع الضغائن ؛ ولا تحمل نفسك
غرضاً للزمانة فال الهدف اذا رمي لم يلبث ان ينثلم ؛ ومثل نفسك مثلاً فما
استحسبه من غيرك فاعمل به وما كرهته منه فدهه واجتنبه ؛ ومن كانت
مودعة بشره كل كالريح في صرفه ؛ واذا هزرت وهزرت كريمة فان
الكريم يهر هريك . وايت والثيم فيه صحرة لا سحر مؤها ؛ وايت
والقدر و اقبح ما تعمل ، وعليك بلوف ، فيه الياء ؛ وكى تلك
جواداً وسدت شحياً ؛ ومن أعطي السجدة والحلم فقد استعاد أحلة
ريضها وسرناها « (٢) .

قال الحسن البصري : « يا ابن آدم ، انت اسير الجوع صريع الشبع
ان قومك لبسوا هذه المنارف العنق ، والثائم ارقق . ووسموا دورهم
وضيقوا قبورهم ، وأسمنوا دوابهم ، وأهزلوا دسهم ، تنكي احدهم على
شماله وياكل غير ماله ، ثم يقول : يا جارية هاتي هصومك .. ويحك
وهل تهضم الا دينك ؟ » (٣) .

سئل علي بن ابي طالب : كم بين الايمان واليقين ؟ قال : اربع
اصابع : قيل : وكيف ذلك ؟ قال : الايمان كل ما سمعته اذناك وصدقه
قربك ، واليقين ما رآته عينك وبقين به قلبك ، ولس بين العين والأذن
إلا اربع اصابع (٤) .

(١) البيان والبيان : ج ٣ ص ١٦٠ .

(٢) البيان والبيان : ج ٣ ص ٢٦٤ .

(٣) العقد الفريد : ج ١ ص ٣٨٧ .

(٤) العقد الفريد : ج ٣ ص ٣٦٩ .

سمعت رجلاً يقول : الحسد ماحق الحيات : والرهو جانب لقت الله
ومقت الصالحين ؛ والعجب صارف عن الاردياد من العلم ، داع الى التخصط
والهبل ؛ والحل أدم الأخلاق وأجلها سوء الأحداث .

وقل آخر يصح مبراً : آثر بعصك بمدك ، ولا تدع لشهوتك
رشادك ، وليكن عقلك وزيرك الذي يدعوك الى الهدى ، ويعصمك من
الزدي ؛ ألجم هواك عن المواحش ، وأضقه في الكارم فانك تر بذلك
سلفك وتشيد شرفك (١) .

تقول العرب : لا ثناء مع الكبر ، ولا صدق لدي الحسد ، ولا
شرف لبيء الأدب .. شر حاصل لبوك الحين عن الأعداء ، والقسوة
على الصغفاء ، والحل عند الاعطاء .. صفة الرحم مبدئة في العمر ، مرضاة
للرب ، محبة في الأهل .

يقول حكيم العرب اكتم من صبي : سوء حمل العاقبة ينحرض -
بصد - الحسب ، وتقوي الضرورة ، ويذثر اهل الشبهة .

وبقل . أولى الناس بمنصن أعودهم بعصه ، وأعون الأشياء على
مذكية العقل العلم ، وأدل الأشياء على عقل العقل حسن التدبير .. وأمتع
شيء بممارسة الحب ، ومحادثة الصديق ، وأمانى تقطع بها أيامك ؛ وأكلم
امصائب فقد حصل لا عوض منه .

وقلوا : من لم يرض عن صدقه الا بإيثاره على نفسه دام سخطه ؛
ومن عاتب على كل دس كثر عدوه ؛ ومن لم يؤاح من الاخوان إلا من
لا عيب فيه قل صدقه (٢) .

(١) الأمالي : ج ١ ص ١٩٧ .

(٢) الأمالي : ج ١ ص ١٩٨ - ٢١٤ .

قال بعض الحكماء لاسه . يا بني اقل وصيي وعهدي : ان سرعة انشلاف
قلوب الأبرار كسرعة اختلاط قطر انظر بدمه الأبهار . وبعد قرب الفجار
من الانشلاف كعمد السهائم من العاصف وان طال انشلافها على اري واحد ؛
كن يا بني مصابيح الورراء اعنى ملك بكثرة عدسهم ، فان النوبة حصف
عملها كثير ثمنها ، والحجر فادح حمله قليل عدو (١) .

يقول عروة بن الزبير لنيه : لا تهدين احدكم الى ربه ما يستحي ان
يهديه الى حريمه ، فان الله اكرم الكرماء واحق من احير له . . . يا بني
تعلموا العلم فانكم ان تكونوا صر قوم فعسى ان تكونوا كسارهم ؛
واسوأنا ما افسح من شيخ جاهل ؟

يا بني ، اذ رأيتم حلة رائعة من شر من رجل فحذروه وان كانت
عد الناس رجل صدق ، فان لها عدة احوات ؛ وادا رأيتم حلة رائعة من
خير من رجل فلا تقطعوا بانسكم منه وان كان عد الناس رجل سوء ، فان
لها عدة احوات (٢) .

يقول عمر بن الخطاب : مروءة الرجل عقله ، وشرفه حاله .
ويقول احنف بن قيس : العقل خير قرين ؛ والأدب خير مبراث ؛
والتوفيق خير قائد .

ويقول اكثم بن صيفي : خير السخاء ما وافق الحاجة ، ومن عرف
قدره لم يهلك ، ومن صبر ظفر ، واكرم اخلاق الرجال العفو .
ويقول احدهم : قوت الحاجة خير من طلبها من غسير اهلها ؛ وعز
الراثة اشرف من سرور العائدة ؛ وحمل اثنين اقل من الصبر على العدم . (٣)

(١) الأمل : ج ١ ص ٢٣١ .

(٢) الأمل : ج ١ ص ٢٤٠ .

(٣) الأمل : ج ٢ ص ١٦٧ .

قال الحسن لاسه : يا بني ، اذا جالست العلماء فكن على ان تسمع
احرص منك على ان تقول ، وتعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام ،
ولا تقطع على احد حديثاً وان طال حتى يمسك (١) .

ول عمر بن العاص : ليس العاقل الذي يعرف الخير من الشر ولكنه
الذي يعرف خير الشرس : وليس الواصل الذي يصل من وصله ولكنه
الذي يصل من قطعه .

قال ريد بن أبيه - ليس العاقل الذي يحل للأمر إذا وقع فيه ،
ولكنه الذي يحتال للأمر ان لا يقع فيه .

قال معاوية لمعرو بن العاص : ما بلغ من دهنتك يا عمرو ؟ قال عمرو :
لم أدخل في امر قط فكرهه الا خرجت منه : قال معاوية : لكلي لم
ادخل في امر قط وردت اخروج منه (٢) .

سعي ابن عبي بن ابي طالب كان يقول : امره في الدنيا عرض
مصل فيه الدنيا ، وهيب للمصائب ، ومع كل حرة شرق ، وفي كل
أكلة شقص ، ولا ينال العبد فيها سعة الا بفراق اخرى ، ولا يستقل
يوماً من عمره الا يهدم آخر من احله ، فحس اعوان احتوف ، .. فاطمئنا
اخير واهله : واعلموا ان حذراً من اخير معصيه ، وشرّاً من الشر فعله (٣) .
وهل اكنتم من صبيي .

« يا بني تميم ، لا تمسكم وغضيبي في فتنكم الدهر نسبي : ان بين
حيرومي لبحر من الكلم ، لا احد له مواقع غير اسماعكم ، ولا مقراً
الا قلوبكم . فتقوها شجاع صاعية ، وقبوا واعية ، تحمدوا عوامها :

(١) الامالي ج ٢ ص ١٨٨ .

(٢) عيون الأخبار : ج ١ ص ٢٨٠ .

(٣) الامالي : ج ٢ ص ٥٤ .

ان الهوى يقضل ، والعقل راقد ، والشهوات مُطلقة ، واحزَمَ
معقول ، والنفس مهمة ، واروية معيدة ، ومن جهة التواهي وترك اروية
يَتَلَف الحزَمُ .

ولن يعدم المشاور مرشداً ؛ واستند برأيه موقوف على مداحص الرلل ،
ومن سَمَعَ سَمَعَ به ؛ ومصارع الألباب تحت ظلال الطمع .

ولو اعتبرت مواقع الحزن ما وجدت إلا في مقتل الكرام ؛ وعلى
الأعصار طرق الرشاد ؛ ومن سَلَت الحَدَدُ أَمِنَ العثار ؛ ومن يَعمد
الحسود ان يتعب قلبه ويشغل فكره ويؤرث غيظه ولا يحاور صره
نفسه .. « (١)

روايته للطرائف والممتع

وعني بالطرائف والمنح ملك القصص والأحبار التي جمعها ورواها عن
تخصص اشتهروا في التاريخ او بوهت كتب السير والأدب باسمائهم فاصحوا
من المعروفين في مجالات العلم والأدب . وهي غير بواذر الأعراب التي سبق
نحها ، لأنها احبار تاريخية لها صلة بسير هؤلاء ارحل وتاريخ حياتهم ؛
فكان الأصمعي ينوح الحقائق والصدق في روايتها كمنه في نقل الأحبار
التاريخية ؛ ولم يدع حباله يستسلم في صعبها او اريادة فيها كما هو شأنه في
صع بواذر الأعراب .

وقد جمع وروى الشيء الكثير بواذر محبته من هذه الطرائف والمنح ،
فحكى عن مثهبر الحلاء من سائر الطبقات ، وعن عقلاء المحايين المعروفين ،
واللصوص الطرفاء من هواة الأدب والشعر ، وعن هفوات وشذود بعض

(١) البصائر والذخائر : ١٥١ .

أرباب السيف والادارة ، وحتى عن بعض الخلفاء وما كان يقع في مجالسهم
من نوادر واجوبة مضحكة وطرائف فكرية تستحق الاهتمام .

كان الأصمعي معى رواه هذه الطرائف في مناساتها ، وتناثق في
حديثه بها ، فيصني عليها من جمال صوته وحسن أسلوبه وفصاحة لهجته ما
يزيده روعة في آدائه ، ومعه ، وسجراً في نفوسهم ، حتى عرفوا كما ذكرنا -
بهذا اللون من الأدب الصريف ، الذي شوق الناس الى محادثته حتى اوصله
الى بلاد الرشيد فكان السب الرئيسي في ثرائه . . . وقد سبق لنا ان
تحدثنا عن طريقه والوان طرائفه التي رواها في شبابه عن نفسه أثناء معاشرته
المسجدين والشعراء الطرقات ، وهذه صور من الطرائف التي نقلها عن الغير
ورواها في محاسنه ، ول :

سوق بين « هسقة » و « الجرمنس » ايها الحق وأجن من الآخر ،
فحاء جرمنس نحجارة حفاف من الجص ، وحاء هسقة بحجارة ثقالة وترس ؛
فبدأ جرمنس ، فقص على حجر ، ورفع صوته وقال : الترس ؛ فرمى
الترس فأصابه فانهزم هسقة ؛ فقبل له : لماذا انهزمت ؟ فقال : اما رأيتم
انه قال : الترس ، ثم رمى الترس فلم يحطه ؟؟ فلو أنه قال : العين ،
ورماها ، أما كان يصيب عيني ؟؟ (١) .

وكان رجل من اهل البصرة ندياً شريفاً يؤدي جيرانهم وشم
اعراضهم . فأتاه رجل ، فوعظه ، وقال له : ما بال حيرانك يشكوك ؛
قال : لأني اشتهمهم ، قال : ولم ؟؟ قال لأنهم قوم يحسدوني على كل
شيء ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : اقبل معي اليهم : فاقبل معه الى حيرانه :
فبعد متحارباً ، فقالوا له : مالك ؟؟ قال : طرق كتاب من الخليفة معاوية .

(١) المقدم القريد : ج ٣ ص ٢١١ .

ان أصل انا ومالك بن النضر وفلان وفلان ، وذكر عدة رجال من
اشراف اهل البصرة : فوثبوا عليه وقالوا له : يا عدو الله ، انت تصلب
مع هؤلاء ، ولا كرامة لك : فاست الى ارجل ابي جء معه ، وول :
اما تراهم قد حسدوني على الصلب ، فكيف لو كان حياً ؟

كان « ابو ربي » بخيلاً ، فكل اذا آتاه زائروه فب ضم : هل
عندكم اليوم ؟ فب قوا نعم ، قال : والله لو لا انكم عندكم لأطعمكم
لوياً ما اكلتم منه ، ولكن ذهب اول الغداة شهونكم : وان قتلوا لا .
قال : والله لو لا انكم لم تعدوا لتقتلوا اقداح من ريب ما شرتم
منه .. فلا يصير في الدين من شيء (١) .

مر رجل نبي الأسود « الدؤلي » - وكان بخيلاً معروفاً - وهو يقول:
من يعني الخائف ؟ فقال ابو الأسود : علي به ، فأتاه بشاء كثير ، وقال :
كل حتى تشبع : فما اكل ذهب ليخرج ، قال : اين تريد ؟ قال :
اريد اهي قال ابو الأسود : لا ادعك تؤدي المسلمين الليلة بسؤالك ؛
اطرحوه في الأدهم ، فبت عنده مكولاً حتى أصبح (٢) .

ولي رجل قصه الأهوا ، فبذلت عليه اوراقه وليس عنده ما يصحى
به ولا ما يفتق ، وشكا ذلك الى امرأته ، فقالت له : لا حتم وب
عندي ديكاً عظيماً قد سمعته ، وهذا كان يوم الأصحى ذبحاه : فلع جيرانه
الخبر فأهدى له كل منهم كساً حتى يبعوا الثلاثين وهو في المصلى لا يعلم ؛
فبصر الى امرله ورأى ما فيه من الأصاحي قال لامرأته : من اين هذا ؟
قالت : اهدى لنا فلان وفلان وفلان حتى سميت له جماعة ، فقال لها :

(١) لعمري : ج ٣ ص ٣٥٣ .

(٢) المقدم القريد : ج ٣ ص ٣٢٧ .

يا هذه ، تحقضي سببك هذا ، فهو اكرم عند الله من اسحاق بن ابراهيم
عليه السلام ؛ انه فدى ذلك بكش واحد ، وفدى ديك هذا ثلاثين
كشاً (١) .

خرج جماعة من « بني نذر » ومعهم رجل معص وفصائهم ربح في
البحر آيسوا معها من احياء ، فعتق كل واحد منهم مموكاً او مموكة ، فقال
ذالك ارحل : اللهم انك نعم الي ليس لي مموك ولا مموكة ، ولكن امرني
ضاق طفلة واحدة وحبث الكرم (٢) .

وشهد رجل عند « سوتار » القاضي فقال له : يا صدعت ؟ قل .
ا . مؤدب . قل : وما لا خير شهادتك . قل : وه ؟ قل : لانك
نخذ على تعليم القرآن احراً . قل : وانت تأخذ على القصة بين اسميين
احراً . قل : ا . اكرهت على القصة . قل : يا هذا ، القصة
اكرهت عليه ، فهل اكرهت على احد ابرو ؟ قل : هلم شهادتي ؛
وحرها (٣) .

حاء رجل من بني محروم الى الخارث من عند الله بن نوفل وهو
معصي عن ابيه دنا فقال : ان لي على احيث حنفاً ، قل : ثأنت حقت
عنه . قل : ائمن ملاة احيك ووفاته يدعي عليه ما ليس به ؟ قل :
أمن صدوت ورتش نعل قولك غير ينة ؟ (٤)

صعد « البرنوعي » ليخطب ، ولكنه ارتج عليه ، فقال : « اما
بعد ، فوالله ما ادري ما اقول ، ولا فيم اقتصوني ، .. اقول ماذا ؟؟ »

(١) معقد نفريد - ج ٣ ص ٤٤٥ .

(٢) محاصر الأعداء : ج ١ ص ٩٤ .

(٣) عيون الأحبار : ج ١ ص ٦٩ .

(٤) عيون الأحبار : ج ١ ص ٢٥٥ .

فقال له مريضه : قل في بيت . فقال : « أريت مبارك ، فكوا منه
وادهنوا .. » ثم نزل ، فضحك الناس (١) .

انشدت محمداً بن عمران قصي اسسة ، وكان عُقل من رأيت :
يا ايها السائل عن مرلي رأت في الخان على نفسي
يعدو علي الخير من حار لا يقبل الرهن ولا ينمي
آكل من كسي ومن كسرتي حتى لقد أوجعني صرسي
فقل : اكتب لي هذه الأيت ، فقلت : اصلحك الله ، هذا لا يشبه
مثلك ، وإنما يزوي مثل هذا الأحداث : قل . اكنها ، ولأشراف
محبهم الملح (٢) .

و... مات يريد من عند الملك وصارت الخلافة الى هـ من عند الملك ،
حر اصحابه سجود وشكر لله ، الا « الأبرش الكلبي » ، فقال له :
يا ابرش ، ما معك ان تسجد لله كما سجدوا ؟؟ قل : يا امير المؤمنين ،
لأنك صرت خليفة فتركنا ودهمت عدا ، قل : قل ذهبت لك
معي ؟؟ قل : او فعل ؟؟ قل : نعم ، قل : فالآن طاب السجود ، ثم
... جد (٣) .

بينما كان « ابن عرياض » الظريف يمشي مقدماً بطنه ، اذ اسبقه
جماعة من الخوارج يحرون الدس ناسيوف ، فقال لهم : هل خرج اليكم
في اليهود شيء ؟؟ قالوا : لا ، ان اليهود اصحاب كتب : قل : ومضوا
ادأ راشدين ؛ فحسوه يهوداً ، فتركوه (٤) .

(١) عيون الأخبار : ج ٢ ص ٢٠٦ .

(٢) زهر الآداب : ج ١ ص ١٤٧ .

(٣) العقد الفريد : ج ١ ص ١٨٢ .

(٤) العقد الفريد : ج ١ ص ٢٨١ .

قال « عيسى بن عمر النحوي » : قدمت من سفر ، فدخل عليّ
 الكثر ذو ارملة ، فعرضت لأني اعطيه فقال : انا وأنت نأخذ ولا نعطي (١) .
 ركب عيسى بن عمر الثغبي النحوي « حماراً له » ، وكان يتقعر في
 كلامه : فقعر الحمار وسقط عيسى مفشياً عليه ، فلما افاق وجد الناس قد
 اجتمعوا حوله ، فقال لهم : « ما لكم تكأ كأثم عليّ كتكأ كئثم عليّ »
 دي جة ؟؟ افرقوا عني (٢) .

دخل اعراي علي هاشم بن عبد الملك ، فقال له هاشم : عظمي
 يا اعراي ، فس : كفى بالقرآن واعظاً ، اعوذ بالله من الشيطان الرجيم
 « ومن لم يطعمين امس اذا اكلتوا على الناس يستوفون ، واذا كالوهم او
 وزبوهم يحسروا .. » ثم قل : يا امير المؤمنين ، هذا جراء من يطفئ
 الكيل واليران ، فما ضحك تن مأخذ كله (٣) ؟؟

روح « خالد بن صموال » عبده من امته ، فقال له العبد : لو
 دعوت امس وحطت فيهم ! ، قال : ادعهم انت ، فدعاهم العبد ، فلما
 اجتمعوا كلم خالد بن صموال فقال : « ان الله اعظم واجل من انت
 يدكر في سكاخ هدين الكسين ، وانا اشهدكم اني روجت هذه الزانية من
 هذا ابن الزانية » (٤) .

عرضت السجور بعد هلاك الحجاج بن يوسف فوجدوا فيها ثلاثاً
 وثلاثين ألفاً لم يحب على واحد منهم قبل ولا حسب ، وفيهم اعراي أحد
 لأنه نال في أصل مدينة واسط ، فكان فيمن اطلق ، فاش يقول :

(١) لعقد الفريد : ج ١ ص ٣١٢ .

(٢) ابن حنبل : ج ٣ ص ٤٨ .

(٣) العقد الفريد : ج ٢ ص ١٠٢ .

(٤) العقد الفريد : ج ٢ ص ٢٠٠ .

إذا ما خرجنا من مدينة واسط حريبا وبنا لا نحف عقدا (١)
لما ولي لئال بن أبي ردة البصرة ، بلغ ذلك حشد من صفوان فقال :
« سحابة صيف عن قريب تقشع » فبلغ ذلك بلالاً ، فدعا به وقال له :
أنت القاتل « سحابة صيف . . » ؟ قال : نعم ، قال : أما والله لا
تقشع حتى يصيبك منها شؤبوب برد ، فصر به منه سوطاً (٢) .

أقبل رجل إلى يزيد بن مسلم فقال له : أفي كنت فاس حو رأت
الحجاج في اسم فـ . ما فعل الله بك ؟ قال : قلبي كحل فقل قسه
قتله ، وأما منتظر ما ينتظره الموحسون ، ثم رأسه بعد الحو فقت :
ما صنع الله بك ؟ قال : يا عصى بئر أمه ثم سحبي عن هذا عام أول
وحدثك ؟ قال يزيد بن مسلم : أشهد أنك رأت الحجاج حقاً (٣) .

دخل أبو بكر فحرق على الخيمة منصور فقال : يا أمير المؤمنين ،
تعصى في ، وأتم أهل البيت بركة . فو ادت لي فسلت رأسك ، فقال له
انصور : احترأدهم أما أن تقبل رأسي ، أو تحدد الخائرة ؟ قال :
أمير المؤمنين ، ان أهون علي من ذهب درهم من الخائرة ان لا ألقى
حكمة في في . مصححك انصور وأمر له بخائره (٤) .

كان أبو ذؤيب الهذلي يهوى امرأة يقال لها « أم عمرو » ، وكان
يرسل إليها حشد بن رهير فضده فيها ، وكذبت كان أبو ذؤيب فعزل
برجل يقال له « عويم بن مالك » وكان رسوله إليها أيضاً . فم علم
أبو ذؤيب بما فعل خالد صرمها ، ف أرسلت بقرصاه فلم يعمل وقل فيها :

(١) العقد الفريد : ج ٢ ص ١٢٤ .

(٢) العقد الفريد : ج ٢ ص ١٤٧ .

(٣) العقد الفريد : ج ٣ ص ٢٥ .

(٤) العقد الفريد : ج ١ ص ٩٥ .

تريدن كما نجمعني وحلداً وهل يجمع السيفان ويحك في غمداً؟
 احلدا ما راعيت من دي قرانة فتحفظني يا عيب او بعض ما تندي
 دعك اليها مقبها وحلدها فمت كما مل الحب على عمد
 وكنت كرفراق السراب اذا بدا لقوم وقد بت انطي بهم يحدي
 فآليت لا اشك احدو قصيدة تكون واهها بما مثلاً سدي (١)

جاءت امرأة الى قبر « غالب » ابي الفردق ، فصرت عنه فسطاطاً ؛
 فأتها الفردق فأتها عن أمرها ، قات : ابي عتبة فخر غالب من أمر
 نر بي ، قل : وما هو ؟؟ فقد صمت امر حلاصت منه ، قات : ان اسمالي
 أغرى الى السد مع « تميم بن ريد » وهو واحد و اسمه حبيش ؛ قال الفردق :
 انصري فلي انصرافه اليك ان شاء الله ، ثم كتب من وقته الى تميم ما أتني :

تميم بن ريد لا تكوس حاضي نظهر فلا يخفى علي جواب
 وهبلي « حبيش » واتخذ فيه مة لحرقه ام ما يسوع شرابها
 اتني فعدت ، تميم ففان وبالخبرة الساق عيه تراهها

فم يستطع تميم قراءة الأسم ، فرض من معه من الجند فلم يدع احداً
 اسمه حبيش او حبيش الا وصله واذن له بالانصراف الى اهله (٢) .

اجتمع عدة من الشعراء منهم « حميد بن ثور الهلالي » ومزاحم بن
 مصرف العقيلي ، والمجبر السلمي « فقلوا : ابتوا ما منن « يزيد بن
 الطثيرة » نهتكم به ؛ فأتوه ، فلم يكن في مرله ، فخرجت صبية له ،
 فنظرت في وجوههم ثم قالت :

تميم من كل افاق وجاب على واحد !! لا رثم قرن واحد

(١) الأبي : ج ٦ ص ٦٢ .

(٢) الأبي : ج ١٩ ص ٣٦ .

قلوا : فعلنا والله (١) .

وأشدّ احدهم امام رجل من العجم قول الدعة الجعدي :
أنت اسماً وفيتهم وافيت بعد أناس أناسا
وغير له ، فقد الأسحفي - معناه - هذا رجل مشؤوم (٢) .
وسمع اعراي حيراً احطى يشد قوله :
كاد الموتى يوم سلمى يقسي وكاد يقلبي يوماً سعياً
وكاد قسي يوماً حتى حش وكاد يقتلي يوماً سدياً
فقال : هذا رجل امت من امت اربع مرات .. لا يموت
هذا ابداً (٣) .

اسم اعراي في ايام عمر بن الخطاب ، فحصل عمر عليه الصلاة ،
فيقول : « صل الظهر اربعاً ، والعصر اربعاً ، وامر بثلث ، والعشاء
اربعةً ، والصبح ركعتين » ، فلم ينقطع الاعراي حفظ ذلك ، وجعل يحط
بالاعداد ، فضجر عمر فقال : ان الاعراب احفظ شي ، للشعر : قل :

ان الصلاة اربع واربع

ثم ثلاث مدهن اربع

ثم صلاة الفجر لا تصيغ

احفظت؟؟ قال : نعم . قال عمر : الحق بهلك (٤)

رأى « ابو بحيلة » الراحر على « شيب بن شبة » - رعيم الحوارح -
حيلة ، فأعجنه ، فسأله ايها ، فوعده ولم ير بوعده فقال فيه :

(١) المتن : ٣٨ .

(٢) الأمان : ج ٤ ص ١٣٠ .

(٣) العقد الفريد : ج ٢ ص ١٢٣ .

(٤) المتن : ٤٠ .

يا قوم لا تسودوا شيئا احسن بن الطائن الكنفويا

هل تلد الذئبة إلا ذيبا ؟

من بلغ ذئب شمساً عث اليه بالحناة ، فكتب اليه :

اذا سدت سعد على شبيبها على فاهها وعلى حطيم

من مناع الشمس اني معيها عجت من كثرتها وضيقها (١)

روايته للأخبار التاريخية

كان الأصمعي في الظبيعة الأولى من رواة احمر العرب ، ولم يترك
عهداً من العهود القديمة في اخذية والاسلام مما يصلح ان يكون مادة
لدرج اعمه ، او حقه في سير مشير ارجح ، الا روى فيه :
وقد ان اخبار قبائلهم واحوالها مع ما قيل في حوادثها من روائع الأدب ..
وهذا هو :

كانت قديماً « حنير » في اليمن سمي الملك ، اذا م نعر
« ميراث » . وكانت ملوك حنير قد رثوا المملكة ان يحار الملك ثمينة
من امره انهم « الثامنة » يخدمونه . ودا مات الملك انجب
اهل المملكة من الثامنة ملكا ان لم يكن له ابن او ابن اح ، ثم يؤخذ
من الاقرب رجل يجعلوه بدل ديت من الثامنة ، تمام الثمانية ؛ ويؤخذ
من اهل البيت رجل فيجعل فالا . ولاقيال ثمانون رجلاً ، واهل البيت
اكثر من ان يحصوا . (٢)

ما ترعى « حاتم الصائي » جعل يخرج طعامه ، فان وجد احداً
اكل معه وان لم يجد احداً طرحه . فلما رأى ابوه انه يهلك طعامه قال

(١) طيفت الأدب : ج ١ ص ٢٦٠ .

(٢) الأزمعة والأمكنة : ج ٢ ص ١٥٣ .

له : الحق بالابل ؛ فخرج اليها ، ووهب له حارقة وورث وعلوها ؛ فلم
 اتى الابل ، طفق يفي الدس فلا يجدهم ، وبني الطريق فلا يجد احداً
 عليها . وبينا هو كذلك اذ نصر ركب على الطريق ، فذهبهم ، فقالوا :
 يا فتى ، هل من قري ؟؟ فقال حاتم : تسون عن القرى وقد
 رأيتم الابل ؟؟ ارلوا . وكان اركب من الشعراء الثلاثة « عبيد بن الأبرص ،
 وشرب بن أبي حرم ، وريد بن جابر المعروف بـ « حة » وهم فحول شعراء
 ذلك العصر ، وكان طريقهم الى (النجاشي) ملك الحبشة ؛
 فحضر لهم حاتم ثلاثة من الابل ، فقال عبيد : انما اردنا اللبن
 وكانت كفيها لكرة واحدة ان كنت لا بد منكف . ؛ فقال حاتم :
 قد عرفت ، ولكي رأيت وجوهاً مختلفة والواناً متفرقة فعلمت ان اللدان
 غير واحدة ، فاحسبت ان يبقى لي مكم في كل يد ذكر ، فقلوبهم
 شعرا يمتدحونه ويدكرون قصه ؛ فقال لهم حاتم : ان اردت ان تحسن
 اليكم فعدركم علي فصل ، وعلي ان أضرب عراقيب اي ، أو تقوموا
 اليها فتقسموها ، ففعلوا ، وضرب ارحل منهم تسعة وثلاثون معبر ، ومضوا
 على سبيلهم الى النجاشي . . وسمع أبوه بما فعل ، فذهب ، فقال : بين الابل ؛
 فقال : يا ابني ، طوقتك طوى الحمامة محد الدهر وكوما ، لا يزال راحل
 يحمل له بيت شعر المداً منك . فقال أبوه : اني ؟؟ فقال : نعم .
 قل : والله لا اسكن معك اسداً ؛ فخرج أبوه أهله وترك حاتم ،
 فقال حاتم :

واي لعن القفر مشترك العبي
 الى آخر القصيدة .

(١) الأبي : ح ٣ ص ١٥٣ .

وكان سبب مقتل « ربيعة بن المكدم » هو ان نزاعاً وقع بين نفر من « بني سليم بن منصور » وبين نفر من بني « فراس بن كنانة » فقتلت سو فراس رجلين من بني سليم ، فخرج « بيشة بن حبيب السامي » شزباً ، فبقي طعماً من بني كنانة وفيهم ربيعة بن المكدم ، فإزلهم ربيعة وقتل عدداً منهم فطعمه بيشة بن حبيب طعمة شديدة ، فبحق ربيعة « طاعن يتقدمي حتى أتى امه وهو يرتجر .. وقال لها : شدي على يدي عصاة ، فشدت عصاتها عليها وهي ترتجر ايضاً ، ففكر على القوم ناية بشد عليهم وبرد الدم حتى أثنى : فلما علم انه هلك ، قال للظعن : حشوا ركائس حتى ينتهي الى ادنى البيوت من الحبي ، فإني هالك ، وسوف اقف دوكن لهم على العفة ، فأعتمد على رحلي ، فلا يقدمون عليكن رهة مني . ففعلن ذلك ، فنجون الى مأمتهن : وبقي هو ميماً على فرسه ، وفرسه لا تحرك ، والقوم لا يقدمون عليه ؛ فقال بيشة بن حبيب : انه لما تل المنق وما افلته الا قد مات ؛ فامر رجلاً من حزاعة كان معه . ان يرمي فرسه ، فرماها فقمصت وزالت ، ومال ربيعة عنها ميماً (١) .

وكان سبب مقتل « رهير المنسي » ان امه « شاس بن رهير » وفد الى بعض الملوك ، فرجع ومعه حماء قد حبي به ، فمر بأبيات من بني عامر بن صعصعة وأبيت لسي عي على ماء لبني عامر ، فاعنسل ، فداده « رياح بن الأمسك العموي » : استتر ويحك ، البيوت بين يديك : فلم يحفل . فرماه العموي بسهم فقتله ، فحقه من كان مع شاس من بني عامر ، فاسهرم ، ولكمهم ارضقود ففكر عليهم وقتل « حصياً

(١) الأعرابي : ج ١٤ ص ١٣٠ .

العسي « وأخا حصين ، ثم نجا على وجهه حتى دركه العطش ، فجد إلى منزل عجوز من بني أنان بن جشم ، فقالت له العجو : لا تبرح حتى يأتي أولادي فيأسروك ، فأخذ حجراً فشذخ به رأسه وهرب . ثم توالى بعد ذلك بين الطرفين حروب طاحنة قتل فيها خلق كثير . ثم التقى خالد بن حمر بن كلاب وزهير بن حذيفة العسي . فقال خالد لزهير : أما آل لك أن تشني وكف ؟ (عسي مما قتل ثس) فغضب له زهير وحفره . فواعدة وهددا وافترقا .. ثم التقيا بعد ذلك في حرب طاحنة فتعاقبا - خالد وحذيفة - الأسدي ، وصرعا ، وجاء راحل من أصحاب خالد فقتل زهيراً وقصع رأسه (١) .

وما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أندية بل على رحيل من الأنصار ، فصاح الرجل بظلاميه : يا سلم ويا يسار ! فقل النبي : « سمعت لنا الدار في يسر » (٢) .

وكان « عمرو بن معدي كرب » قد شهد فتح القديسة وفتح اليرموك وفتح نهاوند مع « النعمان بن مقرن » البرقي ، فكسب عمر بن الخطاب إلى النعمان بن مقرن : أن في حشدك رجلين « عمرو بن معدي كرب ، وطليحة بن خويلد الأسدي » فحصرهما الناس وشاورهما في الحرب ولا توليها عملاً والسلام .. فلم قدم كذب عمر إلى النعمان ، بعث إليه فقال : ما عندك يا عمرو ؟ قل إروني كبش القوم وعصفه حتى يموت أو أموت . وقال طليحة : أية ناحية شئتم فانا ادخل على القوم منها . فماتوا . اتهم طليحة من حلقهم ؟ وأما عمرو فقد على كفي من القوم فقتله : وقتل النعمان بن مقرن

(١) الأعيان . ج ١٠ ص ١٦ - نقلنا رواية لأصمعيها باختصار .

(٢) العقد الفريد : ج ١ ص ٢٢٦ .

يومئذ ، واخذ الراية حذيفة بن اليمان حتى فتح الله عليهم (١) .

ودخل خالد بن الوليد على عمر بن الخطاب ، وعلى خالد قبيص حرير ، فقال له عمر : « ما هذا يا خالد ؟ » قال : وما رثه يا أمير المؤمنين ؟ ليس قد لسه عند الرحمن بن عوف ؟ قال عمر : « وأنت مثل ابن عوف ؟ ولك من المال ما لا ين عوف ؟ » ثم المقت الى جماعته وقال : « عزمت على من في البيت إلا أخذ كل واحد منهم طائفة منه مما يليه » ففرقوه حتى لم يبق على خالد منه شيء (٢) .

ودكر « شر من أرطاة » علياً بن ابي طالب ، قال منه ، فصرسه « ريد من عمر بن الخطاب » - وكانت أمه امة عبي من ابي طالب - على رأسه عصا فشججه ، فسمع ذلك معاوية بن ابي سفيان ، فعث الى ريد من عمر فقتل له : ادري ما صنعت ؟ وثبت على شر من أرطاة وهو شيخ أهل الشام فصررت رأسه عصاك !! لقد أنت عظيم . ثم بعث الى شر ، فقال له : ادري ما صنعت ؟ وثبت على اس القاروق وان علي بن ابي طالب ته وسط الدس وتزدريه !! لقد أتيت عظيمًا .. ثم بعث الى هذا شيء وإلى هذا شيء (٣) .

وحاصر « مسلمة بن عبد الله » حصاً ، فذهب الداس الى دخول نقب منه ، فدخله أحد ، فجاء رجل من عرض اجيش فدحجه ، ففتح الله عليهم ، فنادى مسلمة أين صاحب النقب ؟ فما جاءه أحد ؛ فنادى : اني قد أمرت الأذن بإدخاله ساعة يأتي ، فعزمت عليه إلا جاء . فجاء رجل ، فقال : استأذن لي على الأمير ، فقال له : أنت صاحب النقب ؟

(١) الأملاني : ج ٣ ص ١٤٦ .

(٢) نزعة الألباء : ج ١ ص ٧٦ .

(٣) عيون الأخبار : ج ١ ص ٢٠١ .

قال أنا أخركم عنه : فأتى الآذن الى مسلمة ، ونحدر عنه فذنب له ، فقال الرجل : ان صاحب القب يأخذ عليكم ثلاثاً : الا تُسودوا اسمه في صحيفة الى الخليفة ، ولا تأمروا له بشيء ، ولا تسألوه ممن هو . قال مسلمة : فذاك له : قال الرجل : أما هو ، ثم حرج .. فكل مسلمة لا يصي بعدها صلاة الا قال : « اللهم اجعلي مع صاحب القب » (١) .

وقال رجل من العرب : اهرم من « قطري من المحامدة » - رئيس الخوارج - واصحابه ، فذكر كني رجل على فرس ، فسمعت حياً مسكراً خلفي ، فالتفت فاذا أنا بقطري ، فبست من الحية ، فيما عرفني قال : اشدد عنانها (اي الفرس) واوح حاصرتها قطع الله يدك . قال : ففعلت ما قال لي وبجوت منه (٢) .

ولما قل مصعب بن الزبير خرجت روحته سكية ست الحسين ترسد المدينة ، فأطاف بها أهل العراق وقالوا : احسن الله صحبتك يا بنت رسول الله ، فقالت . لا جراك الله عني حيراً ، ولا أحلف عليكم بحير من اهل الله ، قلتم اي وحدي وعمي وروحي .. اينتموني صفيرة وارملتموني كبيرة ! (٣)

وكانت سوامية لا تسبع لبني أميات الأولاد ، فكان الدس يرون ان ذلك لاسنهاة بهم ، ولم تكن لذلك ، ولكن لما كانوا يرون ان روال ملكهم على يد ابن أم ولد . فلما ولي يزيد بن عبد الملك الملقب (بالناقص) ، طن الناس أنه الذي يذهب ملك بني أمية على يده . وكانت أمه بنت يزدجرد بن كسري ، فلم يلبث الا سعة أشهر حتى

(١) عيون الأخبار : ج ١ ص ١٧٢ .

(٢) عيون الأخبار : ج ١ ص ١٧٣ .

(٣) المقد القرید : ج ٢ ص ٣٢٣ .

مات ، ووثب مكانه مروان بن محمد - وأمه كردة - فكانت الرواية عليه ..
ولم يكن بعد منك اس اشد رأياً ولا ادكى عقلاً ولا اشجع قدراً ولا اسمح
مكاً ولا أسخى كفاً من مسممة بن عبد الملك ، وإنما تركوه لهذا المعنى (١).
وكان « عبد الله بن عمر بن كريب » من فتيان قريش جوداً
وحياءً وكرماً ، فدخل أعرابي البصرة فدل عن دار ابن شامر - وكان والياً -
فأرشد اليه فوجد حتى أصبح ههنا ، فشعل عنه الحاجب والعبد ، فبات
انقمر ، فلم اصبح ركب دمه . ووقف على الحاجب فشدده بضعة ابيات
مول في اوقاف :

كذني وخصوي يندب ابن شامر من الخوارج ذئبا قفرة هلعان
فسمع ابن عمر ناحيته فعاقب الحاجب ، وأمر ان لا يعنق له ليلاً ولا
يهدأ (٢) .

وترك عقيل ابن ابي صائب اخاه علياً وذهب الى معاوية ، فقال
معاوية : يا اهل الشام من ضحك رجل لم يصح لأحبه ؟ فقال عقيل : يا
اهل الشام ان احبي خير لنفسه وشر لي ، وان معاوية شر نفسه وخير لي .
وقال معاوية يوماً : يا اهل الشام ان عم هذا - وأشار الى عقيل -
ابو هب ، فقال عقيل : يا اهل الشام : ان عمه هذا - وأشار الى معاوية -
جمانة الخطيب . وكانت ام حمائل امرأة ابي هب ، هي اخت ابي سفيان
ابن حرب (٣) .

وكان عبد الله بن جعفر قد اسف اربير بن العوام الف الف درهم ،
فما توفي اربير دل الله عبد الله بن جعفر : ابي وجدت في كتب ابي

(١) عقد حميد : ج ٣ ص ٢٩٨ .

(٢) الأمالي : ج ١ ص ٢٧٨ .

(٣) عيون الأخبار : ج ٢ ص ١٩٧ .

ان له عديك الف الف درهم ، فقال ابن جعفر : هو صدق وقصها ان
 شئت . ثم لقيه بعد ذلك ، فقال : يا ابن جعفر ، انما وهبت ، فللاني
 لك عيه ، ول ابن جعفر : فهو له . قال ابن زبير : لا اريد ذلك ،
 قال : فاحتر ان شئت فهو له . وان كرهت ذلك فلك نظره ما شئت ،
 فان لم ترد ذلك فبعني من ماله ما شئت . قال ابن زبير : ابيعك
 ولكن اقوم الأموال ، فقومها ثم آتاه ، فقال : احب ان لا يحضرني
 واپيك احد . قال ابن جعفر : يحضرني واپيك احسن وخسين فشهدان
 لك ، قال ما احب ان يحضرا احد . قال ابن جعفر : خفي : فمضى
 معه ، فقصه ابن زبير حراً وشك لا عمارة له ، وقومه عليه يدين ابيه ؛
 حتى اذا فرغ قال ابن جعفر ملامه : انق لي في هذا الموضع مصلی
 (اي سجدة للصلاة) ، فنفى له في اسط موضع من بيت المواضع مصلی ،
 فصلی ركعتين وسجد وضل السجود بدتو : فمضى ما كان من الدعاء ،
 قال علامه : احمر في موضع سجودي ، فحمر ، ود عين ما ، قد اسطها ،
 فقال ابن زبير : فني . قال ابن جعفر : اما دعائي فأجابه الله تبارك وتعالى
 اياي ، فلا اقبلك . فصار ما احدهم امر بما في يدي من زبير (١) .
 واشترى عمرو بن العاص جملأ بارية دسار ، فوصفه فصال وصفه ،
 فدفعه الى الرائض ، فمر بعد الله بن جعفر قال : ابي لأستهي من كعد
 هذا الجمل وسامه ، وأرسل الى ارجس من بدعوه اليه ، فني : فامر ابن
 جعفر حناره ان يبحر الجمل دون علم رائضه . فم دخل الرائض بحر الجمل
 الجمل ، فاكل عند الله من كبده وسامه مع الرائض ، فقال الرائض :
 ما اكلت طعاماً قط أطيب من طعامك هذا . قال ابن جعفر : هو الجمل

(١) مخطو المتقى ٢٣ .

الذي كتمت عليه ، فقال الراعي : يا الله . قل : ما لك ؟ قال : اخذ
هذه الجمل أربعة دنانير . قل عبد الله : اعطوه اربعماية دينار (١) .

وقد ابن عون : رأيت قاتل الزبير بن العوام ، وقد حمل عليه
الزبير . فقال : أشدك الله : ثم حمل عليه الزبير ثانية ، فقال : أشدك
الله : ثم حمل عليه الزبير مرة أخرى ، فقال : أشدك الله . فلما انصرف
منه حمل على الزبير وضربه . فقال الزبير : قتل الله ، بُذَكَرَ بالله
ونساه (٢) .

ومما أتى عبد الملك برأس مصعب بن الزبير ، نظر اليه ملياً ، ثم قال :
منى الله قريش منك ؟ ثم قال : هذا سيد شباب قريش . . . وقيل
لعمرك الله : اكن مصعب يشرب الطلاء ؟؟ فقال : لو علم مصعب ان
الله يحسد مروءته لما شربه . . . وما قتل مصعب دخل الناس على عبد الملك
ان مروءة بهتوه ، ودخل معهم شاعر فأنشده .

الله اعطاك التي لا فوقها
وقد اراد المبحدون عوقها
عنك ويأبى الله الا سوقها
اليك حتى قدوك طوقها

وأمر له بحشرة آلاف درهم . . وقالوا : كن مصعب اجل الناس
وامسى الناس واشجع الناس . وكان تحت عقيلتنا قريش « عائشة بنت
طلحة » و « سكينة بنت الحسين » (٣) .

(١) المتن ٢٤ .

(٢) الامالي : ج ٣ ص ١١٢ .

(٣) العقد الفريد : ج ٢ ص ٣٢٣ .

واخذ « السليك بن السليكة » - العدا الجاهلي - رجلاً من بني
 كنانة بن تميم يدعى نعمان بن عقبار ، ثم اخذه ؛ ثم قدمه بعد ذلك على
 كنانة وهو شيخ كبير : فأتاه نعمان هذا بابنيه « الحكم وعش » وهما
 سيدا بني كنة ، وهائلة ابنته ، فقال له : هذان وهده لك ، وما املك
 غيرهم . فقال السليك : قد شكرت لك وردديهم عليك ، فجمعت له من
 كنانة ائلاً عظيماً فدمعوه اليه ؛ ثم قالوا له : ان رأيت ان ترما بعض
 ما بقي من عدوك ، قل : نعم ، واحوي اربعين - ، واحوي درعاً
 ثقيلة ، فدوه ذلك ، فوس المدرع . وقال لاس : احفوا لي ان شئتم ؛
 وعداء فلاث العدو لو ، وعدوا حسه ثم لمحتوه الا قتلاً ، ثم تاب عليهم ،
 وكر حتى عد الى ابي هو وحده والمدرع في عنقه نصرب كته خرقه -
 من شدة احصره (١) .

واشار « سبط شراً » - العدا الجاهلي اشهور - ، ومعه ابن راف الفهمي
 وبعض العدائين ، على قبيلة « نخيلة » ، فطردوا لهم نماً ؛ وندرت لهم
 بحيلة فخرجت في آثارهم ، ومضوا هارين في جبال السراة ، وعرضهم
 نخيلة في السهل فسقوهم ان ماء « الوهط » في الطائف ، فمهدهم نخيلة
 حتى وردوا الماء وشربوا وناموا ، ثم تندوا عليهم ، فخذوا سبط شراً ؛
 فقال لهم : ان ابن راف دلاني في هذا ، وهو لا يقدر على العدو لعقر في
 رجله ، فان نضموه احدقوه ، فسكعوا سبط شراً ، ومضوا في اثر ابن
 راف ، فلي بعدوا عنه عدا في كفافه ، فهاهم . ورحموا (٢) .

(١) : الاعراب : ج ١٨ ص ١٣٧ .

(٢) : الاعراب : ج ١٨ ص ٢١٢ .

روايته لسير الشعراء

نكاد الأصمعي لا تترك شعر قديم عرف في الحضية أو الإسلام إلا روى من أخباره ، وعن أخلاقه وشؤونه الخاصة شيئاً ، مما يدل على اطلاعه الواسع في أخبار هؤلاء الذين خلفوا لنا هذا التراث الضخم . وقد جاء بعض هذه الروايات قصير مقتصاً ، وبعضه واسعاً مفصلاً في صور وصحة .. يقول :

أول من يروى له كلمة سبع ثلاثين سداً من الشعر ، هو : « إمرئيل ، ودؤب من كعب أعمى ، وصعيرة الكندي ، والأصطط من قرع » . وكان من هؤلاء وبين الإسلام إمرئيل منه . وكان إمرؤ القيس بعد هؤلاء الكثير (٢) .

وحدث امرأة في الشعر « الأعشى » فقالت : أنت لي ست قد كدس عليّ ، فشب واحدة مهن مهن ال من : فشب واحدة مهن ، ثم شعر الأعشى لا حرور قد عشت به له ، فشب : ما هذا ؟ قلوا : روجت فلاة : فشب دلاجرى ، فشب مثل دث ، فشب عليها ، فشب : روجت : فشب : فشب واحدة فواحدة مهن حتى روجت جميعاً (٣) .

وكان « إوس من حَجَر » عزلاً معزماً ، فخرج في سفر : حتى إذا

(١) الأعمى : ج ١٨ ص ٢١٢ .

(٢) الزهر : ج ١ ص ٢٩٦ .

(٣) الأعمى : ج ٨ ص ٨٢ .

كل أرض بني اسد وهو يسير ضالماً ، حيث به نفيه فصرعه وسدقت
 فضذاه ، فبات مكانه : حتى ان اصبح ، عدا حوارى اخي يحنين الكفاءة
 وغيرها من بات الأرض . وليس في ربيع ، فصرع ساقه حول وقد
 علق رماها في شجرة ، وأنصره ملقى ، فصرع فصرع فدعا بحجرة
 مسر ، فقال لها : من انت ؟ قالت : « حكمة ست قصة من كبدته »
 فعطاه حجراً ، وقال لها : اذهبي الى اسك فتدوني له : « ان هذا
 يقرنتك السلام » . فعدت وأخبرت اسك بذلك ، فقل : يا بدة ، لقد
 انت لك مدح طوبى او حياء طويل : ثم احمل هو وأهله حتى بنى
 عليه بيده حيث صرع ، وقال : والله لا أحول اذا حتى حراً : وجعلت
 حليمه بقوة عليه حتى استقل .. ثم دعه اوس من حجر ، ووجه بمصل اسك
 حكمة شعر جميل (وذكر الأصمعي الشعر) (١) .

وقال ابن اسلم : خربت الى امرأة مستره ثوب ، وهي ثوب مست .
 فطر اليها عمر بن ابي ربيعة من وراء الثوب ، ثم قال :

أما بدأت الحال واستطعت ... على العهد باق ودها ام صرم ؟

فقلت له : امرأة مسمة عاقبة محرمة ، قد سيرت فيها شعراً وهي لا تعلم ؟
 قال : اني قد اشددت من الشعر ما نعلك . ورب هذا البيت ما حبت
 ازاري على فرج حرام قط (٢) .

وقال الفرزدق : قد علم الناس اني فعلت الشعراء ، ورايت انت علي
 ساعة لقمع صرم من اصراسي أهوى علي من قول ست شعر (٣) .

وسئل جرير : اني الثلاثة اشعر ، انت ام الفرزدق ام الأحطل ؟

(١) الاعراب : ج ١٠ ص ٨ .

(٢) المنفى : ١٧ .

(٣) الاعراب : ج ١٩ ص ٢٦ .

قال : اما الفرزدق فيتكلف مي ما لا يطيقه ، وأما الأخطل فشدها احتراء
وأرمانا للغرض ، وأما أنا فدينة الشعر (١) .

وادرک جریر الأخطل وهو شيخ قد تحطم . وكانت جرير يقول :
ادرکته وله ناب واحد ، ولو ادرکته وله نابان لأکلني (٢) .
وحلس جرير يتلى على رجل قوله :

ودع امامة حان منك رحيل ان الوداع لمن تحب قليل
فروا عليه بجنارة ، فقطع الانشاد ، وجعل يسكي ، ثم قال : شئتني هدم
احضر ، فقبل له ؛ فعلام نقذف المحصنات منذ كذا وكذا ؟؟ فقال . اهم
مدوسي ثم لا اعفو (٣) .

وكان سبش جريراً ثلاثة وأربعون شعراً فيسدهم وراء ظهره ويرمي
بهم واحداً واحداً ، ومعه من كان ينفعه فيرمي به ؛ وثبت له الفرزدق
والأخطل (٤) .

ومن ابي اوجيه قال : دخلت على « دي الزمة » وهو يحود معه
فقت له : كيف تحسدك ؟ قال : « احدي والله احد ما لا احد ايم
ارعم ابي احد ما لم احد » . وكانت مسته هذه نالجدري ، وفي
ذلك يقول

ألم يأنها ابي نلت بعدها مَقْوُوقَه صَواعِبها غير احرقا

وكان ذو ارمه يشد الشعر فإذا فرع قال يحضب لسه : والله لأكسعن
شيء ليس في حساك « سحرت الله والجسد لله ولا اله الا الله

(١) الأغاني : ج ٧ ص ٦٨ .

(٢) الأغاني : ج ٧ ص ١٧٢ .

(٣) الأغاني : ج ٧ ص ٥٩ .

(٤) البيان والبيان : ج ١ ص ١٢٩ .

والله أكبر» (١)

وكان «عمران بن حطان» - الخارجي - من اهل السنة ، تقدم عليه
علام من عمان كأنه نضل ، قلبه عن مذهبه في مجلس واحد (٢) .
كان «وصح اليمين» يهوى امرأة من كندة يقال لها «روصة»
فد اشهر امره معها خطبها فلا يزوجه ، وورجت غيره ، فمكت مدة
طوبه . ثم آتته رجلا من اهلها فسر اليه شئ فمكت ، فقل له
اصحابه : ما لك نسكي وما حركك ؟ فقل : احبني هذا ان روصة
قد جذمت ، وأنه رأها قد اتقت مع المخدمين . ونقول الأصمعي : ولم جد له
بعد ذلك حبرا يروي عن اهل العلم الا ما يسيرة وأشياء يدل على ذلك
من شعره : فما حمر منخل فلم اجده الا في كتاب مصون تحت احدث
والشعر لا يذكر منه .. وأصحها احدا من جد ذلك وقطع ما سببه : ثم
شب ، ثم السنين ست عند العزيز بن مروان روح الوليد بن عبد الملك
فقتله الوليد لذلك (٣) .

ودخل «نصيب» الشاعر على عبد الملك بن مروان ، فدعاه ولامه
على قتله ريخته له ، وانيه اياه فقل : يا أمير المؤمنين ، انا عبد اسود ولست
من معاشر بني الملوك ، فدعاه الى السيد ، فقل : يا أمير المؤمنين ، انا اسود
الشرقة قبيح المنظره . وانما وصلت الى مجلس أمير المؤمنين بعقلي ، وقد
رأى أمير المؤمنين ان لا يدخل عليه ما يرياه ، فعل ، فدعاه ووصيه (٤) .
وقدم «ليد بن ربيعة» - صاحب إحدى المعتقدات في الجاهلية - على

(١) الأعيان : ج ١٦ ص ١٢٨ .

(٢) الأعيان : ج ١٦ ص ١٥٤ .

(٣) الأعيان : ج ٦ ص ٣٤ .

(٤) الأعيان : ج ٣ ص ١٢٧ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد بني كلاب بعد وفاة أخيه « أريد »
و « عامر بن الطفيل » فاسلم وهاجر وحسن إسلامه ، ونزل الكوفة أيام
عمر بن الخطاب ، فاقام بها . ومات بها هناك في آخر خلافة معاوية ،
فكان عمره مائة وخمسة وأربعين سنة ، منها سبعون سنة في الجاهلية ،
ونقيب في الإسلام (١) .

وكل عند « مروة بن ربيعة » سيف جيد ، فحده السبعة الديني ،
فدل على السيف « العنبر بن أشدر » فحده من مرة ، فحقد مروة على النابغة ،
وارصد له نشر حتى تمكن منه ، فوقع فيه عند العنبر . فهرب السبعة
واسحق نال حصة في الثمن ، وأرسل إلى العنبر قصائده المشهورة التي
عذر إليه بها ، ويحلف له ما فرط منه بذهب . واشتد ذلك على العنبر
أن أشدر ، وعرف أن الذي سمعه كذب ، فبعث إليه يقول : « انت لم
تعذر من سحطة ان كانت يلفتك ، ولكننا تغيرنا لك من شيء مما كنا
لث عليه ؛ واتدكر في قومك ممنع وتحصين ، فتركته ، ثم انطلقت إلى
قوم قنوا حدي ، ويبي ويسهم ما قد علمت » (٢) .

وكان الشاعر « راعي الابل » بقصي للفرزدق على حرير ويقصه ؛
وكان راعي الابل هذا قد صنع امره وحصار من شعراء الناس ، فيما أكثر
من ذلك ، خرج حرير إلى رحل من قومه وقال لهم : هلا نعتون
لهذا الرحل الذي بقصي للفرزدق علي وهو يهجو قومه وأنا امدحهم ؟ ثم
خرج حرير ذات يوم ينشي ولم يركب دابته قاصداً مقابلة الراعي ؛ وكان
له مع الفرزدق وجبت بينهما حصة ناعلي المرند في البصرة يجلسون فيها .. قال

(١) الأعرابي : ج ١١ ص ١٣٠ .

(٢) حراة الأدب : ج ٢ ص ٣٩٣ .

جرير : فخرحت اعرض له لأتقه من حيل . حيث كنت اراد يتر اذا
انصرف من مجلسه ، وما يسرتني ان يعد احد لي . حتى اذا هو قد مر على
بعله له ، والله « جندل » يسير وراءه على مهر له : فسأله وقت له :
مرحبا بك يا جندل ، وصرت شراي على معرفة غصه : ثم قلت :
يا أبا جندل ، ان قولك اسمع . وانك تفصل الغردق علي تفصيلا
قيحا ، وان أمدح قومك وهو يجرعه ، وهو ان عني ، وتكفك من ذلك
اذا ذكرنا ان تقول : كلاًهم ساء كريم : فلا نعمل مني ولا منه لائنه .
قال جرير . فلا يرد عني ذلك شئ ، حتى حله انه جندل ، فرفع نصا
كرامية فصر بها عبرة ابيه ثم دل له : لا اراك واقفاً على كتاب
من بي كذب ، كنت نخشى منه شراً او ترحو منه خيراً ؟! وصر البعلة
صره اخرى فرمحي راحة وقعت منها فسوتني ، وحدثني فصحها ، ثم
اسد على رأسي ، ثم قت :

احصل ما تقول سو تميز اذا ما الأير في است ايك عه ؟

فسمعت الراي يقول لانه : اما والله لقد طرحت قسوه فخرجة
مشتومة .. قال جرير : ولا والله ما المسوة رثت امره الي لو كان
علي - اي اقم بكلامي - . وانصرف جرير نصفاً ، حتى اذا صلى
العشاء امره - في عيئة له - قال : ارفعوا لي باضة من سيد ، واسرجوا
لي - اي اصنوا لي السراج ، ففعلوا - ، فجعل بهمهم ، فسمعت صوته
عجوز في الدار ، وطلعت في الدوحة حتى نظرت اله ، فاذا هو يحبو على
الفراش عرياناً ، لما هو فيه ؛ فالتحدرت فقالت : صيفكم محزون ، رأيت منه
كذا وكذا ، فقالوا له : نحن اعلم به وتنا يمارس . فما زال كذا حتى
كان وقت السحر ، ثم اذا هو يكبر ، وقد قالها قصيدة هجاء - ثمين
يماً في بي تيز (وهي القصيدة المشهورة) :

أقلى اللوم - عاذل - والعتابا - وفولي ان اصبحت لقد اصابا
فلما ختمها بقوله :

فمض الطرف اليك من غير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

كبر الله ، ثم قل : احزيتك ورب الكعبة . ثم اصبحت ، حتى اذا
عرف ان الناس قد حسوا في محاسنهم بالرسد ، اذقن وكف رأسه
- وكان حسن الشعر - ثم قل : يا سلام اسرج لي حصاناً . ثم قصد
مجلس راعي الابل والمردق وحاشته . حتى اذا كانت موقع السلام لم
سلم ، وقف : يا سلام ، قل لعبيد - اي راعي الابل - اعنك نسوتك
تكتسبن من بالمراف ؟ اما والذي نفس جرير منه اترحمن اليهن بمير
سوءهن ولا سرهن ؟ ثم اسفح في قصيدته فأنشدها . قال : فكس
الدردق وربي الابل ، وارم القوم ، حتى اذا فرغ منها جرير سار
وتركهم : فركب راعي الابل سته شراً وعزاً ، وحلى الخنس ، حتى
أتى راعي الابل في امرئ الذي يره ، فقال لأصحابه : ركابكم ..
ركابكم ، فبس لكم هه هنا مقام ، تصحكم والله جرير . فقال له
بعض اليوم ذلك شؤمت وشؤم امك .

قال الأصمعي : فما كان الا ترحمهم . ويعنف بالله راعي الابل ويقول :
« ان وحدا في قوس جرير (فمض الطرف اليك من غير) ما لم يحده
اسي قط ؛ وان لجرير اشياء من الجن معه على الشعر » .. ومذ ذلك
اليوم صر سو تير يتشامون تراعي الابل ، ويشمونه وابنه ، وهم
يتشامون به حتى الآن (١) ..

(١) الأعاني : ج ٧ ص ٤٩ - قبل ان ارجل من بي غير صار مد هذه القصيدة اذا سئل عن
نسه لم يقل بأنه من غير .

وكان للمتوكل بن عبد الله الكفائي امرأة حسنة سمي « أم بكر »
 وتعدت - أي أصابها شلل في رجلها - ففترسه الطلاق ، فقصر : ليس
 هذا حين طلاق ؛ فأتت عليه ، فطلقها ، ثم أصابها برئت بعد الطلاق ،
 فقال في ذلك - وهي قصيدة من غرر الشعر الغزل - :

طربت وشقي يا أم بكر	دع - حمة تدعو حمما
فت ومات تهني لي نحيباً	اعري عنك قلماً مسهما
إذا ذكرت نفسك أم بكر	يبست كفة اعتبق انداما
أني قبي ف هوى هواها	وان كنت مودتها نراما
يسم الليل كل حي تهمة	ويأتي العين محدراً مجاما
على حين ارعوت وكان رأسي	كأن على منرقه ثمة
سعى الواشون حتى ارعوه	ورث الخيل فاعيدم اعداما
فلست برائل ما دمت حياً	مسراً من نذكره هياما
ترحمها وقد شحطت هواها	ومسكك المي عمدا
حذلجة لها كفل وثبر	يسوء بها اذا قمت قيم
محصرة ترى في الكشح ميا	على تقيل اسمها ايهما
اذا انتمت تلاألا صوته رقي	يهل في الذجّة ثم داما
وان دمت نمل رايها	عمامة موسم ولجت غما
وان خطارت تقول ديب شول	تخرج ساعة ثم استقما
ولو اشكو المدي انكرو اله	الى حجر لراحتني الكلاما
احب دوما ونحب بي	وتغتم التاني لي اعتياما
نساقت انسا مبي عليها	اذا شحطت وتغتم اعتياما
غشيت لها منبر منقرا	عمت الا الأيصر والتماما

صليبي واعلمي اني كريم
واني ذو 'مجامحة صليب
فلا وأيك لا أنساك حتى تجاوب هامتي في القبر هاما

ومر « دريد بن الصَّه » بالخشاء بنت « عمرو بن الشريد » وهي
تهدى عيراً لها ، وقد تبذلت ، حتى فرغت منه ؛ ثم ضمت ثيابها عنها ،
فاعسست ، ودريد يراها وهي لا تشعر به ، فاعسسته ، وصرف الى رحله
وأنشأ يقول :

حيوا « تماضر » وارحوا صحتي وقفوا من وقوفكم حي
« أخناس » قد هام الفؤاد بكم واصابه تمل من الحب
ما إن رأيت ولا سمعت به كايم طلي أيق حرب
متدلاً سدو محسسه صم الهباء مواضع النقب
فصليهم عي حساس اذا عص الجميع اخطب ما حظي ؟
فلم اصبح عدا على أبيها فخطبها اليه : فقال له ابوها : مرحباً بك يا
أه قرءه انت لكريم لا نطقن في حبه ، والسيد لا يرد عن حاجته ،
والفحل لا يفرع أمة ؛ ولكن لهذه المرأة في نفسها ما ليس لغيرها ، وانا
داكرتك لها وهي فاعلة . ثم دخل اليها ، وقال لها : يا حسناء انتك فرس
« هوار » وسيد بي جشم دريد بن الصمه يخطبك وهو ممن تعلمين
- ودريد سمع قولها - . ففتت : يا اسي ، أتراني تاركة بي عي مثل
عوالي ارمح ، وناكحة شيخ بي جشم ، همة اليوم أو غد ؟ فخرج اليه
ابوها وقال : يا أبا قرءه قد امتنعت ، ولعجب ان تحب فيما بعد ، قل : قد
سمعت قولكما .. واصرف (١) .

(١) الأعرابي : ج ٩ ص ١٦ .

الأصمعي بعد موته

كان تراث الأصمعي الضخم - كما قلنا - عملاً رئيسياً من عوامل خلوده . وكان إنتاجه وآثاره التي امتعت في كل لون من ألوان الجهد والمهارة وما يبهر قد جعلت دائرة الأحدثه واسعة سهلة ، حتى كاد لا يحلو كتاب في اللغة أو الأدب والأخبار ، مما ألف بعده ، إلا كان صيفاً على هذا التراث المجيد . . وبس ثمة واسطة للحدود أوسع نطاقاً من هذا .

والذي راد في هذا الطوفان سعة أيضاً هو ما أحط شهرته بعد موته من تصخم صغره أقلام الأدباء وأناسة القاصصين والمتظرفين والندماء ، حتى كادت تصبح شخصيته خيالية بين الناس . . والأكثر في هذا يعود إلى ذلك السجاع الذي صادفه بواديه وطرائفه وملحه في حياته . فما مات وترك تلك الآثار الطريفة المسلية مشوثة في كتبه ، وفي ألواح طلابه ، وصدور محاسبه ، وملازم حقه ، وكل من صادفه وحادثه ، إلى آخر ذلك ، صار الناس يشدون هذه الآثار وسحور عبا باعسرده ، هي وأمنده ، الوسيلة الوحيدة للتسلية وطرد الملل والسأم في العصور المتعاقبة ، يوم لم يكن هناك مسارح شعبية ولا قصص مشوقة ولا ما يشبه ذلك .

فكان طبعياً أن يتصرف بها الأدباء والمتنكرون والكتاب حسب أهوائهم ومذاهبهم : فم يسلّم بعضهم من التعليق والحواسني والزيادات . فكان بعض تلك الزيادات موقفاً مقبولاً : وجاء البعض الآخر ترفهاً مشوهاً لديحة الأصل ، أو مستنداً للحقيقة فيها . . ومثالاً على ذلك ، ما قرأنا طريقة من طرائفه في كتاب « البخلاء » للمحافظ باليس التي : « قال الأصمعي : كان للمغيرة بن عبد الله الثقفي - والي الكوفة - حدي

يوضع على مائدة عند الطعام ، ولم يكن أحد يمسه ، اذ كان هو لا يمسه .
 فقدم عليه أعراي يوماً ، ولم يسكن يعرف سيرة اصحابها فيه ، فلم يرض
 بأكل لحمه بل تعرق عظمه ؛ فقال له النعيرة : يا هذا ، تطالب عظم هذا
 الناس بدخل ، فهل تطحنك أمه ؟؟ » (١) . فلما تناقل الأدباء هذه
 الطريقة النادرة تصرفوا بها وأصافوا عليها ؛ فكل شكلها الهائي كما رواها
 صاحب كتاب « المستطرف » قل : « .. فقال له النعيرة : يا هذا ،
 انك تطالب عظم هذا المسكين بدخل كأن أمه تطحنك !! فأجابه الأعراي
 في الحال : وأنت تدافع عنه كئن أمه ارضعتك » (٢) ، وراح الأدباء
 بعد ذلك يتناقلونها بالشكل الذي صارت اليه .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد في التصرف وازيادة في مواده ؛ بل
 راح بعض الأدباء - على مر الأجيال - يصنعون النوادر للس و ينسونها
 للأصمعي ليصموا على اساحهم قياً ادية تروح رواح هذا الاسم . وربما
 ذهبوا الى احد من ذلك ، فادعوا بأن الأصمعي رواها في مجلس هارون
 الرشيد ؛ وقد تكون تلك النوادر المتحلة قافية ، او على جانب من قلة
 الدوق او المحون ، فيساء بهذا الى سمعة الأصمعي وارشيد في آن واحد .. وهكذا
 حمل على هذا الرجل مجموعة كبيرة من الطرائف والنوادر لم تكن قلماً ولا
 سمع بها ، وفيها الجيد الموفق ، وفيها الركيك الفشل ، أو البذيء الممجوج ؛
 وفي بعضها ما كان متطولاً على الدين او مخافاً لواقع التاريخي ، بما يدرأ منه الأصمعي
 وتباه سيره .. ولكن هذا ، وان اساء الى سمعته وشوه الحقيقة في سيرته ،
 اضاف شيئاً آخر الى ما احتوته آثاره من عوامل النقاء والخود في العصور المتعاقبة

(١) البخله : ١٢٥

(٢) المستطرف : ج ١ ص ١٢٣ .

وقل كذلك عن آثاره وروايته في الأحبار ؛ وقد ذكرنا أنه روى الكثير من أخبار العرب الأقدمين ، وقص علينا أيام الجهليين وحروبهم ومسافراتهم وأحلافهم ، ففقت روايته تلك تتردد بين الناس كما هي ، ثم اضيف عليها من قبل رواة الأخبار المتأخرين ، ثم نسبت إليه أخبار لم يكن رواها عن هؤلاء القوم : وكانت الغاية من حمدا عليه إعطاءها القيمة التاريخية ، واصفاء شيء عليها من صفة الصدق والتمحيص التي عرف بها الأصمعي .

قصة « عترة » ، وغيرها

وفي القرن الرابع الهجري ، بدأ العرب يؤمنون القصص عن مناقب عرب الجاهلية وحالاتهم الاجتماعية وما كان فيها من شجاعة وبطولات ووفاء وحماية للجار والأخذ بالثأر وغيرها ، معتمدين في ذلك على الروايات المبعثرة التي جاء بها رواة الأخبار في عصر الأصمعي ومعه . فكانوا يجمعون تلك الروايات المنقطعة المتقروية بالأشعار والخطب والكلام البليغ ، ويربطونها بعضها حتى أصبحت قصصاً قصيرة ، ثم جمعت في شكل ملاحم وروايات طويلة في أسلوب شيق يعجب السامع أو القارئ . الاستمرار في سماعه لها أو قراءته أياها كلها .. وكان من أكبر هذه القصص والملاحم وأروعها أسلوباً قصة « عترة بن شداد » التي نسبها البعض إلى الأصمعي وإن لم تكن من صمعه .

كان الأصمعي قد روى الشيء الكثير من أخبار بني عس وأطاهم ؛ وقبل أنه روى معظم شعر عترة بن شداد الذي قاله في المغازي والحروب ، حتى أصبح اسم الأصمعي مقروناً بأشعار هذا البطل العسبي وأخبار غزواته . (١) وكان قواد جيوش المسلمين يأمرؤن بقراءة قصص الأبطال على جنودهم

(١) الأعرابي : ج ٣ ص ١٨٩ - يقول الأصمعي : ذهب عترة بعامه ذكر الحرب .

ورواية اشعارهم المنيشة بالنعمرات والحروب ، لكي يذكروا في نفوس هؤلاء
السخوة والاقدام . فكانت اشعار عترة في مقدمة القصائد الحاسية التي
تتلى على هؤلاء الحسود مع ذكر مسساتها وشيء من الاضافة عليها ؛
فبدأت اخبار سيرة تنبع شتاً فثيئاً ، ثم صارت قصصاً صغيرة مقطعة
لا تجمع جامعاً ، ومعظمها كان ينسب في الرواية الى الأصمعي ، والقسم
الآخر الى غيره من الرواة .

وفي اواخر القرن الرابع للهجرة ، في زمن الخليفة الفاطمي « العزيز
الله » جمعت هذه الأحبار والقصص في رواية واحدة متسلسلة سميت « قصة
عترة » . وقد جاء في سبب جمعها وتدوينها ان رجلاً اسمه الشيخ « يوسف
ابن اسمعيل » كان يصل سبب العزيز « الله الفاطمي » فأتفق ان يحدث
رية في دار العزيز ، لمحت ألسن الناس بها في المناسبات والأسواق ؛ فساء ذلك ،
وأشار الى الشيخ يوسف المذكور ان طرف السبب مما عساه ان يشغلهم
عن هذا الحديث . وكان الشيخ يوسف واسع الرواية في احصار العرب ،
كثير السوادر والأحداث ؛ وكان قد اخذ روايت شتى عن الأصمعي
وأبي عبيدة ونجد بن هشام وحبشة الأحبار وغيرهم من الرواة . فأخذ
نكتب قصة عترة ونورعها في الناس ، فحسبوا بها واشغلوا عن سواها ؛
وكان من تنطف هذا المؤلف انه قسمها الى اثنين وسبعين كتاباً ، والترم في
آخر كل كتاب ان يقطع الكلام عند معظم الأمر الذي يشتاق القارئ
والسمع الى الوقوف عند تنامه ، فلا يمتد عن طلب الكتاب الذي يليه ،
فدا وقف عليه انتهى به مثلاً انتهى في الأول ، وهكذا الى نهاية القصة .
وقد ائت في هذه الكتب ما ورد من اشعار العرب المذكورين فيها ،
وكثر بداول الناسحين اعاد روايتها .

ولما كان الكثير من روايات هذه القصة منسوبة الى الأصمعي ، وكان الأصمعي من أشهر من عرف في روايات عند الأدباء والمتأدين ، حسب أكثر الناس انه هو كاتب هذه القصة او راويها كلها ؛ فزاد هذا في شهرته وطفى اسمه علي غيره من الرواة ممن جاء بعده وأصبحت شهرته بهذه القصة شعبية عامة ، وتحدث باسمه الدس من سائر الطقات المحيطة .

ثم انشر في القصة بعد ذلك وكثرت القصص وسوحت ، فصر الدس يسون - خطأ - جل الأحبار العربية فيها للأصمعي . وراى في هذا ان بعض مؤلفي هذه القصص اعلمهم يسون الأحبار التي صوغوها او اقتبسوها في مؤلفاتهم الى كدر الرواة ، وفي مقدمتهم الأصمعي ، مستدين على روايتهم لأشعار العرب الأقدمين . وقد ظهر في العصور الشجرة قصص متعددة منها ما كان بين الرواية التاريخية الصحيحة وبين المصوغ استقى ، ومنها ما هو مترحم واصيف عليه ، ومنها ما كان هزلاً لا قيمة علمية له .

ومن أشهر القصص العربية التي ورد فيها اسم الأصمعي واحداً بعض أخبارها منه :

« كتاب الجهرة » : الفه اللغوي الأخباري « عمر بن شنه » (١) احد طلاب الأصمعي ، وقد أخذ عنه الكثير من أخبار هذا الكتاب ؛ وهو يشتمل على حوادث عديدة أكثرها وقع بين بني ربيعة وحصومهم . وأخبار هذا الكتاب وسط بين التاريخ والقصة ، وطلها الأشهر « البراق » وهو شاعر قديم من ربيعة من اقرباء امهليل وكليب . وقد توسع هذا المؤلف ولكنه بقي اقرب الى الحقيقة من قصة عتر .

« قصة بكر وتعلب » وفيها خبر كليب وحساس في حرب السوس .

(١) توفي عمر بن شنه عام ٢٦٢ هجري .

والقصة فيه أقرب إلى التريح منها إلى الرواية . وقد زاد فيها المؤلف
من عنده تفاصيل خيالية .

وقصص أخرى أمثال « حرب شيان مع كسرى » و « قصة أبي
زيد الهلالي » و « جيسر نسة » وغيرها : وفي كل منها نجد
ذكر الأصمعي مع غيره من رواة الأخبار والأدب في العصر الأول
المعاصر .

من هذا كله وما لديه من أخبار أخرى نجد الأصمعي سعيد الحظ
موفقاً في حسن سمعته أثناء حياته ، فـ نوي ، وحفت عنه غوائل خصومه ،
تكشف فضله عن ذي قبل ، وصار العلم والسلم يذكرونه بكل اجلال واحترام ؛
ورثا تهاهي العصب منهم بأنه كان قد جالسه أو لازمه أو ناظره ؛ وعدوه
حجة في آرائه وروايته ، وورثا جصوا آرائه تلك حكماً بينهم إذا اختلفوا في
مسألة من المسائل . . يقول أحد طلابه ، أبو عثمان الناري : « حصرت أنا
ومعقوب بن السكيت في مجلس الوزير محمد بن عبد الملك الريات (١) ،
واقصنا في شجون الحديث ، فاحتجنا على الفرق بين كلمتي (يسا ،
وحين) فقلت : كان الأصمعي يقول : يسا أنا جالس إذ جاء عمرو . .
فقبل هذا الرأي » (٢) .

وما يدل على مكانته عند معاصريه ما روي عن أبي العلاء قل :
« كان سب تحولي من النقرة أي رأيت علامة يمدى عليه ثلاثين ديناراً ،
وهو يساوي ثلاثمائة دينار ، فشرته . وكنت أي داراً ، فعطيه عشرين
ديناراً لينفقها على الصنيع ، فأعق عشرة واشترى عشرة ملوساً له ، فقلت

(١) كان محمد بن عبد الملك الريات وزيراً لعتوكل صعب عليه وقته .

(٢) ترجمة الألباء : ٢٤٧ .

ما هذا؟؟ فقل : لا تعجل ، فإن أرباب المروءات لا يعشون على غيرهم
 هذا . فقلت في نفسي : أنا اشتريت الأصمعي ولم ادر « (١) .
 ويقول السعدي (٢) ، في قصيدة وجهها الى إبراهيم بن المذور يهجو
 بها أحد المعلمين (٣) :

غير ان المعلمين على حال ل قبيح السمير ضعفى العنول
 فإذا ما تذكر الناس معنى من متين الأشعار والمجهول
 قالوا هذا لنا ونحن ككشفا غيبة للؤلؤ والمسؤول
 ضرب الأصمعي فيهم ام الأحرار ام القهقوا . . احبيل ؟
 وقل او منصور النعالي للأثير ابي الفصل (٤) :

لك في الفصل معجزات حمة انداء لغيرك في انورى لم تجمع
 بحران بحر في السلاعة شـه شعر الوليد وحسن لفظ الأصمعي
 كاسور أو كاسحر أو كالدر أو كالوشي في رد عليه موشع (٥)
 وفي حديث للسيوطي في كسه « المرهر » :

« وهذا الأصمعي وهو صاحبة الرواة والفلة واليه محط الأسماء والنفلة ،
 ومه نحى العقر والسخ ، وهو ربحانة كل مفتق ومصطبح .. » (٦)
 الى آخر ذلك مما قيل في تحجيد حبالاً بعد حبل وعصراً بعد عصر
 حتى يوماً هذا . وقل ان تبدأ السهبة العربية الأحيرة في العصر الحاضر
 وتكثر المطامع وتنشر الكتب وينبسر حصولها لدى القراء ، كانت الكتب

(١) طلاقات الأدباء : ج ٢ ص ٧٠ .

(٢) توفى السعدي عام ٢٨٤ هـ .

(٣) زهر الآداب : ج ١ ص ٢٥٥ .

(٤) توفى النعالي عام ٤٢٩ هـ .

(٥) زهر الآداب : ج ١ ص ١٢٦ .

(٦) المرهر : ج ٢ ص ٢٦١ .

الخطية هي المصادر الوحيدة لطلاب العلم ؛ ولم تكن هذه المصادر متيسرة
لدرجتها وقلة المتعلمين وصعوبة نقل الكتب باليد ؛ فكان اقرب ما يتناوله
العامة سماع قصص المثلوات وهي تقرأ في المقاهي والمجالس كقصص عنتر
وعيرها . وكل طبعياً ان يتردد اسم الأصمعي على الأسماع في كل مكان ،
ويتعرف عليه العامة بصورة التي تعطى لهم ، فأصبحت شخصية الأصمعي
عدد المعص رمزاً للثقة والدكاء والنصيف والسميق ، وراح المعص ايضاً
يشك بصحة وجود الأصمعي ويتصوره شععية خيالية من صمم واضعي
القصص ، واعتقد آخرون بأنه شخص قد كُوف حقيقياً ولكنه غُلف
برويات وقصص مصنوعة نسبت اليه ، كما غُلف شخصية عنتر نفسه بتلك
الروايات المروقة . وقيل من العلماء من كان يعرف - يومئذ - كنه الأصمعي
وحقيقة سره . فصارت العامة تطلق كلمة « الأصمعي » على كل مفكر مثق ،
او داهية مقدر ؛ فيقولون على صيغة المعجب : « اي اصمعي هذا !! »
وربما تلا المعص منهم فطلق هذه الكلمة على كل شيء يسحسه او
يكاره ، فمثلاً : « حسان اصمعي سائق » و « قصر اصمعي فحم » .
و « الأصمعي » في اللغة هم : الأصمعي والقلب الذكي .

انتهى الطبع

٢٤ صفر ١٣٧٥

١٠ تشرين اول ١٩٥٥

الفهرست

صفحة

٧

كلمة :

٩

المقدمة : نظرة في تاريخ البصرة، ١٤٠٥ هـ - ١٢١٧ هـ :

١١

بناء البصرة وعمرائها .

١٤

النهضة الاقتصادية .

١٩

الحركة العسكرية .

٢٣

الشعرية .

٢٧

الأدوار السياسية ، وقبيلة ماهلة .

٤٧

القسم الأول : الأصمعي :

٤٩

بدو أصمعي في البصرة .

٥٤

مولد الأصمعي ونشأته .

٥٨

دراسته وتحصيله .

٦٨

اصاقدته .

٧٧

خصومه في مجتمعه .

٩٣

القسم الثاني : شخصيته واخلافه :

٩٥

دعائمه وامهاله ، وقتور غريزته .

١٠٠

بخله وحرصه .

١١٣

ظرفه وخفة روحه

١٢٠

تدينه ، وصدق لهجهته .

القسم الثالث : مكانته العلمية :

١٣١

حلقته في مسجد البصرة .

١٤٠

علومه ، ومذاهبه فيها .

١٤٠

في اللغة والنحو .

١٤٨

في الأدب والشعر .

١٥٥

في الأخبار والأساب وغيرها .

١٦٠

في اللغة الفارسية .

١٦٣

القسم الرابع : في دار الخلافة ، ١٧٣ هـ - ١٨٧ هـ .

١٦٥

الأنصال بهارون الرشيد .

١٧٣

في مجالس الرشيد .

١٨٩

الفرائد الثلاث .

٢٠٠

اثره في مصرع البرامكة .

٢١١

تركه بلاط الرشيد .

٢١٥

القسم الخامس : المرحلة الأخيرة ، ١٨٨ هـ - ٢١٧ هـ .

٢١٧

الاستقرار في البصرة .

٢٢٣

مرضه وموته .

٢٢٩

ذريته .

٢٣١

طلابه .

٢٤٣

القسم السادس : دراسة آثاره .

- إنتاجه :

٢٤٤

تصانيفه ومؤلفاته .

٢٥٥

نقده وآراؤه في الأدب ، وأقواله .

٢٦٢

شعره .

٢٦٦	نواذره عن الأعراب ، ومدرسة القصة .
٢٧٣	الوان نواذره .
٢٨١	— متقولاته ورواياته :
٢٨٢	روايته للشعر .
٢٨٨	روايته للأمثال والحكم .
٢٩٥	روايته للطرائف والملح .
٣٠٤	روايته للأخبار التاريخية .
٣١٤	روايته لسير الشعراء .
٣٢١	— الأصمعي بعد موته
٣٢٣	قصة عنتر وغيرها .

المراجع الرئيسية

المراجع العربية :

- ١- ابن الاثير : علي بن احمد بن ابي الكرم ، (توفي عام ٦٣٠ هـ = ١٢٣٨ م)
كتاب « الكامل في التاريخ » - بولاق ١٢٧٤ هـ
- ٢- الأصبهاني : ابو الفرج ، علي بن الحسين بن محمد الأموي ، (ت ٣٥٦ هـ = ٩٦٧ م)
« الأغاني » - بولاق ١٢٧٤ هـ
« مقاتل الطالبين » - النجف ١٣٥٣ هـ
- ٣- الانباري : ابو البركات ، عبد الرحمن بن ابي الوفاء ، (ت ٥٧٧ هـ = ١١٨٢ م)
« نزاهة الألباء » - القاهرة / ١٣٤٧ هـ
- ٤- البغدادي : عبد القادر بن طاهر ، (ت ٤٢٠ هـ = ١٠٢٩ م)
« الفرق بين الفرق » - القاهرة / ١٣٢٨ هـ
- ٥- البغدادي : عبد القادر بن عمر ، (ت ١٠٩٣ هـ = ١٦٨٢ م)
« خزائن الأدب » - القاهرة / ١٣٤٧ هـ
- ٦- البلاذري : احمد بن يحيى بن جابر ، (ت ٢٧٩ هـ = ٨٩٢ م)
« فتوح البلدان » - القاهرة / ١٣١٨ هـ
- ٧- البلخي : أبو زيد ، احمد بن سهل ، (ت ٢٢٢ هـ = ٩٣٣ م)
« البدا والناريخ » - باريس / ١٨٩٩ م
- ٨- البكري : عبد الله بن عبد العزيز الأوبني البكري ، (ولد عام ٤٨٧ هـ)

- « مصط اللآلي في شرح امالي القاضي » - القاهرة / ١٣٤٢ هـ
- ٩ - البيروني : أبو الريحان ، محمد بن احمد ، (ت ٤٤٠ هـ = ١٠٤٨ م)
« الآثار الباقية عن القرون الخالية » - لبزيك / ١٨٧٩ م
- ١٠ - ابن بطوطة : محمد بن عبد الله ، (ت ٧٧٩ هـ - ١٣٧٧ م)
« تحفة النظار » - بارس / ١٨٥٣ م
- ١١ - التوحيدي : أبو حيان ،
« البصائر والذخائر » - القاهرة / ١٣٧٣ هـ
- ١٢ - الجهشباري : أبو عبد الله ، محمد بن عبدوس (ت ٣٣١ هـ - ٩٤٢ م)
« الوزراء والكتاب » - القاهرة / ١٩٣٨ م
- ١٣ - الجاحظ : أبو عنتن ، عمرو بن بحر ، (ت ٢٥٥ هـ = ٨٦٩ م)
« البيان والتبيين » - القاهرة / ١٩٢٨ م
« الحيوان » - القاهرة / ١٣٥٩ هـ
« البغلاء » - القاهرة / ١٣٧٠ هـ
- ١٤ - ابن أبي الحديد : عبد الحميد بن هبة الله ، (ت ٦٥٥ هـ - ١٢٥٧ م)
« شرح فتح البلاء » - القاهرة / ١٣٤٥ هـ
- ١٥ - ابن حجة المصوري : قتي الدين بن علي ، (ت ٨٣٧ هـ = ١٤٣٣ م)
« خزائن الأدب » - بولاق / ١٢٩١ هـ
- ١٦ - ابن حزم : أبو محمد ، علي بن احمد ، (ت ٤٥٦ هـ - ١٠٦٤ م)
« الفصل في الملل والأهواء والنحل » - القاهرة / ١٣١٧ هـ
- ١٧ - الحصري : أبو اسحاق ، ابراهيم بن علي بن نعيم ، (ت ٤٥٣ هـ = ١٠٦١ م)
« زهر الآداب » - القاهرة / ١٢٩٣ هـ
- ١٨ - ابن حوقل : أبو القاسم ، محمد بن حوقل ، (ت ٣٨٠ هـ - ٩٩٠ م)
« المسالك والممالك » - لندن / ١٨٨٩ م
- ١٩ - الخصري : محمد الخصري -
« تاريخ الدولة العباسية » - القاهرة / ١٩١٦ م
- ٢٠ - الخطيب البغدادي : أبو بكر ، احمد بن علي ، (ت ٤٦٣ هـ = ١٠٧١ م)
« تاريخ بغداد او مدينة السلام » - القاهرة / ١٣٤٩ هـ

- ٢١ - ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد ، (ت ٨٠٨ هـ - ١٤٠٦ م)
 « المقدمة » - بيروت / ١٨٨٦ م
 « كتاب العبر » القاهرة - ١٢٨٤ هـ
- ٢٢ - ابن خلكان : أبو العباس ، شمس الدين أحمد بن محمد ، (٦٨١ هـ = ١٢٨١ م)
 « وفيات الأعيان » - بولاق / ١٢٨٣ هـ .
- ٢٣ - حليته مصطفى كاتب شامي ، حاضي خليفه ، (ت ١٠٦٧ هـ = ١٦٥٧ م)
 « كشف الظنون » - ليبسيك / ١٨٣٥ م
- ٢٤ - الخوارزمي أبو بكر ، محمد بن العباس ، (ت ٣٨٣ هـ = ٩٩٣ م)
 « مفيد العلوم » - مصر / ١٣١٠ هـ .
 « رسائل الخوارزمي » - مصر / ١٣١٠ هـ .
- ٢٥ - الديلمي كان الدين أبو البقاء محمد بن موسى بن عيسى (ت ٨٠٨ هـ - ١٤٠٦ م)
 « حياة الطيران » - القاهرة / ١٣٤٥ هـ
- ٢٦ - ابن رشيق أبو علي ، الحسن بن علي ، (ت ٤٦٣ هـ - ١٠٧١ م)
 « العمدة » - القاهرة / ١٣٤٣ هـ
- ٢٧ - الربيعي عبد الله بن أحمد بن زبر -
 « منسقى من اخبار الأصمعي عن بحلة الجمع العلمي في دمشق ١٩٢٣ هـ
- ٢٨ - زيدان حرجي بن حبيب ، (ت ١٣٣٢ هـ - ١٩١٤ م)
 « تاريخ النسخ الإسلامي » - القاهرة / ١٩٠٢ م
 « تاريخ الأدب العربي » - القاهرة /
- ٢٩ - ابن الساعي علي بن أنجب بن عثمان ، (ت ٦٧٤ هـ = ١٢٧٥ م)
 « مختصر اخبار الخلفاء » - بولاق / ١٣٠٩ هـ
- ٣٠ - ابن سلام الحافظ ، أبو عبيد ، القاسم ، (ت ٢٢٤ هـ = ٨٣٩ م)
 « كتاب الأموال » - القاهرة / ١٣٥٣ هـ
- ٣١ - السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر ، (ت ٩١١ هـ = ١٦٠٥ م)
 « تاريخ الخلفاء » - القاهرة / ١٣٥١ هـ
 « نزاهة المجالس » - مصر / ١٩٠٨
 « المزهرة » - القاهرة / ١٣٢٥ هـ

- ٣٢ - السيراى : ابو سعيد، الحسن بن عبد الله السيراى ت حوالي ٨٣٨٠ - ٩٩١ م
 « اخبار السجويين البصريين » - بيروت / ١٩٣٦
- ٣٣ - الشهر ستاني : محمد بن عبد الكريم بن احمد ، (ت ٥٤٨ هـ - ١١٥٣ م)
 « الملل والنحل » - القاهرة / ١٣١٧ هـ
- ٣٤ - ابن شاكرو : محمد ، (ت ٧٦٤ هـ = ١٣٦٣ م)
 « فوات الوفيات » - بولاق / ١٢٨٣ هـ
- ٣٥ - الطوطوشي : محمد بن الوليد ، (ت ٥٢٦ هـ : ١١٢٦ م)
 « سراج الملوك » - بولاق / ١٢٨٩ هـ
- ٣٦ - الطقطقي : محمد بن علي ، (ت ٧٠٢ هـ - ١٣٠١ م)
 « المعري في الآداب السلطانية » - القاهرة / ١٩٢٣ م
- ٣٧ - الطبري : ابو جعفر ، محمد بن جرير ، (ت ٣١٠ هـ - ٩٢٢ م)
 « تاريخ الأمم والملوك » - لندن / ١٩٠١ م
- ٣٨ - ابن طيفور : ابو الفضل ، احمد بن ابي طاهر ، (ت ٢٨٠ هـ - ٨٩٣ م)
 « تاريخ بغداد - الجزء السادس » - القاهرة / ٩٤٠ م
- ٣٩ - ابن عبد ربه : شهاب الدين احمد ، (ت ٣٤٩ هـ = ٩٤٠ م)
 « العقد الفريد » - القاهرة / ١٣٤٦ هـ
- ٤٠ - ابن عرب شاه احمد بن محمد بن عبد الله ، (ت ٨٥٤ هـ - ١٤٥٠ م)
 « فاكهة الخلفاء ... » - القاهرة / ١٨٨٩ م
- ٤١ - الفزالي : ابو حامد ، محمد بن محمد ، (ت ٥٠٥ هـ - ١١١١ م)
 « المقدم من الصلال » - دمشق / ١٣٥٣ هـ
- ٤٢ - العسكري : ابو هلال ، الحسن بن عبد الله ، (ت ٣٨٢ هـ - ٩٩٣ م)
 « ديوان المعاني » - القاهرة / ١٣٥٢ هـ
 « الصناعات » - لآستانة / ١٣٢٠ هـ
- ٤٣ - ابو الفدا : اسماعيل بن علي عماد الدين ، (ت ٧٣٢ هـ - ١٣٣١ م)
 « تقويم البلدان » - باريس / ١٨٤٠ م
 « المختصر ... » - لآستانة / ١٢٨٢ م

- ٤٤ - الفيروز ابادي . محمد بن يعقوب بن ابراهيم ، (ت ٨٦١ هـ - ١٤١٣ م)
« القاموس المحيط » - القاهرة / ١٣١٢ هـ
- ٤٥ - القالي : ابو علي ، اسماعيل بن القاسم ، (ت ٣٥٦ هـ - ٩٦٧ م)
« الأمانى » - القاهرة / ١٣٤٤ هـ
- ٤٦ - ابن قتيبة : ابو محمد ، عبد الله بن مسلم ، (ت ٢٧٦ هـ - ٨٨٩ م)
« المعارف » - القاهرة / ١٣٥٣ هـ
« عيون الأحبار » - القاهرة / ١٣٤٣ هـ
« الأمانة والياسة » - القاهرة / ١٩٠٤ م
- ٤٧ - قدامة بن جعفر : ابو الفرج ، (ت ٣٣٧ هـ = ٩٤٨ م)
« مختصر كتاب الحراج » - باريس / ١٨٦٢ م
- ٤٨ - القزويني : زكريا بن محمد بن محمود ، (ت ٦٨٢ هـ - ١٢٨٣ م)
« اخبار العباد وآثار البلاد » - كوتنجن / ١٨٤٨ م
- ٤٩ - الفلقشدي . احمد بن علي ، (ت ٨٢١ هـ = ١٤١٨ م)
« صبح الأعشى » - القاهرة / ١٩١٧ م
- ٥٠ - الكندي : ابو عمر ، محمد بن يوسف ، (ت ٣٥٠ هـ - ٩٦١ م)
« كتاب الولاة والقضاة » - لندن / ١٩١٧ م
- ٥١ - الماوردي : ابو الحسن ، علي بن محمد ، (ت ٤٥٠ هـ - ١٠٥٨ م)
« الأحكام السلطانية » - القاهرة / ١٢٩٨ هـ
« ادب الدنيا والدين » - الآستانة / ١٢٩٩ هـ
- ٥٢ - المبرد : محمد بن يزيد بن عبد الأكبر ، (ت ٢٨٦ هـ - ٨٩٩ م)
« الكامل » - القاهرة / ١٩٢٨ م
- ٥٣ - المرزوقي . احمد بن محمد المرزوقي الأصمغاني ، (ت حوالي ٤٦٠ هـ - ١٠٦٣ م)
« الأزمنة والأمكنة » - جيدر ناد - دكن - / ١٣٣٢ هـ
- ٥٤ - المسعودي : ابو الحسن ، علي بن الحسين ، (ت ٣٤٦ هـ - ٩٥٦ م)
« مروج الذهب » - باريس / ١٨٧١ م
« التنبيه والاشراف » - لندن / ١٨٩٣ م

- ٥٥ - المقدسي : أبو عبد الله ، محمد شمس الدين بن أحمد (ت ٣٨٧ هـ = ٩٩٧ م)
 « احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم » - لندن / ١٨٧٧ م
- ٥٦ - المقري : أحمد بن محمد ، (ت ١٠٤١ هـ = ١٦٣٣ م)
 « نفع الطيب » - القاهرة / ١٢٧٩ م
- ٥٧ - المقرئ : تقي الدين ، أحمد بن علي ، (ت ٨٤٥ هـ = ١٤٤١ م)
 « رسائل المقرئ » - الآستانة ١٢٨٩ هـ
 « اتعاط الخلق باخبار الخلق » - بيت المقدس / ١٩٠٨ م
 « المواعظ والاعتبار .. » - القاهرة / ١٢٧٠ هـ
- ٥٨ - ابن منجب : أبو القاسم ، علي بن منجب ، (ت ٥٤٢ هـ = ١١٤٧ م)
 « الاشارة الى من قال الوزارة » - القاهرة / ١٩٢٤
- ٥٩ - الميداني : أحمد بن محمد النيسابوري الميداني ، (ت ٥١٨ هـ = ١١٢٣ م)
 « امثال الميداني » = القاهرة / ١٣٤٢ هـ
- ٦٠ - الموجبي : أبو محمد ، الحسن بن موسى ، (ت ٢٠٢ هـ = ٨١٧ م)
 « فرق الشيعة » - اسطنبول / ١٩٣١ م
- ٦١ - النويري : شهاب الدين ، حمد بن عبد الوهاب ، (ت ٥٧٣٢ هـ = ١٣٣٢ م)
 « منة الارب في فنون الادب » - مخطوط بدار الكتب المصرية .
- ٦٢ - ابن هشام : أبو محمد ، عبد الملك بن هشام ، (ت ٢١٨ هـ = ٨٢٣ م)
 « السيرة النبوية » - القاهرة / ١٣٣٢ هـ
- ٦٣ - ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ، (ت ٦٢٦ هـ = ١٢٢٩ م)
 « معجم الأدباء » - القاهرة ١٩٣٦ م
 « معجم البلدان » - القاهرة / ١٩٠٦ م
- ٦٤ - اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر ، (ت ٢٨٢ هـ = ٨٩٥ م)
 « تاريخ اليعقوبي » - لندن / ١٨٨٣ م

المراجع الأجنبية :

العربية

Le Bon. G.

« La Civilisation des Arabes » — Paris 1882.

Bouvat.

« Les Barmacides d'après les Historiens Arabes et Persans. » —
Paris 1912.

Carra de Vaud.

« Les Penseurs de l'Islam » — Paris 1892

Machuel.

« Les Auteurs Arabes » Paris 1919

Encyclopédie de l'Islam.



الانكليزية

Arnold. T. W.

« The Califate » — Oxford 1924.

Palmer.

« Haroun el Rashid » — London 1881

Nicholson. A. R.

« Literary History of the Arabes » — Cambridge 1930.

Le Strange.

« Bagdad during the Abbassid Caliphate » — Oxford 1900.

فهرس الأعلام

- أ -

- أبان اللاحقي : ٢٦٩
 ابراهيم الخراي : ٢٣٢
 ابراهيم بن سفيان الزياي : ٢٣٥
 ابراهيم بن المدور : ٣٢٩
 ابراهيم بن انهي : ٢١٧
 ابراهيم الوصلي : ١٧٦ ، ١٩٤
 الأرش الكلي : ٢٩٩
 اس ابى الدنيا : ٢٣٢
 ابن ابى الغلاء : ١٤٠
 ابن ابى عيبة - سعيان : ١٧
 اس ابى مريم المذني : ١٧٦
 ابن الأبيد - مولى قريب : ٥٣ ، ٨٧
 ابن اسلم : ٣١٥
 ابن الأعرابي : ٨٩ ، ٩٠ ، ١٤٩
 ابن راقى القهي : ٣١٣
 اس جي : ١٤٤ ، ٢٥٦
 ابن حلكان : ٢٤٣
 ابن دريد : ٢٣٢
 ابن رشيبي : ٢٤٣
 ابن السكيت : ٢٣٤ ، ٣٢٨
 ابن عبد ربه : ٢٤٣
 ابن عرياض : ٢٩٩
 ابن عون : ٣١٢
 ابن قتيبة : ٢٤٣
 ابن الكلي - هشام بن محمد : ١٥٩
 ابن منن : ١٢٦
 ابن ميادة : ٢٥٩
 اس لدم : ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦
 اس حرمة : ٢٥٩ ، ٢٦٢
 ابو الأسود لدولي : ٢٩٧
 ابو بكر لصديق : ٤٢
 ابو بكر اشعري : ٣٠١
 ابو ليداء ريحي : ٧٦
 ابو حمير المصور : ٣٩ ، ٤٥ ، ١٧١ ، ٣٠١
 ابو حمير بن ناصح : ٢٣٩
 ابو حاتم البحتاني : ١٤٢ ، ١٤٧ ، ١٥٩
 ٢٣٥ ، ٢٣١
 ابو حمص بشعري : ١٨٥
 ابو حبان التوحيدي : ٩٩
 ابو حنيفة بن لقمة : ٧٧
 ابو دؤاد - سليمان بن معد : ٢٣٨
 ابو الدقش : ٧٧
 ابو الدهماء : ٨٥
 ابو دؤاد الأدي : ٢٦٢
 ابو دؤيب الهلي : ٢٥٧ ، ٣٠١
 ابو ربيعة : ١٩٥
 ابو زيد الأماري : ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ١٤٠
 ١٤٨ ، ٢٢١
 ابو زيد الهلالي : ٣٢٨
 ابو سوار موي : ٧٦
 ابو شقيق : ١١٥
 ابو سفيان : ٧٧

ابو الطيب القعوي : ١٤٠٤ ١٢٥٥
 ابو عباس سكدي : ٢٣٩
 ابو عباس بن خراج : ٢٦٦
 ابو عبيدة : ٨٦ ، ٨٢ ، ٨١ ، ٨٠ ، ٧٩
 ١٦٦ ، ١٥٢ ، ١٤٨ ، ١٤٠ ، ١٣٤
 ٢١٣ ، ٢١٢ ، ١٧٣ ، ١٧٢ ، ١٦٧
 ٢٨١ ، ٢٢١ ، ٢١٩ ، ٢١٤
 ابو الغضائفة : ٢٠٧ ، ١٨٥ ، ١٧٧ ، ١٧٦
 ٢٦٠ ، ٢١٢
 ابو عبيد الشري : ٣٢٨ ، ٢٣٤
 ابو عثمان بن قيس : ٢٣٩
 ابو عرار لعدي : ٧٦
 ابو عبد القاب : ٢٤٣
 ابو عمران - موسى بن عبد الله : ٢٣٤
 ابو عمرو احرمي - صاحب بن سحاق : ١١١
 ٢٣٣
 ابو عمرو بن ملاء : ٦٩ ، ٦٠ ، ٢٨ ، ٦٤
 ١٤٩ ، ١٣١ ، ١٧١ ، ٨٩ ، ٧٠
 ٢٨١ ، ١٥١
 ابو لميس : ١٠٧
 ابو الصيانه - محمد بن القاسم : ١٣٦ ، ١٠٥
 ٣٢٨ ، ٢٣٨ ، ٢٢٧
 ابو الفرج الاصبهاني : ٢٤٣
 ابو هب : ٣٠١
 ابو حليم شيباني : ٧٧
 ابو مسلم الخراساني : ٢٠٩
 ابو مهدي الاعرابي : ٨٦ ، ٧٧
 ابو موسى الأشعري : ٤٩ ، ١٣
 ابو النجم الرازي : ٢٥٩ ، ١٥٣
 ابو نخله : ٣٠٣
 ابو هشاش : ١٨٠ ، ٨٥
 ابو بواس : ١٢٠ ، ٨٩ ، ٨٢ ، ١٧ ، ٥
 ١٢٤ ، ١٦٧ ، ١٧٦ ، ١٧٧
 ٢٣٩ ، ٢١٣

ابو هشام لاهلي : ١١٦
 ابو هاشم مسكري : ٢٤٣ ، ١٥٣
 ابو هود : ٤٢
 ابو الوحيه : ٣١٦
 ابو يوسف القاسي : ١٩٣ ، ١٧٩ ، ١٧٦
 ٢٤٨ ، ٢١٢ ، ١٩٧
 احمد بن ابراهيم : ٢٥٧
 احمد بن : ٢٦٧
 احمد بن بكر بنحوي : ٢١٩
 احمد بن حاتم لاهلي : ٢٢٠ ، ١٣٨ ، ٥٣
 ٢٥٢ ، ٢٣٧ ، ٢٣٠ ، ٢٢٩
 احمد بن حنبل : ١٢٥ ، ٥
 احمد بن ابي صاهر : ٢٣٣
 احمد بن فارس : ٢٧٢
 احمد بن محمد بن يزي : ٢٣٩
 احمد بن قيس : ٢٩٣ ، ٣٤
 الاحوص : ١٠٩
 الاحط : ٣١٦ ، ٣١٥ ، ١٢٣
 الاحص : ٢٥٨ ، ١٤٠
 اريد بن ربيعة : ٣١٨
 اسحاق الموصلي : ١٨٢ ، ١٧٦ ، ١١٢ ، ٤٥
 ٢١٣ ، ٢١٢ ، ١٩٨ ، ١٩٥ ، ١٩٤
 ٢٣٩ ، ٢١٨
 اسماعيل بن يسار : ٣٥
 اشعث بن قيس : ٨٥
 اصمغ بن مضر : ٤٩
 الاصمغ بن فريغ : ٣١٤
 اعشى : ١١٥
 اعشى قيس : ٣٩٤ ، ٢٢٥
 افيون النعمي : ١٧٩
 اكثم بن صبيح : ٢٩٥ ، ٢٩٤ ، ٢٩٣
 ام بخت بنت عبد العزيز بن مروان : ٣١٧
 ام حنبل بنت حرب : ٣١٠
 امرؤ القيس : ١٧٨ ، ١٥٣

٢٠٩٠٢٠٧٠٣٠٢٠٢٠١٨٥

٢٣٠٠٢١٣

جليلة بنت مرة : ١٥٦

جمل شنة : ٢٢٨

جندل بن راعي الأبل : ٣١٩

جهم بن خلف المازني : ٧٦

- ح -

حاتم الطائي : ١٥٦ ، ٣٠٤

حاجب بن ربيعة : ١٤٢ ، ١٥٢

حارث بن عباد : ١٥٦

حارث بن عتبة بن نوفل : ٢٩٨

حاشي بن عبد الرحمن : ٢٢٧

الحجاج بن يوسف : ٣٠٣ ، ٤٤٠ ، ٥١٠

٣٠٠

الحمرري : ٧٧

الحريزي : ٢٧٢

الحسن بن سهل : ٢١٩

الحسن بن علي بن برمكة : ٣١١

الحسن بن مالك الدمشقي : ٢٢٧

الحسن بن يسار المصري : ٥٢ ، ٢٩١ ، ٢٩٤

الحسين بن علي بن أبو حاتم : ٣١١

الحظيفة : ١٤٩ ، ١٥٠ ، ٢٥٦

الحاكم المصري : ٢٥٩ ، ٢٦٢

حكيم بن حلة : ٣٨

حليمة بنت فضالة بن كعدة : ٣١٣

حماد بن ذريد : ٧٤

حماد بن سلمة : ٧٤

حماد بن عمار : ١١٥ ، ١٢٠

حماد بن مبرة - الراوية : ٧٥ ، ١٢٦

عمار بن موييل : ٢٥٨

حميد بن ثور الهلالي : ٢٥٧ ، ٣٠٢

- ح -

حالة بن صفوان : ١٦ ، ٢٧ ، ١٠٢ ، ٣٠٠

حالة بن الوليد : ٣٠٨

امية بن أبي الصلت : ٢٦٠

الأنباري : ٢٤٣

أوس بن حجر : ٣١٤

- ب -

ابن خنري : ٣٢٩

بديع برمان الهذلي : ٢٧٢

البراق : ٣٢٧

برصوم : ١٧٦

البسوس : ٣٢٧

بشر بن : ١١٥ ، ١٢٠ ، ١٢٤

بشر بن أرملة : ٣٠٨

بشر بن حارم : ٣٠٥

بشر بن موسى الأسدي : ٢٣٩

بوالو المرسي : ١٧٧

- ت -

تأبط شرأ : ٣١٣

الترمذي - محمد بن عيسى : ٢٣٨

التوري - عبد الله بن محمد : ٢٧١ ، ٢٣٥

- ث -

الثعالبي - أبو منصور : ٣٢٩

ثعلب - أحمد بن يحيى : ١٨٩

- ج -

الحاج محمد بن عمرو بن بحر : ٣١٠ ، ٩٨١ ، ١٠٤

١٣٦ ، ١٧٦ ، ١٨٢ ، ٢٣٨

٢٤٣ ، ٢٦٦ ، ٢٨١ ، ٣٢٣

جبريل بن عبيد شوع : ١٧٦

جعفر : ١٥٦

جندب بن الحنفية : ٢٧ ، ١٢٣ ، ٢٦٠

٣٠٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٨

٣١٩ ، ٣٢٠

جاس بن مرة : ١٥٦ ، ٣٢٧

جعفر بن سفيان القاسمي : ١٠٩

جعفر بن موسى الهادي : ٢٠٧

جعفر بن يحيى البرمكي : ١٧٦ ، ١٧٧

زهير بن جذعة العبسي : ١٥٦ ، ٣٠٦

زهد بن ابيه : ١٣ ، ١٥ ، ٢٩٤

- من -

ساعدة بنت حذيفة : ١٤٩

سحان وائل الباهلي : ٢٧ ، ٤٢

سران الباهلي : ٥١

سعيد بن سلم الباهلي : ٤٥ ، ٥٧ ، ٩٠

١١١ ، ١١٢ ، ١٦٧ ، ١٩٣

٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢١٨

سفيان بن عينة : ٧٠

سفيان بن معاوية المهدي : ٤٥

سكينة بنت الحسين : ٣٠٩

سليم بن قبيصة الداهلي : ٤٤ ، ٤٥ ، ٥٢

٤٥٧ ، ٨٤ ، ١١٥

سلطان بن ربيعة الداهلي : ٤٢

سليمان بن اسسكة : ١٥٧ ، ٣١٢

سلمان بن عبد الله الاموي : ٤٤ ، ١٨٨

سليمان بن ميمونة : ٧٤

سليمان بن شهاب : ٢١٠

سوار الناصبي : ٢٩٨

سوسني : ٢٣٦ ، ٢٤٣ ، ٢٤٧ ، ٢٥٤

٢٨٢

- ش -

شاذلي - محمد بن ادريس : ٤٥ ، ٧٥ ، ١٢٥

٢٣٨ ، ٢٨١

شاذلي بن عرفة لصفي : ٧٦

شبيب بن شيبه : ٣٠٣

شعبة بن الحجاج : ٧٣ ، ١٣٣

شهاب بن مرزوق : ١٧٢

شعري : ٧٢ ، ١٥٧

- ص -

صدي بن عجلان : ٤٢

صخرة الكندي : ٣١٤

الحبيب بن أسلم : ٢٥٢

خلف الآخر : ٧٨ ، ٧١ ، ٧٧ ، ٨٩

١٢٦ ، ١٤٥ ، ١٨٠ ، ٢٨١

الحليل بن محمد النراحيدي : ٦٠ ، ٧٠ ، ١٢١

١٤٥ ، ١٤٠

الحساء بنت عمرو بن بشر بن : ١٥٠ ، ١٥٦

٣٢٢

الحيراني - أم الرشيد : ٢٠١ ، ٢٠٢

- د -

دريد بن عصة : ١٥٦ ، ٣٢٢

دكين الرازي : ٢٥٩

لدميدي : ٢٤٨

- ذ -

ذو ارملة : ١٤٣ ، ١٧١ ، ٣١٦

ذؤيب بن كعب السبيعي : ٣١٤

- ر -

رأس - عيسى : ١٧٧

راعي الامل الشاعر : ٢٧ ، ١٧٨ ، ٣١٨

٣١٩ ، ٣٢٠

رافع بن ثابت : ٢١٢

ربيعة بن حصري : ٧٧

ربيعة الزمعي : ١٤٢

ربيعة بن بكدة : ١٥٦ ، ٣٠٦

رجاء بن الجارود : ٢٣٩

رؤبة بن عجاج : ١٧١ ، ٢٦٢

روشفوكو - الفرنسي : ١٧٧

روضة الكندي : ٣١٧

روشي - عباس بن هرج : ٢٣٢

- ز -

زبدة بنت جعفر روح الرشيد : ١٨٨ ، ٢٠٢

٢٠٣ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٨

الزبير بن عويم : ٣٨ ، ٣١٠ ، ٣١٢

زبد - الموسيقى : ١٧٦

الزهرري : ٢١٩

- ط -

طهيل الككاري : ٢٥٩ ، ٢٦٢
طلحة الفياض : ٣٨

- ع -

عائشة بنت أبي بكر : ٣٨ ، ٢٨١
عائشة بنت طلحة : ٣١٢
عامر بن الطعل : ٣١٨
العاس بن الأحف : ١٥٦ ، ٢٣٩ ، ٢١٨
العاس بن رستم : ١٠٢ ، ١٣٦ ، ٢٣٩
العباس بن محمد بن عيسى : ١٧٦
عبد الحميد الكاتب : ٣١
عبد الرحمن بن عبد الله الأصمعي : ٥٣ ، ١٤١٤
٢٥٢ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٨ ، ٢٥٢
عبد الرحمن بن عوف : ٣٠٨
عبد الله بن جعفر : ٣١٠ ، ٣١١
عبد بن السفاح : ٤٥
عبد الله بن عامر : ٥١ ، ٣١٠
عبد الله بن عون المزني : ٧٤
عبد الله بن قريش : ٥٦
عبد الله المأمون : ١٨٧ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦
٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩
٢٢٠
عبد الله بن النعمان : ٣١٠ ، ٢٦٨
عبد بن الأرم : ٣٠٥
عبد الملك بن صالح العباسي : ١٩٠
عبد الملك بن علي : ٥١
عبد الملك بن مروان : ١٦٠ ، ٣٤ ، ٤٣ ، ٥١
٣١٢ ، ٣١٧
عنه بن عرو : ١١ ، ١٥
عثمان بن عفان : ٣٥ ، ٤٢ ، ٤٩ ، ٥٠٤
الصغير السلي : ٣٠٢
عدي بن الرقاع : ١٣٩ ، ١٧١ ، ٢٥٩
العديل بن الفرخ العجلي : ١٨٤
عروة بن الربير : ٢٩٣

عروة بن زهر : ١٥٧

أهريز بالله خليفة طاعني : ٢٢٦
عطاء بنت ٨٧

عقبة بن سيم ماهني : ٤٥

عقل بن أبي طالب : ٣١

عدي بن أبي طالب : ٣٨ ، ٥١ ، ٥٠ ، ٢٨٥
٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٣٠٨

علي بن الصمغ : ٢٩ ، ٥٠ ، ٥١

علي بن دود : ٢٦٩

علي بن عيسى بن يحيى : ٢٠٢

علي بن النعمان لأكرم : ٢٣٣

عمر بن الخطاب : ١١ ، ١٣ ، ٣٥ ، ٤٢ ، ٤٤
١٠٥ ، ٢٩٣ ، ٣٠٢ ، ٣٠٨

عمر بن حفص : ٣١٧

عمر بن شهاب : ٢٣٦ ، ٣٢٧

عمر بن عبد الله : ٤٤ ، ٤٥

عمر بن عاص : ٣١١

عمر بن حنيفة : ٧٦ ، ١٤٨ ، ٢١٨
٢٨١

عمر بن كلثوم عدي : ١٩٠

عمر بن مسعدة : ٢٣٩

عمر بن معدى كرب : ١٥٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٦

عمرة بن شدد : ١٥٦ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦

عيسى بن إسحاق : ١٠٩

عيسى بن جعفر طاعني : ١٨٦

عيسى بن عمر طاعني : ٧٠

- ف -

فر : ٢٢١

فرزدق : ٢١ ، ٣٠٢ ، ٣١٥ ، ٣١٨

٣١٩ ، ٣٢٠

فصل بن إسحاق : ٢٢٨

لفصل بن الربيع : ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٧٣

١٧٦ ، ١٩٣ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣

٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٢ ، ٢١٣

٢١٨

الفضل بن نوح : ٢٦٩

عقل بن يحيى البرمكي : ١٧٠ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ٢٠٢

٢٠٣

عيسى : ٧٧

« حبشه » لقرسي : ١٧٧

- ق -

« سم بن سلام : ٢٣٥

« دقة سدوسي : ٢١٩

« دقة بن مقي : ٤٠

« دقة بن مسلم بن مقي : ٤١ ، ٤٣ ، ٥١٠

« دقة بن خالد : ٧٤

« قريب - « سم بن عبد الله الأصمعي : ٥١٠

٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٦

« قرب : ٧٣

« قسري بن عطاء : ٣٠٩

« قس بن رهم بن قس : ١٥٦

« قيس بن ملح : ١٥٨

- ك -

« الكسائي - علي بن مرة : ٧٦٠ ، ١٦٦ ، ١٧٨

١٧٩ ، ٢١٢

« كسري : ٣٢٨

« كليب - أمير ربيعة : ٣٢٧

« الكميت : ١٤٢

« كيسان النحوي : ٨٦

- ل -

« لارور « لقرسي : ١٧٧

« لافوتين « لقرسي : ١٧٧

« لبيد بن ربيعة : ٣٢٥ ، ٣١٧

« لويس ابراهيم عشر « ملك فرنسا : ١٧٧

- م -

« مالك بن اعصر : ٤٠

« مالك بن اسي : ٧٤ ، ١٢٥ ، ١٩١

« ماني بن حك بن بابك : ٩٩

« المراد - محمد بن يزيد : ١٤٠ ، ٢٣٢

« المتوكل - الخليفة العباسي : ٢٣٤

« محمد بن اسحاق الصاعدي : ٢٣٩

« محمد الأمين : ١٨٧ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧

٢٠٩ ، ٢١٧

« محمد بن سلام الحمصي : ٢٣٦

« محمد بن عداة الغوي : ٣٩

« محمد بن عبد الله بن ربيعة : ٢٣٩

« محمد بن عبد الله لرب : ٢٢٨

« محمد بن اي عاوية : ٢٢٨

« محمد بن عمران القاسمي : ٢٩٩

« محمد بن يحيى البرمكي : ٢١٠

« مراحيل - ام جعفر البرمكي : ٢٠٣

« مرار الأسدي : ١٣٧

« مروان بن اي حفصة : ١٢٤ ، ١٧٦ ، ١٧٧

٢١٢

« مروان بن محمد : ٥٠ ، ٢١٠

« المروري : ٢٩٧

« مره بن ربيعة : ٣١٨

« مراحيم بن مصرف القليلي : ٣٠٢

« مراد - « لقرسي : ٢٠٨

« مرار - « لقرسي : ١٧٧

« مراد بن صرار : ١٨٤

« مسرور - « حادم الرشيد : ١٩٦ ، ٢١٠

« مسمر بن كدام : ٧٤

« مسلم بن عمرو بن الحصين : ٤٣ ، ٥١

« مسلمة بن عبد الملك : ٣٥ ، ١٣٨ ، ٣٠٨

« مصعب بن ابراهيم : ٤٣ ، ٣٠٩ ، ٣١٢

« معاوية بن اي حيان : ١٣ ، ٣٤ ، ٣١٨

« معد بن عدس : ٤٠

« معة الثقفي : ١٠٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤

« مؤرج بن عمر السدوسي : ٧٣

« موسى الهادي : ٢٠١ ، ٢٣٢

« مولير « لقرسي : ١٧٧

« المهدي - محمد بن منصور : ٢٩ ، ١١٦

المهلب بن أبي صفرة : ٤٣٤ ، ٤١٩ ، ٣٨
المهمل بن ربيعة : ٣١٤ ، ١٥٦

- ن -

ساعة الدياري : ٣١٨ ، ٣٠٥ ، ٢٥٧
نافع بن عبد الرحمن بن نعيم : ١٣١ ، ٧٤
نصر بن عبد الحميد : ٢٣٩ ، ٢٢٠ ، ٢١٩
نصيب - الشاعر : ٣١٧
النعام : ١٠٤

نعمان بن النضر : ٣١٨ ، ٣٠٥
نعم بن الحرث بن كلدة : ١٥

- ه -

هارون الرشيد : ٣٧ ، ١٥ ، ١٤ ، ٥
٢١٧ ، ٢١٥ ، ١١٧ ، ١٠٢ - ١٦٥
٣٢٤ ، ٢١٩ ، ٢١٨

هرثمة بن عيين : ١٧٦
هشام بن راشد - كرماني : ٢٣٦
هشام بن عبد الله : ٣٠٠ ، ٧٨

- و -

وائل بن معمر : ٤٠
لؤي - حبيبة بناسي : ٢٣٤
وصاح البين : ٣١٧

الوليد بن عبد الله : ٤٣
الوليد بن يزيد الأموي : ١٧١

- ي -

يحيى بن خالد البرمكي : ١٧٧ ، ١٧٦ ، ١٦٦
٢٠٦ ، ٢٠٣ ، ٢٠٢ ، ٢٠١

يحيى بن حليم : ٢٨١
يحيى بن يحيى : ٢٩٨

يحيى بن حرث بن كسرى : ٣٠٩
يحيى بن هبة : ٣٠٧
يحيى بن عبد الله الأموي : ٢٩٩
يحيى بن عبد الله الشامي : ١٧٦

يحيى بن مسلم : ٣٠١

يحيى بن معاوية : ٤٣

يحيى بن المهدي : ٤٤

يحيى بن المهدي - يحيى بن المار : ٢١٣ ، ٨٩

يعقوب بن داود : ٣٧

يعقوب بن سليمان النحوي : ٢٣٩

يعقوب بن محمد بن شعلاء : ٧٤

يوسف بن سباعيل : ٣٢٦

يغوث بن يوزع : ٢٣٣

يونس بن حبيب النحوي : ١٢٠ ، ٧١ ، ٦٠

١٢٠ ، ١٣٥

فهرس القبائل والشعوب

— 1 —

مسيلة لأرد : ٦ : ٤ : ٤ : ٤

في. اءد ٦٣، ٧٧، ١٣٧، ٢٢٩،

510, 7, 7

۲۶۲ ق. د.

ق. الأسماء ٧٩، ١٤٣، ٢٢٦

— U —

ق. ماهية ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ،

07 1 04 1 01 1 19 1 20 1 11

A9 : AY : AD : A1 : OV : 07

757,7-0 6 913,110 6 1-0

744

۲۲۶۲ ۱۵۶ ق. ۵

شی ۔ ۱۰ لہرے ۱۱

ق. ۱۰۶، ۱۷۹، ۲۵۸

ف. ٢٩٢

ق . م . ٦٩

— ୫ —

ق + ثمة ٦٤

ق . ث . ب .

- 3 -

ق ۰ جرم ۱۱۱ ۲۳۳

فی . حشم ۱۵۶ ، ۲۳۱ ، ۳۷۲

٢٣٦ ، ٢٣٩ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣

- 2 -

ش ۴۰ و ۳۱ احسن ۱۹

فی . ص ۲۰

— 2 —

ق . ديار ١٤٦ ، ١٥٦ ، ٢٥٧

☛ ☛ ☛

— 9 —

ق . رسدہ ۲۲۵

۱۹۵۴م

ق . ر . ۷۶

۴۴۴ ۰ ریاضی

- ۳ -

ق . ۲۴۵

— ୫ —

ف ۷۲

تَبَّ • سَرَّاد ۶ ۲

بقیہ سیم ۲۰۲

ق . ۶ - ۳

— ش —

ق • شیاں ۱۷۶ ء ۳۲۸

— ۳ —

٦٢ = زمره ٦٢

ش . د . نصیبی ۱۹۷۷

٢٠٨ ، ١٦١ ، ١٦٠ ، ٨٦ ، ٨٣

٢١٧

ق . قزارة ٤١٠

- ق -

ق . قيس ٤١

- ك -

ق . كاك ٢٩٩

ق . كلاب ٢٨٦

ق . كانه ٢٦٢ ، ٣١٤ ، ٢٢١

ق . كدة ٣١٧

- م -

ق . مارن ٦٩ ، ٧٧ ، ٣٢٨

ق . مرقة ٧٤

- ن -

ق . نمر ٧٦ ، ٢٣٦ ، ٣١٩ ، ٣٢٠

- ه -

ق . هديل ٣٠١

ق . هلال ٢٥٧ ، ٣٠٢ ، ٣٢٨

- ي -

ق . يروغ ٢٩٨

- ض -

ق . سبع ٧٦

ق . صة ٧١

- ط -

ق . طلي : ١٥٦ ، ٣٠٤١

- ع -

ق . عامر : ١٥٨ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧

ق . عيس ١٥٦ ، ٣٢٥

ق . عجل ٧٦

ق . عجلان ٦٧

ق . عدره ٢٦٢

ق . عقيل ٣٠٢

ق . عماله ٢٥٨

ق . عمر ٦٢

- غ -

ق . غمار ٢٩٨

ق . عي ٧٦

- ف -

ق . فراس ٣٠٦

ق . فرس : ١١٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٧٨

فهرس الأماكن

لحمار ٣٨ ، ٣٩ ، ٦٩ ، ١٠٢ ، ١٨٩

٣٠٩

حي في الصنع ٥٤

الحفرة ٣٠٥

- خ -

خراسان ١٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٣ ، ٥٠

٢١٧ ، ٢١٢

الشيخ الفارسي ١٥ ، ١٧

حوارم ٤٤

- د -

الديلم ٧٥

- ذ -

الزخافة ٢١٠

الزفة ٤٣ ، ١٨٦ ، ١٨٩ ، ٢١٠

٢١٤

- س -

سغوان ١٤ ، ٥٠

سمرقند ٤٤ ، ٤٥

سواد ٢١٢

اسد ٤٤

سودان ١٩

- ش -

شام ١٦ ، ١٨ ، ٣٦ ، ٣٠٨

شد لغرب ١٥

- أ -

الألة ١٤

الرياح ٤٢

رمسة ٤٢

اصهان ٢٥٢

اسانيا ٢٤٩ ح

الأسكوريال ٢٤٩ ح

الأمر ٢١٠

لا ٣٨

- ب -

بئر حفر ٣ ، ٥٦ ، ٥٧

بريس ٢٤٧ ح

جاري ٤٤

سدد ١٨ ، ٣٦ ، ١٦٦ ، ١٨٩ ، ١٩٤

٢١٠ ، ٢١٣ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢١

نوت ٢٥٠ ، ٢٥١ ح

- ت -

تركسان ١٤

البيت ٢٦٨

- ج -

حرر الهند شرقية ١٦

الحريرة مربية ٢٦ ، ٢٨ ، ٤٣ ، ٦٢

١٦ ، ٦٨ ، ٦٣

- ح -

الحشة ١٢ ، ١٩

- ص -

الصين ١٦

- ط -

اصائف ٧٤

طوس ٢١٢

- ع -

عمر ٢١٠

- ف -

فارس ٥١، ١٢، ١١

فرسا ١٧٦

فرعاه ٤٤

فيا عاصمة المسا ٢٤٩، ٢٥٠ - ج

- ق -

قادة ٣٠٧، ٤٢

قصر الخلد ١٦٨، ١١٧

- ك -

كاشمر ٥١، ٤٤

الكوفه ٧٦، ٤٣، ٣٧، ٣٦، ٢٠

٢٢٣، ١٦٥، ١٠٢

- ل -

ليون ٢٥١ - ج

- م -

مدينة - مورة ٧٤، ٣٧

مدينة - م - عدد ٢٦٢

مارس ٣٨، ٨٢، ٢٧، ٢٦، ٢٣، ١٥

٢٦، ٦٣، ٦١، ٥٧، ٥٦، ٤٩

٣١٨، ٢٢٤، ١٠٠، ٧٩

مصر ٢٤٩، ١٨

مكة ٢٢٤، ٧٤

نومل ١٤٢

- ن -

نجد ١٥٢

نونه ١٩

- و -

وادي ارقدين ١١

- ه -

هد ٢٨٦، ١٦، ١١

- ي -

يهمه ٤٣

اليس ١٥٩، ١٨

كتب المؤلف



La Constitution Irakienne — ١

Paris 19١1

« الدستور العراقي »

طبع في باريس عام ١٩١١ باللغة الفرنسية .

Le Drame de La Palestine Arabe — ٢

Paris 19١١

« مأساة فلسطين العربية »

طبع في باريس عام ١٩٤٥ باللغة الفرنسية

٣ — « الأصمعي : حياته وآثاره »

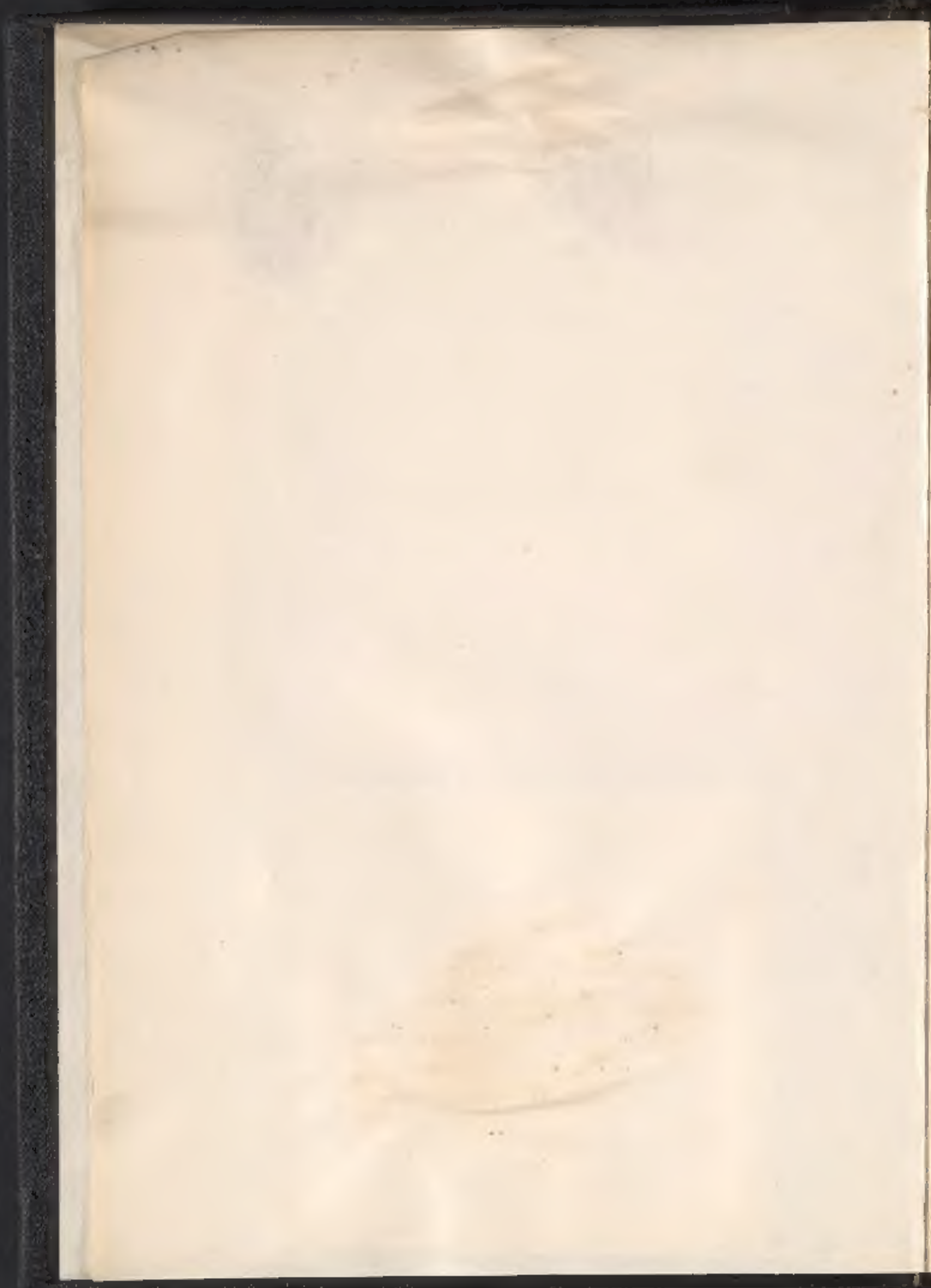
وهو هذا الكتاب الذي بين يدي القاري



سهي ضع هذا الكتاب على
مطبع دار الكشاف - بيروت -
في اربع والعشرين من شهر صفر ١٣٧٥
والعشر من شهر تشرين
الاول (اكتوبر) ١٩٥٥







DATE DUE

Ahmed Abdel Hadi 83/157

30 MAY 1984

1984

17 MAY 92

AUC

1 JUL 1984

OCT 1974

OCT

PJ
7741
A7
Z75
1955

6.12568557
1-138621X



10000117917

